

# حفل إفطار رمضاني

مجموعة قصصية

د. محمد عباس



مكتبة بئر سرة الورد

## بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : حفل إفطار رمضاني .. مجموعة قصصية

المؤلف : د. محمد عباس

رقم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١١



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ميدان حلیم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٥٧٤

Tokoboko\_5@yahoo.com

حفل إفطار رمضاني

الثورة كما رآها الدكتور محمد عباس  
منذ أكثر من ثلاث أعوام

oboeikan.com

منذ أكثر من ثلاثة أعوام، وفي العدد ٣٠٢ من مجلة المختار الإسلامي الصادر في  
غرة شوال -١٤٢٨- أكتوبر ٢٠٠٧- نشرت هذه القصة بعنوان: «حفل إفطار  
رمضاني» وهي تحتوي على تفاصيل مذهلة لما حدث بالفعل في ثورة ٢٥ يناير ومنها  
على سبيل المثال أن شباب الثورة غير اسم ميدان التحرير وجعلوه: «ميدان  
الشهداء»!!.. كما تحدد القصة ثروة الرئيس الطاغوت الهارب بأنها: «سبعون مليار  
دولار».. نعم.. سبعون مليار!!.. كما تحدثت القصة عن انهيار الأمن وانسحابه  
وارتداء أفراده ثيابا مدنية واندساسهم وسط المتظاهرين وانطلاق فرق البلطجة  
التابعة للحاكم. وبعد أن يصل حشد الجماهير في الشوارع إلى رقم العشرة ملايين  
يسقط الطاغوت ويفر.

القصة يرويها حفيد كما حكاهما له جده في رمضان عام ١٥٠٠ هـ الموافق ٢٠٧٧م  
حيث اشتعلت الثورة كما تخيلها الكاتب عام ٢٠١٩م.  
ونحن هنا نعيد نشر القصة حرفيا:

## حفل إفطار رمضاني

نص أدبي بقلم: د. محمد عباس

نشرت في مجلة المختار الإسلامي - أكتوبر ٢٠٠٧  
الخميس ١٥٠٠هـ / ٢٢ يوليو ٢٠٠٧م

-١-

ها هو ذا رمضان يعود، ما أجمله، كم أحبه، رغم أيام العناء والجوع والعطش، ومنذ كنت أفطر عند الظهر، وكل عام يطول صيامي ساعة أو ساعتين، حتى صمت اليوم كاملاً للمرة الأولى في العام الماضي، وكانت جائزتي الكبرى أن قربني جدي، بل وسمح لي في بعض الأحيان أن أتوسد فخذه، فلا يوقظني إشفاقاً ورحمة إذا غلبني النوم وأنا أسمع حكاياته.

ظللت أعواماً وأعواماً، كلما سمعت حكاية بطل، تجسد ذلك البطل في شكل جدي. وظننته يخفي علينا أنه كان هو بنفسه البطل. وتخابثت عليه مرة فسألته:

- جدي: هل كنت موجوداً أيام صلاح الدين وهل شاهدته؟

وكنت أموت شوقاً لأن يحتويني في حضنه ويخصني بالسر وحدي قائلاً: أنا صلاح الدين.

لكنه انفجر ضاحكاً فملأني العار والخزي، وقلت لنفسي ربما قطع على نفسه عهداً ألا يفشي السر لأحد.

وبرغم خزيي وعاري لم أتوقف، بل إنني كنت أظن أنه حتى الملائكة تشبهه، وأنها لو ظهرت لنا على الأرض فلن يكون شكلها إلا شكله.

-٢-

لم أستوعب حكايات كثيرة من حكايات جدي، إما لأنها كانت صعبة عليّ، وإما

لأنني كنت أنام وهو يحكيها فينقطع مني الخيط وتضيع الحبكة. ولولا أن إختوتي وأبناء عمومتي أسعفوني برتق ثقوب الذاكرة ما استطعت أن أسجل هذه الذكريات بعد حدوثها بما يقارب ربع القرن، أي في بدايات القرن الثاني والعشرين.

- ٣ -

حكى لنا جدي عن الطاغوت ألف حكاية، فسألته ذات مرة في دهشة:

- كم ألف عام عاش هذا الطاغوت.

وضحك جدي قائلاً أن الطاغوت ليس شخصاً، وإنما هو لقب، كالملك، والرئيس، وكفرعون.

- ٤ -

ثمة حكاية لم يمل جدي من حكايتها ألف مرة، لم تكن مرة منها مثل سابقتها، كان فيها دائماً يتوهج، وكان وجهه يضيء بضوء غريب، وكنت أحتلس النظر إلى الحائط كل حين، متوقفاً في كل مرة أن أرى ظلال أجسادنا الناتجة عن نور وجهه المنسكب علينا تتمدد على الحائط.

وكان جدي في كل مرة يقول:

- كان هذا الحدث هو أهم حدث في العقد الأول من هذا القرن.

أما الحدث فكان قيام الطاغوت بإلغاء حفل إفطار رمضاني كانت تقوم به كل عام جماعة إخوة الإسلام.

وسألت جدي غير مصدق:

وكيف استطاع الطاغوت أن يتحدى جماعة يحكم رجالها دول العالم الإسلامي

كله

واكتسى وجه جدي ببسمة نصفها ألم و نصفها انتصار وتتم

في ذلك الوقت لم يكن الواحد منا يأمن أن يبني بيتاً في بيته دون أن يتخطفه خدم

الطاغوت وجلاديه، ولم يكن الواحد منا يستطيع أن يدير أي عمل أو أن يملك أي مشروع، بعد أن استولى أعوان الطاغوت على كل ما نملك ونهبوه، ابتداء من المصادرة والتأميم لتكوين القطاع العام ومرورا ببيع القطاع العام لتصفيته ومرورا بشركات توظيف الأموال ثم المحاكمات الاستثنائية والمدعي الاشتراكي، كانت عملية نهب، ونزح للثروة من فئة لصالح اللصوص الذين يملكون الإذاعة والتليفزيون والصحف والأمن. وكان شعارهم الذي لم يعلنوه ولم يتحولوا عنه أن رعي الخنازير خير من رعي الجمال!

قال جدي أنه من المعروف أن جميع التنظيمات الإسلامية قد توحدت بعد المنع، وبعد أن أدركوا أن الإسلام هو المستهدف، فعبروا تناقضاتهم، وتوحدوا تحت راية واحدة أطلقوا عليها إخوان الإسلام، وتختصر في كلمة واحدة هي: الإخوان.

كرر جدي الحكاية ألف مرة، حاولت أن أجمع الروايات لكنها اختلفت في التواريخ، فأكد أبناء عمي الأول أنها حدثت منذ سبعين عاما، أبناء العم الثاني قالوا بل منذ خمسة وستين، أما أختي فقالت بل منذ خمسة وسبعين عاما، وبعد أن استبدت بي الحيرة، وبعد مراجعتي للاحتيالات جميعا، رجحت أن منع حفل الإفطار تكرر ثلاث مرات، والأرجح أنه على يد طاغوتين أو ثلاثة، لأن المؤكد أن الطاغوت الأول هلك بعد الحدث، بطريقة أسطورية مذهلة قلبت كل الموازين، حتى أن الناس كانوا يسرون في الشوارع يضربون كفا بكف هاتفين:

- أخذ عزيز مقتدر.

وكان البعض الآخر يرتل:

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وكان آخرون يقولون في ذهول:

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف].

-٥-

في ليال كثيرة، بعد أن كبرت قليلا، وتوجت حفلات الإفطار اليومية بصلاة التراويح، كان جدي يجلس معنا بعد الصلاة ليحكى، وفي حكايات كثيرة، كانت دموعي تسيل في صمت، لكن في أحيان أخرى كنت أبكي وأنتحب، بل إنني في مرات لم أكتف بالنحيب فانفجرت أصرخ في نوبات عاتية، كان جدي يحكي لنا عن شهيد في مثل عمري، اسمه محمد الدرة، وكان يحكي كيف قتلوه، فصرخت، ويوما آخر كان يحكي عن شهيدة أصغر مني، اسمها إيمان حجوة، أرانا جدي صورتها في كتلب ضخمة كان لا يكاد يفارقه، كان حجم الجرح الناتج عن القذيفة في ظهرها هائلا، حتى تخيلت أنه في عرض السماوات والأرض، في المرة الثالثة، كان جدي الذي كان يستعين بفنون التكنولوجيا يعرض لنا مشهدا مصورا عن طفلة اسمها هدى غالية، خرجت مع أهلها للتزهر على شاطئ بحر غزة، كانت تبني قصرا من الرمال بعيدا عنهم، وفجأة انطلقت قذيفة إسرائيلية مزقت الأسرة، وفي لحظة، في لحظة، في ثانية، في عشر ثانية، كان الأب والأم والإخوة أشلاء، كان الماضي والحاضر والمستقبل أشلاء، كان الحب والوثام والرحمة والحنان أشلاء. كان العدل على الأرض مزقا مزقا تتجسد حتى كدت أراها وأشم ريحها، قال جدي أنه بكى كثيرا يوم حدث ذلك، وعندما لمحت جدي يكبح دمعة فيعجز فيمسحها خفية تحول نحيبي إلى صراخ، حاولت إسكات نفسي فعجزت، حاولوا إسكاتي فعجزوا، كنت أجد نفسي مكانها، وكان أبي و أمي وإخوتي وأبناء عمومتي هم الأشلاء، وكانت رأس جدي مقطوعة، وعلى الرغم من ذلك كانت عيناه مفتوحتان، وشفته تتحركان وهو يكمل الحكاية، وظللت أصرخ وأصرخ وأصرخ، ولم يكن ثمة مناص من استدعاء الطبيب.

بعد ذلك كان جدي أكثر حرصا، وكان يجمل حين يروي لنا تاريخ المذابح

والنكبات والأهوال.

-٦-

حكى لنا جدي عن طاغوت ارتدت أمه وأخته عن الإسلام من أجل الشهوة، ولم يكن ذلك أفظع جرائمها.  
كانت نخب الطواغيت كلها قد ابتعدت عن مرجعية القرآن والتزمت مرجعية الشيطان. وكانت قد هجرت الإسلام لتغرق في الاستسلام.  
وواصل جدي الحكاية فقال أن نصف أبناء الطواغيت قد ارتدوا بعد الثورة الإسلامية ليحافظوا على مصالحهم وليجدوا ملاذاً آمناً، ما زالوا يفضلون رعي الخنازير. النصف الآخر يتسول.

-٧-

لم أبرأ من الكابوس الذي كنت أرى فيه رأس جدي مقطوعة، وعيناه مفتوحتان، وشفته تتحركان وهو يكمل الحكاية، إلا بعد أن حكى لنا كيف تبخرت إسرائيل وتلاشت بعد الثورة، دون طلقة رصاص واحدة. هنالك فقط، ذهب فزعي واختفي روعي وتلاشى غضبي واسترحت.

-٨-

حكى لنا جدي عن اشتعال الخلافات بعد الثورة والوحدة الإسلامية، وكيف تنافست دمشق وبغداد والقاهرة وإسلامبول على أن تكون عاصمة للخلافة، لكن مجالس الشورى الإقليمية ورئاسته المركزية اجتمعوا فانفقوا على قرار لم يختلف عليه أحد، وهو أن تعود الخلافة إلى العاصمة التي اختارها لها الرسول ﷺ: المدينة المنورة.

-٩-

من أجمل صفات جدي أنه كان مثلنا، يبكي ويضحك، ويفرح ويحزن، ولكم

بكى وانتحب وهو يحكي لنا عن سقوط عاصمة الخلافة منذ قرن ونصف قرن، وإنشاء إسرائيل، ولقد سمعته ينتحب حين حكى لنا عن هزيمة ٦٧ و عن إعدام سيد قطب وعن التعذيب والتزوير والانهيار أمام أمريكا وإسرائيل. كما كان وجهه يشرق بالنور وهو يحكي لنا عن انتصار العاشر من رمضان، أو عن حفل الإفطار الرمضاني الذي انبثقت منه الشرارة التي أدت إلى الثورة الإسلامية الكبرى.

-١٠-

قال جدي أن الأمر بدأ طبيعياً تماماً، ولم يتخيل أحد أبداً أن يحدث ما حدث، وبرغم مرور نصف قرن فما تزال الحقيقة عصية والروايات مختلفة والآراء متضاربة، كان إخوان الإسلام قد تقدموا بطلب إلى أعوان الطاغوت للسماح لهم بحفل إفطار رمضاني، ورفض الطاغوت، لكن الإخوان ردوا بأنهم سيقومون بالاحتفال مهما كلفهم الأمر، فإذا رفضتهم كل الفنادق والقاعات فسوف يقيمونه في الشارع أو في الصحراء، وفي اليوم الموعد جهز فرعون سحرته من الكتاب الذين يلبسون الحق ثوب الباطل والباطل ثوب الحق كما جهز أمنه من شياطين البشر الذين لم يصفدوا بعد.

وبدأت أهم أحداث منذ سقوط بغداد الأول على يد التتار الأول.

الأحداث التي بدأت بسيطة وهينة ثم تدافعت تداعياتها لتغير وجه العالم.

كيف حدث ذلك؟ ما هي التفاصيل؟ لدينا عشر ملايين رواية!

كان جدي يتساءل في روايته للأحداث: هل تعمد الإخوان ببلبة الأمن؟ لا أحد يعلم، لكن المتيقن منه أن الشائعات قد ملأت البلاد، من أن حفل الإفطار سيكون في مكان غير متوقع، وراحت التكهنات تذهب كل مذهب، فمن تكهن يؤكد أن الحفل لن يكون في القاهرة لتجنب الحشد الكثيف للأمن، وأنه قد يكون في الإسكندرية أو أسبوط أو أسوان أو طنطا، هل كانت هذه الشائعات مدبرة؟ وهل

كانت تستهدف تشييت الأمن؟ كانت الأقلام تكتب والإذاعات تذيع والفضائيات تنشر وتتلمظ، إحدى الشائعات أكدت أن الحفل سيقام في أحد المساجد الكبرى، على أمل أن تتخرج قيادات الأمن من الأمر باقتحام مسجد، رغم أن هذا حدث من قبل كثيرا، بل وقتلوا العاكفين في المساجد ومزقوا المصاحف وسجلوا أسماء من يصلون الصبح في جماعة لكي يسجلوهم في كشوف الإرهابيين. كان المرشد وإخوانه يردون على التساؤلات بابتسامات صامتة، لم ينفوا أو يؤكدوا أي شائعة. قيل أن الاحتفال سيتم في عمق الصحراء، وأن البعد عن العمران سيتم تعويضه بتكثيف حضور الفضائيات. ولم تكف الشائعات بذلك، فقد كانت بعض الشائعات غريبة والأخرى مجنونة، كتلك الشائعة الغريبة التي أكدت أن الاحتفال سيتم في مئات القوارب في النيل أو في البحر، أو تلك الأخرى المجنونة التي توقعت أن يتكرر الإخوان ابتكارا غير مسبوق فيقيموا الحفل في مئات المناطيد الصغيرة السابحة في الفضاء.

قال جدي أنه واثق أن الإخوان وإن التزموا بالغموض إلا أنهم لم يشاركوا في ترويح الشائعات، أبدا، أبدا، أبدا، فالصدق عند الإخوان ليس مكرمة وإنما فريضة، والكذب ليس رذيلة وإنما شرك بالله. كتاب أمن الشيطان لم يدركوا ذلك، لم يفهموه، وكيف يفهموه وقد ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً﴾. لذلك اهتموا الإخوان أنهم وراء الشائعات، قال جدي أنه يعتقد أن أهم سبب لانتشار الشائعة هو الشوق الدفين في قلوب الناس لحدوث موضوع الشائعة. شوق دفين طال أمده وعجزت الآليات الطبيعية عن تحقيقه، فلا أحلام اليقظة تكفي ولا النكات تشفي، ويزداد الضغط فيقترب من نقطة الانفجار، انفجار الشائعة، كبديل عن الأمل الذي طال انتظاره ولم يتحقق. الأمل، الذي يرى كل واحد أنه نهاية الهم وزوال الغم وانقشاع الظلام والظلم والإيذان بالعدل والنور والحرية، إنه

الغريق الذي أيقن بالهلاك فتأتي موجة فتدفعه للشاطئ، فيصرخ فرحا وشكرا واستقبالا للحياة جديدة ويردد صرخته كل من كان في مثل حالته. الشائعة هي تلك الموجة، إلا أنها موجة كاذبة كالسراب.

قال جدي وهو يتعجب من آيات الله أن الناس، الأمة، لم يكونوا مصدر الشائعات، بل كانوا التربة المتعطشة إليها، والمضحك، الغريب، أن حالة السعار التي انتابت كتاب السلطة، جعلتهم هم الذين يثرون بذور الشائعات، إذ يكتبونها في بلاغات لأجهزة الأمن رغم أنهم يسمونها مقالات، وينشرونها في صحفهم، لتتلقفها الأرض العطشى لها. تتلقفها وترعاها وتنميتها حتى تسد الأفق. وهكذا كان.

من المؤكد أن انتشار الشائعات بعثر الأمن، يقول جدي أن أمرا جاءه صبيحة ذلك اليوم بالتوجه للفيوم، وقبيل العصر جاءه أمر بالتوجه إلى الإسماعيلية، قبيل المغرب - وكان قد وصل إلى الجيزة - جاءه الأمر الأخير: ميدان التحرير.

نعم..

ميدان التحرير..

كان ذلك اسمه في ذلك الوقت لكن اسمه تغير بعد ذلك اليوم ليصبح الاسم الحالي: «ميدان الشهداء». لم يكن قد استمد اسمه القديم من تحرير الوطن، بل من لحظة انكسار للوطن، ألفت فيه بعض النساء - بينهن زوجة سعد زغلول، ابنة رئيس الوزراء المتعاون مع الاحتلال - بأوشحتهن وغطاء رؤوسهن ودرسنها بالأقدام، كان تحررا من الهوية لا من العبودية، وكان سقوطا في التبعية، كان التحرر من الرباط الجامع الذي يربط الأمة حتى لو تفرق الحكام، لم يكن تحريرا بل تدميرا، نعم، كانت تسميته بالتحرير خسوفا للضمير. الحمد لله الآن يستمد اسمه من دماء الشهداء التي أريققت فيه.

لم تكن أسوأ احتمالات الأمن تخيل له أن الحفل سيتم في الميدان المعروف آنذاك بميدان التحرير، ومع ذلك فقد كان ثمة عشرة آلاف جندي يقبعون في الميدان تحوطا، كان عدد حضور حفلات إفطار الإخوان قبل ذلك لا يتجاوز الألفين، وكان عشرة آلاف يكفون لمواجهة هذا الاحتمال البعيد، لكن المفاجئ والمذهل لقوات الأمن، أن العدد تجاوز المائة ألف، كان ذلك قبل المغرب بنصف ساعة، لم يفتن رجال الأمن لما يحدث، قدروا أن ما يرونه هو الزحام الطبيعي لكل يوم، لم يدركوا الأمر إلا بعد انطلاق أذان المغرب، حين فوجئوا بهائة ألف يقيمون الصلاة ثم يفترشون الأرض ويبدؤون الإفطار. بعد المغرب بنصف ساعة كان العشرة آلاف جندي قد أصبحوا مائة ألف، لكن المائة ألف محتفل كانوا قد أصبحوا مليوناً، صدرت الأوامر المسعورة باستدعاء المزيد من قوات الأمن، ونظراً للارتباك الهائل فقد تم سحب القوات المحيطة بالعاصمة كي تمنع توافد الناس من الأقاليم إليها، وبسحب هذه القوات خلا الطريق أمام الجماهير المتدافعة، في البداية كانت الغالبية من الإخوان، لكن الفضائيات بدأت تذيع الخبر، مؤكدة أنه ليس شائعة، وإذا بالوطن ينفجر، وكأنه يوم الحشر، تنشق الأرض فيفور منها الناس كما تفور المياه من شلال أو من ينبوع متدفق، عند الفجر كان مليون جندي في وسط المدينة، لكن عدد من جاءوا لحفلة الإفطار وبعدها كان قد بلغ في أقل التقديرات خمسة ملايين. قيل أن هذا المشهد العظيم لم يتكرر منذ معركة العاشر من رمضان-السادس من أكتوبر- حين فوجئت دولة كان اسمها إسرائيل كانت تحتل إقليم فلسطين بأنها تواجه مائة ألف جندي مصري في خلال ساعات قليلة.

في حياتي كلها، منذ كنت طفلاً، لم أشاهد جندي متحمساً ومنفعلاً كما شاهدته وهو يحكي هذه الحكاية، مرات وراء مرات، وأعواماً وراء أعوام، كان وجهه يصطبغ بلون الدم، وكانت عيناه تغرورقان بالدموع، وكانت ملامحه تحتلج

وتتقلص، ويتسارع شهيقه وزفيره مُصاحباً بصوت كالأنين، وكنت أحياناً من فرط حماسته، أنسي أننا نجلس في بيتنا، وأتخيل أننا معه في ميدان الشهداء، ما زلنا في حفل الإفطار الذي لم ينته. كنت أحس بمذاق الطعام وأسمع دوي الرصاص وأشم الدخان وأرى الدم.

كان جدي يحكي نفس الأحداث في كل مرة، لكنه كان يزيد في مرة وينقص في أخرى، ويركز على جانب في رمضان، لكنه في رمضان التالي يركز على جانب آخر، كما أنه كان يطعم الأحداث بما لم يكن معروفاً يوم ذلك الحفل، والذي كشف عنه بعد ذلك اليوم بأعوام طويلة، بسبب قانون حرية المعلومات، والذي بمقتضاه فتحت أضياب المخابرات الأجنبية، وعلاقتها بحكامنا، كاشفة من التفاصيل المخزية ما لم يكن يتصوره عقل.

قال جدي أنه في شبابه الباكر كان يظن أن كمال أتاتورك أخون المسلمين وأن محمد دحلان أخون العرب، لكنه بعد أن انكشف الخبيثاء أدرك أنه ما من حاكم مسلم إلا وكان أتاتورك، وما من حاكم عربي إلا وكان دحلان.

لطالما تساءل جدي عن الحد بين الذي خططت له قيادات الإخوان بالفعل وبين التداعيات التي حدثت بعد ذلك ولم يكن تصرفهم إزاءها سوى رد فعل لتداعيات لم يحسبوا حسابها. وذات مرة قال وهو يلهث: فاجأتنا الأحداث، كنا كمن يدفع عربة معطوبة على منحدر، وفجأة انطلقت السيارة فحاولنا كبحها لكنها جرتنا خلفها. كان جدي جزءاً من التخطيط فله إذن أن يتحدث بعين الشاهد المشاهد. وله أن يتساءل ولو بعد الحدث بنصف قرن: ما هو الأمر الذي دبر الإخوان له وأعدوا له العدة؟ من المستحيل أن يكونوا دبروا لوجود العشرة ملايين الذين سدوا قلب المدينة. بل إن رقم المليون كثير، يقول جدي وقد كان قريباً من الأحداث أن أملمهم كان لا يتجاوز حشد مائة ألف، وكان المتشائمون لا يتوقعون أن يأتي أكثر من

عشرة آلاف، فالمخاطر جمة، والطاغوت سفاح دموي لا يرتوي أبدا من الدماء، كما أن الأمن جبار ووحشي وقاس ومجرم. قال جدي وما يزال الانفعال يأخذ بتلابيبه وما يزال يلهث كأن الحدث يحدث لتوه: لقد أعدوا حسب طاقتهم، أقصى طاقتهم، أعدوا ما استطاعوا فبجاءهم نصر الله. سخر لهم حتى أعداءهم ليحتشدوا معهم. كما أن ما حدث بالقدر الإلهية يفوق أعظم التخطيطات وأكثرها عبقرية. كان تدبير الله، وكان مكره خير الماكرين، لقد كان الأمن يتصور عددا محدودا من الحضور الصائمين، كان يتصور حضور ألفين سيحاصروهم ويشتتهم بعشرة آلاف، لكنه فوجئ أن المحاصرين ليسوا ألفين بل مائة ألف، ثم استدعوا الجنود المحيطين بالعاصمة ليشاركوا في الحصار، وفي خلال ذلك كان مئات آلاف الصائمين قد توافدوا فحاصروا دون تخطيط الجنود الذين يحاصرون الصائمين، لكنهم عندما تركوا أماكنهم حول العاصمة تدافع الملايين فحاصروهم، وتم استدعاء تعزيزات من كافة محافظات الجمهورية فجاءت على عجل وحاصرت الجماهير، لكن ملايين أخرى تدفقت فأصبح الكل يحاصر الكل.

بكي جدي وهو يحكي كيف أحس بملابسه مبتلة، وتحسسها فوجد دما دافئا، لم يكن دمه، كان دم شاب بجواره، لا يعرفه، كان قد أصيب بطلقة رصاص. كان من المستحيل نقله إلى المستشفى، أو حتى إسعافه، وظل ينزف حتى أسلم الروح بين يديه، كانت الأوامر الهيستيرية المسعورة قد انهالت على الجنود: اقتلوا الناس جميعا، انسفوهم نسفا، مزقوهم، افرموهم. خرج الطاغوت (المفدى!) على شاشة التلفاز ينادي بسحق الإرهابيين وقتلهم أيا كان عددهم وأينما كانوا، ووجه إنذارا إلى الصائمين أنه سيفرق حفلهم الإرهابي بالدبابات والطائرات، وكان معنى هذا أنه سيستدعي الجيش. بثت الخطبة شاشات ضخمة لا يدري جدي كيف ولا متى نصبوها.

كانت الأوامر المشددة علينا - يقول جدى - ألا نحمّل معنا كل ما يمكن أن يشبّه أنه سلاح، فلا عصى ولا حتى أمواس حلاقة أو مقصا لقص الأظافر. كانت الأوامر المشددة ألا نرد على إجرام السلطة بالعنف. وكانت الخطة التى بلّغوا بها أن ينصرفوا بعد صلاة التراوىح، وبغض النظر عن النوايا، فإن الواقع الميدانى قد جعل ذلك مستحيلا، كيف كان يمكنهم الانصراف والشرطة تحاصرهم والناس يحاصرون الشرطة التى تحاصر الناس، والشرطة تحاصر الناس الذين يحاصرون الشرطة التى تحاصر الناس، وهكذا إلى ما لا نهاية. هل كان ذلك ضمن المتوقع؟ هل كان جزءا من التخطيط، لا يجزم جدى بالأمر، لكنه يرجح أن الأحداث هى التى ساقّت الجميع رغما عنهم. لكن على أى حال، كان هناك توجيه بالانصراف فى هدوء إذا تيسر الانصراف، فإذا لم يتيسر، كان هناك أمر ببدء الاعتكاف. وكان عنف الشرطة الإرهابىة متوقعا، وكانت الأوامر ألا نقاوم ولو بالحركات الرياضىة التى كنا نارسها فى النوادى الرياضىة، فذات مرة منذ سبعين عاما اتهمت السلطة الغادرة شبابا يمارسون الرياضىة بأنهم يدبرون للانقلاب على نظام الحكم. يقول جدى أن أحد إخوانه صرخ: هل تمنعوننا من المقاومة إذا ما تطورت الأمور على غير ما نحب؟ أتركهم يقتلوننا دون مقاومة؟ وكانت الإجابة الحاسمة الصارمة الباترة: نعم، دعوهم يقتلونكم، سوف تنتصر العين على المخرز، والصدر العارى على الخنجر، وعلى الدم المسفوك سوف تنبت شجرة الولاء والبراء. ولكن الحقيقة أنه لم يكن هناك توقعات لمذبحة، توقع المتفائلون أن يكون عدد الشهداء سبعة أو ثمانية، وألا يزيد عن عشرة، المتشائمون تكلموا عن مائة أو مائتين، فى اليوم الثالث قيل أن عدد الشهداء تجاوز عشرة آلاف، والغريب أن قتلى الشرطة كانوا ألفا، المؤكد دون شك، هو أن الإخوان لم يقتلوا شرطيا واحدا، كان الشيوعيون أذل وأهون وأجبن من أن يقتلوا هذا العدد أو حتى معشار معشاره، وكانت معظم الحركات السياسىة الأخرى إما هزيلة لحد المهزلة وإما عميلة، كانت شاشات التلفاز الضخمة

المنصوبة تتحدث عن الإرهابيين الذين يقتلون رجال الشرطة، بل وبلغ الأمر، أن هذه الشاشات أذاعت، أن السلطة قد اكتشفت تفاصيل مؤامرة الإرهابيين آكلة لحوم البشر، و أن القانون سيأخذ مجراه، لمعاقبتهم على جرائمهم التي لم يسبقهم إليها في التاريخ مجرم، وأكدت الشاشات الضخمة، أن الإرهابيين يأسرون رجال الشرطة المسالمين ثم يلقون بهم في نهر النيل، ثم تطور الأمر بعد ذلك ليكون التعذيب والقتل البطيء هو المآل. ثم بلغ الأمر منتهاه عندما أذاعت الشاشات الضخمة أن الإخوان المعتكفين يقتلون رجال الشرطة ثم يطهونهم ويأكلونهم بعد أن شح عندهم الطعام، وقد قدمت الشاشات مئات الأدلة على ذلك، ولكن أكثرها إفحاما كان اعترافات مجموعة من الإخوان، أكدوا أن المرشد العام نفسه قد أمرهم بذبح رجال الشرطة والتهامهم، وأكد المتحدث أنه شخصيا أكل من لحم عقيد وملازم وجندي. وقدمت الشاشات الضخمة صورا تجمع بين هؤلاء وبين المرشد، وانفجرت الفضيحة عندما صرخ أحد المحتشدين: لا تصدقوهم: هذا الرجل أخي، وهو ليس من الإخوان، بل من الشرطة السرية، وانتشرت الحقيقة انتشار النور، خاصة عندما تجاوز بعض الإخوان التعليمات، فاستطاعوا بحركة بارعة أسر الرجال الثلاثة الذين زعموا أنهم من الإخوان، و أن المرشد هو الذي أمرهم بذلك، أسروهم، وكانت بعض الفضائيات قد صمدت، أو سُدَّ عليها منافذ الهرب، فبثت صورهم واعترافاتهم على الفور، حيث أقرّوا أنهم من رجال الشرطة السرية، ولكن، على الرغم من هذا بقي الواقع دون تفسير، واقع أن ألف شرطي قد قتلوا، وكان الأمر واضحا عند الإخوان لكن قطاعات الشرطة لم تفهمه إلا في اليوم العاشر، يوم التحول العظيم، كان القتلة قوات خاصة من الشرطة نفسها!! كان الطاغوت قد أدرك خطورة ما يحدث، فدبر لإذكاء الفتنة وزرع الشارب بين الشرطة وبين الناس، فدفع ببعض رجاله لقتلهم. حاول بعض الإخوان إثبات ظنهم بأسر بعض هذه القوات الخاصة، لكنها كانت مدربة تدريباً عاليا جدا، لذلك انتهت كل محاولة

لأسر أي واحد منهم بالقتل، لكن الفرج جاء من حيث لم يحتسب أحد، وحدث التحول، كيف حدث؟ لا أحد يدري بالضبط. قيل أن شرطيا هشم رأس أحد المعتكفين بهراوته، كان قد غافله وهاجمه من الخلف وهو يتجرع آخر جرعة ماء قبل الإمساك، وسقط الرجل على ظهره فرأى الجندي وجهه، كان أباه. وقيل أن شرطيا أصاب معتكفا إصابة بالغة، فانبتق الدم كنافورة منه، وفي هذه اللحظة بدأ أذان المغرب فإذا بالمصاب يقدم إلى الجندي تمرة ليفطر عليها، وقيل أن جنديا قتل أخاه، لكن هل كانت هذه الأحداث الفردية على فرض صحتها هي سر بداية التحول، حين خلع الجنود بزاتهم العسكرية وانضموا إلى الناس، أم أن الغضب قد تفجر عندما اكتشف رجال الشرطة أن من يقتلونهم إخوانهم وزملاءهم، وانتشرت شائعات هنا وهناك عن كيفية اكتشاف الأمر وتباينت الرؤى، فقد انتشرت شائعة، عن جندي مذبح طفت جثته في نهر النيل، لكن الغريب فيها أنها كانت تتحرك عكس اتجاه التيار، وعند مقياس الروضة حدثت المعجزة، فقد ردت إلى الجثة الحياة، فنهضت وسارت على الماء حتى الشاطئ، واشتعل الناس حماسا وذعرا وذهولا أمام المعجزة وساروا خلف الجثة التي ردت إليها الحياة، واستمر الموكب يتزايد حتى وصلوا إلى معسكر من معسكرات الأمن، وحاول الجنود سد الطريق أمام الناس بالمتاريس، لكن الجثة الحية أزاحت المتاريس كما لو كانت تزيح قشة أو كتلة من الإسفنج لا من الحجارة، واقتحم الموكب المعسكر، وظلت الجثة الحية تتحرك حتى قبضت على ثلاثة جرتهم بمتهى السهولة وألقت بهم في وسط المعسكر، كان منهم قائد المعسكر وأحد ضباطه وجندي من جنوده، وتحديث الجثة الحية فأمرتهم بالاعتراف بما حدث، فاعترفوا أنهم هم القتلة، وأن الأمر بدأ بالطاغوت ثم بالوزير ثم بالمدير الأعلى ثم بالمدير ثم بالجندي. عندما تم ذلك، بدأ الدم ينزف من عنق الجثة مرة أخرى، فسارعت بالعودة إلى النهر، لتمشى على الماء داخله كما مشت خارجه، وفي المنتصف، سلبت الحياة، وسقطت الجثة لتعوم في وسط النهر، لكن

هذه المرة مع التيار. أكد جدي أنه لم يصدق تلك الشائعة، والتي لا تعبر إلا عن عجز الناس عن اقتناص ما يريدونه في الحياة فيقتنصونه بالوهم، فما الشائعة إلا وهم. ما يعتقد جدي، أن قبضة الشرطة كانت قد تهاوت بعد منتصف رمضان، وعندما وهنت قبضة الطاغوت الجبار بدت للشرطة سوءاتها، وأن ما يفعلونه إجرام يفوق إجرام أشد العصابات إجراما، لاحت بوادر عهد جديد فاستيقظت ضمائر ما هي بضائر، عندما بدأ ربهم يتهاوى بدءوا يخافون عواقب جرائمهم، وربما يكون بعضهم - وهذا مستبعد - قد خشي عقاب الله الواحد القهار.

يعلم الله هل تم كشف الأمر بيقظة ضمير أم كبراءة من نظام أو شك على التلاشي وتزلفا لنظام يوشك أن يأتي. فقد تم كشف الأمر - بعيدا عن الشائعات - عندما تقدمت إحدى الفرق الخاصة التي كانت مكلفة بقتل رجال الشرطة، تقدمت لتعلن توبتها إلى الله وانضمامها إلى الناس معترفة بكل شيء.

ليس ثمة اتفاق حول تفاصيل الأحداث الدقيقة في تلك الأيام. انتشرت الشائعات، وتناثرت الأقاويل، ويعترف جدي أنه لم يصدق جل هذه الشائعات وتلك الأقاويل، فقد كان دائما يحترم العقل ويقدم المنطق، فكيف كان له أن يصدق تلك الشائعة التي أكدت أن البعض شاهد الإمام الحسين يخرج من ضريحه ممتطيا جواده شاهرا سيفه ليقود المعتكفين مرددا آية:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج].

قال جدي أنه لم يصدق تلك الشائعة لكن الناس والجنود صدقوها، وتدافع الآلاف بل والملايين ليكونوا تحت راية الحسين رضي الله عنه، وقد علم جدي فيما بعد، أن تلك الشائعة أقلقت قيادات الإخوان إلى حد كبير، كانت تخشى أن يكون شيطان من أتباع الطاغوت هو الذي أطلقها كي يغير مسار الثورة، وبعد اشتداد الكرب والموت والأشلاء والجوع ونقص الأموال والطعام انتشرت شائعة أخرى

أن السيدة زينب خرجت من ضريحها وجعلت من حيتها ملاذاً آمناً يأوي إليه من أراد من الشرطة والناس، وأنها أخذت تعالج المرضى وتداوي الجرحى وتدفن الموتى. لم يصدق جدي الشائعة رغم أنه أقر أنه ذهب إلى هناك ليضمّد جرحاً أصابه، ولم يقتصر الأمر على ذلك، فثمة شائعات انتشرت عن رؤى صادقة رأى الناس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن جدي رفض بإصرار أن يخوض في الأمر منزهاً الرسول صلى الله عليه وسلم عن قول لا يمكن إثباته.

قال جدي أنه وإن كان قد رفض الشائعات إلا أنه لا ينكر ذلك الضوء الخفي الذي كان ينير ظلمة مدينة انقطع عنها التيار الكهربائي، ليس ضوء القمر والنجوم، وإنما ضوء التسليم لله والإيمان به، ضوء الرضا والتوكل والحمد، كما لا ينكر حالة الطمأنينة والسكينة المخيمة على المعتكفين وسط الرصاص والدم والأشلاء والموت.

لم يأت اليوم الخامس عشر من رمضان إلا وكانت الشرطة كلها قد ذابت! خلع الجنود ثيابهم العسكرية وانضموا إلى الناس، وارتفعت المشاعر إلى عنان السماء، وفي دعاء القنوت، الذي كان ينطلق من بعض المساجد في صلاة الصبح، ومن بعضها الآخر في وتر العشاء، ارتفع عدد من يبكون خشوعاً وتأثراً وخوفاً من الواحد القهار، وقيل أن ارتفاع عدد المصلين ليس بسبب زيادة الإيمان فقط، بل إن كثيراً من رجال الشرطة، بعد أن انضموا للناس، وذابوا فيهم، وعاشروهم، أدركوا أي نوع من المجرمين كانوا، عندما كانوا يعذبون هؤلاء الناس ويقهرونهم ويزورون أصواتهم.

أسقط في يد الطاغوت، كان ما يزال لديه عدداً كبيراً من جنود الأمن، نصف مليون على الأقل، لكنه لو وجههم لحصار الجماهير المعتكفة، التي انضم إليها مليون من الشرطة، لحدثت مذبحة لا يعلم مداها إلا الله. على أي حال فإن نصف المليون

الباقى لم يبق على حاله، فنصفه على الأقل قد ذاب!!، خلعوا ملابسهم العسكرية وانضموا إلى المعتكفين. الباقي من الشرطة كانوا من كبار السن القائمين بالأعمال المعاونة. ولم يكونوا يصلحون لأي مواجهة.

أذاعت الشاشات الضخمة أن الإرهابيين أقاموا محاكم خاصة أخذوا يحاكمون فيها ضحاياهم المختطفين من المسؤولين، لكن بعض الفضائيات التي تمكنت بصورة أو بأخرى من التواجد، بالإضافة إلى بعض المواقع الإلكترونية التي راحت تغطي الحدث بطريقة غير معروفة، فأذاعت هذه وتلك، أن بعض ضباط القسم السياسي يحاولون التسلل وتحرير الجنود على بعضهم البعض وعلى الناس، بل إن بعضهم حاول تفخيخ بعض السيارات والأماكن، كي ينسبوا الفعل إلى الإخوان، أمسك بهم الجنود وحاكموهم، واعترف الضباط، وكاد الجنود يقتلون بعضهم، لولا رجاء حاسم من الإخوان أن ينتهي الأمر دون إراقة قطرة دم واحدة.

كان عدد الثائين من الجنود كبيرا، وتاب بعض صغار الضباط، أما كبار الضباط فلم يتب منهم إلا أقل القليل، لكنهم رغم قلتهم حملوا معهم كما هائلا من المستندات والأسرار، وكان ضمن ما فصح، أنه لا توجد قضية واحدة للإخوان منذ عام ١٩٢٨ وحتى أيامها: ٢٠١٩، قدمت كما صورها الأمن أو الإعلام، وأن معظم هذه القضايا كانت تنسج تفاصيلها في أروقة المخابرات الأجنبية، وبعضها في الموساد.

قال جدي أنه فكر كثيرا جدا دون أن يصل إلى نتيجة حاسمة، فكر في اللحظة التي أدرك فيها الإخوان أنهم أمام ثورة شعبية كبرى، وأن عليهم ألا يكرروا خطأهم في ١٩٥٢ و ١٩٧٧ عندما كانوا هم وقود الثورة لكنهم تركوها ليستفيد بثارها اللصوص والأشرار. وثمة بدايات كثيرة تصلح لتكون بداية هذا الوعي، منها على سبيل المثال، أن الموظفين في المطارات والموانئ لاحظوا حركة تهريب ونزح

هائلة لكبار المسؤولين، كانوا يهربون محملين بما خف حمله وغلا ثمنه، وأن الموظفين بادروا من تلقاء أنفسهم بإلقاء القبض عليهم واحتجاز المسروقات، وإيداعهم سجن المطار، ودون اتفاق مسبق فعل موظفو البنوك نفس الشيء. لقد رفضوا تحويل الأموال أو صرفها.

انفرط عقد السلطة، وبدأت الاعترافات تتوالى، والفضائح تنتشر، فالأمين ليس إلا لصاً، والمؤمن ليس إلا خائناً، وكشفت الاعترافات الأولية عن حجم هائل من الجرائم في حق الأمة، حجم لم يمكن لأحد أن يتصوره، كانت الخيانة كاملة والعمالة كاملة والاتفاق مع أعداء الأمة ضد الأمة كاملاً. وفي الوثائق السرية والمراسلات التي كشفت، كانت المؤامرة على الإسلام واضحة وكاملة، ليس على الإرهاب، بل على الإسلام، على القرآن، على الأحاديث، على الصحابة، على السنة، كانت المؤامرة كاملة، وافتضحت كل تفاصيلها. ولم تكن على الدين كدين فقط، بل بغض النظر عنه، كان استهدافهم له لأنه أهم رابط يحمي الأمة والدولة والناس. وكانوا هم يريدون تدمير الأمة والدولة والسيطرة على الناس. كان الإسلام هو الراية الوحيدة الكفيلة بحشد الأمة، ولذلك كان على العدو تمزيقها، ولم يشارك في تمزيقها إلا خائن مارق. فالملاحدة الإسرائيليون لم يكفوا عن الدفاع عن اليهودية لأنه يعلمون أنها الرباط الضام الذي يحمي الدولة من الانفراط.

قيل أن الطاغوت أمر الجيش بالتدخل، لكنه ووجه بموقف صارم من قياداته، قيل أن تلك القيادات رفضت التدخل رفضاً باتاً، وقيل أن بعض كبار القادة زاد على ذلك أنه لو تدخل الجيش فسوف يتدخل لعزل فخامته ومحاكمته، لأنه لم يتصرف كرئيس جمهورية بل كرئيس عصابة، وأن ما يمنع الجيش من التدخل هو قرارات سابقة صارمة بعدم التدخل في الحياة المدنية، بعد تجربتهم المرة منذ عام ١٩٥٢، حين ورطوهم ليكونوا ضد الأمة، وتوالت على الجيش الهزائم، لولا أن

جاء نصر العاشر من رمضان ليعيد الجيش إلى موقعه في ضمير الأمة، وأن قيادات الجيش، قد اتخذت بعد نصرها المجيد آنذاك قرارات نهائية بعدم مواجهة الأمة، لكنها لم تستطع الالتزام الكلي بهذه القرارات، بعد أن ورطها الطاغوت في محاكمات عسكرية لا ناقة لها فيها ولا جمل، إلا تنفيذ أغراض الطاغوت ورغباته، التي لم تكن سوى أغراض أجهزة المخابرات الأجنبية ورغباتها، حيث لم تكن تلك المحاكمات نفسها تعلم، أن تلك المحاكمات كانت في كثير من الحالات تنفيذًا لاتفاقات أبرمها الطاغوت مع مخابرات أجنبية، وكانت جزءًا من مخطط الحرب على الإسلام.

قال جدي أنه لم يكن أحد يتوقع ما حدث في ليلة القدر، كان الناس ما يزالون معتكفين، وكان عددهم يزداد، حتى قال قائل أن الناس قد هجروا المدن والقرى والنجوع، وأن المائة مليون مصري يعتكفون جميعًا في شوارع القاهرة، بل قيل أن عددًا كبيرًا من الأقباط انضم إلى الحشد الرهيب. وكان صوت الطاغوت يجلجل كل مساء على الشاشات الضخمة مهددا الناس بالويل والثبور وعظائم الأمور، ولكن الشائعات كانت قد بدأت في الانتشار عن انهيار النظام بعد انهيار القوة التي تحميه، وفي ليلة القدر، كان الناس يجأرون بالدعاء أن يكشف الكرب، وفي صبيحة ليلة القدر، أعلنت إسرائيل أن الطاغوت قد لجأ إليها، وأنها تضمن حريته وحياته. وذكرت وكالات الأنباء أن هذه الصفقة هي أكبر صفقة في حياتها، فقد كانت ثروة الطاغوت التي نهبها من شعبه، تتجاوز السبعين مليار دولار.

في نفس الليلة، نجح خمسة آلاف على الأقل في اللجوء إلى إسرائيل، منهم وزراء وقادة وضباط أمن وأعضاء نيابيين وقضاة ونواب عموم سابقين ورجال أعمال. لكن التحقيقات مع الجزء الذي لم يتمكن من الهرب في الوقت المناسب، كشفت عن أن كل ما نشرته صحافة المعارضة، وكل ما روجته الشائعات، رغم فظاعته، كان لا يكاد يذكر أمام الحجم الحقيقي للفساد واللصوصية والخيانة التي تم الكشف عنها.

- ١١ -

يقول جدي أن الإسلام الذي غاب عن مصر منذ غزوة نابليون قد عاد يومئذ، وأصبح الإسلام هو المرجعية لحكومة مدنية، وأن مصر، الدولة المحورية، قد عملت كالنواة، فراحت تجمع حولها الأطراف، وفي خلال ثلاثة أعوام بعد سقوط الطاغوت سقط كل طواغيت العرب، تماما كما يحدث في لعبة الدومينو الشهيرة، وفي خلال سبعة أعوام سقط كل طواغيت الدول الإسلامية، وبعد عشرة أعوام، أي في غرة رمضان ١٤٥٠ هجرية، الموافق ١٦ يناير ٢٠٢٩، تم إعلان الولايات الإسلامية المتحدة، لتشكّل ربع العالم وقلبه.

- ١٢ -

قال جدي، أنه عندما صفت النوايا، وتوقفت السياسة عن أن تكون عنصر فساد وإفساد، أمكن حصار وحصر الخلافات بين السنة والشيعة، فأصبحت لا تزيد عن الخلاف بين مذهبين من مذاهب أهل السنة، وكانت إيران إقليما هاما في الاتحاد الإسلامي، وكان سلاحها النووي المتطور درعا لحماية الدولة الإسلامية التي عادت أقوى قوة في العالم، رغم الفتوى الصارمة بتحريم استعمال السلاح النووي إلا في إطار العقاب بالمثل وردا على هجوم نووي.

- ١٣ -

كنا في غاية الدهشة حين أخذ جدي يحدثنا عن شكل العالم منذ سبعين عاما، واستبد بنا الدهول عندما عرفنا أن الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت كانت أقوى من دول المسلمين مجتمعة، وأنها كانت تذلهم وتهينهم وتسومهم سوء العذاب.

- ١٤ -

حكى لنا جدي وهو يضحك عن الخلاف الذي نشب بين دولة زالت كان

اسمها إسرائيل وبين الولايات المتحدة الأمريكية، فقد بلغ حجم الأموال المهربة التي سرقها اللصوص الذين لجئوا إلى إسرائيل أكثر من ألف مليار دولار، وكان ذلك مبلغا هائلا في ذلك الزمن قبل انهيار الدولار وصعود الدينار، وطلبت إسرائيل من اللاجئين إليها تحويل تلك الأموال لاستثمارها فيها، وكان معظم الأموال مودعا في بنوك أمريكية، ورفضت أمريكا التحويل، وأصررت إسرائيل عليه، وجعلت التحويل شرطا للجوء وإعطاء جواز السفر. فحيل بينهم وما سرقوا. وقيل أن هذا كان بالاتفاق بين الدولتين، وأنها اقتسمتا الأموال، وقضى ثلث اللصوص من القهر، وهلك ثلثهم من الجوع والفقر، وبقي الثلث الثالث يتسول.

- ١٥ -

قال لي جدي أن من أعجب ما رآه في عمره، أنه مر يوما على قصر الطاغوت في الجزء الجنوبي من الضاحية الشمالية، وكان المرور يتوقف في العاصمة كلها عندما يأتي الطاغوت إلى القصر، كان رئيس الحرس لواء، وقد انتظر الطاغوت نهارا ونصف ليل، فأهلكه الإرهاق والتعب، ففرش أوراق صحف ونام على الأرض يتقلب في مدخل البوابة التي سيدخل منها الطاغوت، ثم مر الزمن، وخربت بيوت الطاغية، ومررت يوما على ذات المكان: فرأيت فلاحا وقد ربط حمارة في نفس المكان، وكان مستلقيا في ذات المكان الذي رأيت فيه اللواء، وكان يتمرغ في التراب.

- ١٦ -

رتل جدي:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَنقَبَةُ﴾

مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِبَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ [النمل].

- ١٧ -

قال لنا جدي أنه رأى كثيرا من عجائب قدرة الله سبحانه وتعالى، ومن آيات ذلك أن رجلا صالحا في الزمن القديم اسمه خيرت الشاطر، كان كلما كون ثروة حلالا من كده وعمله استولى عليها الطاغوت ونهبها، حتى لقي ربه ولم يترك لأولاده إلا التقوى بينما الطاغوت يملك عشرات المليارات وربما أكثر، لكن جدي عاش حتى رأى أحفاد الطاغوت يتقاتلون حتى يحصلوا على الصدقات التي يخرجها أحفاد خيرت.

- ١٨ -

رتل جدي:

﴿ فَذَرْنَاهُمْ فِي عَمْرِهِمْ حَتَّىٰ نَحْمِلَ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا كَامِلِينَ ﴿٥١﴾ وَإِنَّمَا يُعِذُّهُم بِرَبِّهِمْ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٢﴾ تُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْفِتْرَةِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [المؤمنون].

- ١٩ -

قال لنا جدي أن ضابطا مجرما من القلم السياسي، وكان من الذين يعذبون الناس، وكان قد عذبه بوحشية قبل حفل الإفطار الرمضاني الشهير، صرخ جدي في وجهه:  
نعم.. أنا من الإخوان.

فصرخ في وجهه وهو معلق على الجدار والسياط تنهال عليه والكلاب تنهش لحمه:

ليس هناك شيء اسمه الإخوان يا حشرة.. سنبيدهم عن بكرة أبيهم.

ورد عليه جدي:

بل تبيد وأهلك الذي تعبد من دون الله وبيقون.

وواصل جدي:

بعد حفل الإفطار الشهير أنقذته من بعض ضحاياه الذين كانوا يعذبونه وكادوا يفتكون به. وفي السجن، كنت الوحيد الذي يزوره بعد أن تبرأ منه أهله، وعندما مات صليت عليه ودفنته في مقابر الصدقة، بعد أن استأجرت من يحمل نعشه.

-٢٠-

سألنا جدي

لكن ماذا عن تلك الدولة العجيبة التي دوخت المسلمين، تلك الدولة التي كان اسمها إسرائيل؟

و أجابنا جدي:

سقطت دون إطلاق رصاصة واحدة، سقطت قبل أن تكمل مائة عام، فبعد إنشاء اتحاد الدول الإسلامية، وبعد انهيار أمريكا وتراجع دور أوروبا، أدرك القاطنون فيها أنهم لا مكان لهم بيننا، غادروا وكأنهم كانوا يسكنون شقة مفروشة، وسمحنا لهم بالمغادرة، لكننا اشترطنا محاكمة كبار مجرميها.

-٢١-

سألنا جدي:

ولكن كيف انهارت أمريكا؟

فأجابنا:

أنهكتها أفغانستان ووضعتها العراق وفضحتها إيران ثم تكفلت تركيا والباكستان بالباقي فانهار اقتصادها وتفرقت شيعها وانطوت وانقسمت، وكان هذا من نعمة الله علينا، لأنها لو كانت قد احتفظت بقوتها ما كانت تترك مصر لأهلها. ولكانت قد بادرت بإجهاض الثورة، وقد تعالت بالفعل أيامها أصوات تناشدها بالتدخل لحماية الطاغوت كما فعلت دائما، ولكن حکامها رفضوا بحزم، كان عشرة

آلاف في أفغانستان قد أذلوهم، وثلاثون ألف في العراق قد مرغوا كرامتهم في  
الوحد، فكيف يفعلون مع مائة مليون مصري؟!

-٢٢-

قال لنا جدي أنه فتن في شبابه سياسي كان في الحزب الناصري حل الحزب  
وقضى عليه ثم انضم إلى جماعة المسلمين، وكان مما قاله: نصف أعضاء هذا الحزب  
يعلم أن الرجل كان عدوا للإسلام ولا يجوبون فيه إلا ذلك لكنهم يتسترون عليه  
مداينة للعامة وتجنباً لغضبهم، أما النصف الآخر فيجهل أنه كان عدوا للإسلام.

-٢٣-

وثائق المخابرات الأجنبية فضحت العملاء والجوثة لكن بعد أن انتهى الأمر، فما  
من شيوعي أو علماني إلا وكان مرتبطاً بجهة تحارب الإسلام، وكان عميلاً مأجوراً  
ويقبض الثمن.

ولقد تدخلت الدولة فصادرت ثمن خياناتهم.

-٢٤-

أصدرت الحكومة الإسلامية عفوا طال كل المتهمين إلا المجرمين الذين عذبوا  
الناس أو زوروا الانتخابات فقد نكل بهم وفضحوا وصدورت أموالهم الحرام.

-٢٥-

اجتهدت الحكومة كثيراً كي تمنع انتقام الناس ممن عذبوهم، وبرغم الجهد الجهد  
قتل الآلاف من الجلادين وماتوا ميتات بشعة، حتى بعد صدور الفتوى أن من يقيم  
الحد في ظل حكومة إسلامية مفتتت على السلطة.

-٢٦-

حكى لنا جدي كيف مرض الطاغوت في إسرائيل، واحتاج إلى إجراء جراحة  
خطيرة، وفضل أن تجرى له في الولايات المتحدة، فقد كان يخاف أن يقتله

الإسرائيليون أثناء الجراحة كي يرثوا أمواله، لكن الولايات المتحدة التي لم تكن قد تفرقت بعد رفضت منحه تأشيرة دخول لأنها كانت تخشى أن يستغل وجوده فيها لفضح الملابس التي صاحبت تجميد ثروته المهربة هناك، وأجريت الجراحة في إسرائيل، فمات أثناء إجرائها.

- ٢٧ -

في أيام جدي الأخيرة لم يكن يكف عن تلاوة القرآن وقراءة الأحاديث، رحمه الله رحمة واسعة.

- ٢٨ -

قال جدي قبيل موته:

« تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم يكون ملكا عضوا ، أو عاضا ( وراثيا ) ، ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه ، ثم يكون ملكا جبريا ، ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة. » رواه أحمد.

- ٢٩ -

كان جدي دائما يرتل:

﴿ وَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء].

- ٣٠ -

وكان يرتل أيضا:

﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [القصاص].

## أسوأ من المقالات : القصص !!

كان ذلك في عام ١٩٩٤، كان ما يزال بالسلطة شق عاقل، أو أقل حماقة، وكان هذا الجزء يعرف لصحيفة الشعب قدرها، ويدرك أنها فريدة، رائدة وعظيمة.. وكان الجزء الآخر يتلمظ للقضاء على الشعب (الصحيفة والأمة)

وكنت أيامها أكتب سلسلة من المقالات بعنوان: « لا ترشح نفسك مرة أخرى». واتصل أحد كبار المسؤولين من الشق الأقل حماقة وخيانة يحذر من أن مقالاتي تقوى الشق الأحمق الخائن، واقترح المسئول لتهدئة الوضع، ما دامت كتاباتي لن تتوقف رغم الإلحاح والضغط، أن تترك هذه الكتابات السياسة حيناً إلى الأدب.

وبدأت أكتب سلسلة من القصص..

كنت، قبل أن يكتمل الحصار، وتطفح الهموم، ويفيض طوفان الدم أمل أن أوسس مع غيري منهجا عربيا كاملا لكتابة القصة لا يخضع للمقاييس الغربية.. لكن.. لم تمهلنا الخطوب..

وعاد المسئول بعد شهر صارخا: أرجوكم دعوه يعود إلى كتابة المقالات لأن قصصه أسوأ بكثير من مقالاته.. إنه يستغل رخصة الأدب فيها كي يقول ما لا يمكن له أن يقوله في مقالة.. وكانت هذه القصص..

## القصة الأولى أطول قصة في التاريخ

بداية القصة:

.....

نهاية القصة

تمت!!..

حفل إفطار رمضاني

قصص قصيرة جداً

obeyikan.com

## جمال حمدان

قلت لجمال حمدان حين رأيتُه يحاول دون جدوي رسم خريطة لبلادنا فكلمها رسم بلدا أو مدينة انفرطت حدودها وتساقت مدنها أشلاء وتفجرت أنهار الدم بين ربوعها :

- فري كبدي أن تموت حريقا . .

قال في دهشة :

- لم أمت بالحرق، بل بالنزيف . .

نظرت إليه غير مصدق، فقال مؤكدا :

- نزت نصف دمي في هزيمة ٦٧، ثم نزفته كله في حرب الخليج.

## يأس

قابلت اليأس منتفخ الأوداج منتشيا بالانتصار الحاسم، فهرعت وامتنطيت جوادي شاهرا سيفي، وصرخت في عناد

- ومع ذلك لن أستسلم . . . حتى آخر قطرة دم سأقاوم . . . ثم أنني سأموت شهيدا . . .

فاعتلى على الفور دبابته الضخمة ووجه نحو مدفعها الصاروخي وقذائف اللهب ورد على ساخرا وهو يشير في زهو إلى نفسه :

- لكن اليأس هو الذي سيقتلك !!..

## بغْي

قابلت عمار بن ياسر و سليمان الحلبي وسعد إدريس حلاوة وخالد الإسلامبولي يشجون دما والرايات في أيديهم لما تسقط فهتفت نائحا :

- تقتلكم الفئة الباغية . . .

ففوجئت بأبي جهل يهتف خلفي شامتا :

- إنما يقتلهم من يخرجهم ...

صرخت فيه

- فمن قتل الحمزة؟! ..

\*\*\*

## لَيْل

رأيت الليل يحشد جيشا عرمرما ويقف عند التخوم يسد الآفاق كي يمنع  
النهار.

فأليت على نفسي أن أتسلل كي أحارب مع النهار حين يجيء ..

ورحت أبحث لنفسي عن طريق.... لكن الظلام كان كثيفا فضلت السبيل...

كما أنني انتظرت طويلا . . . .

لكن النهار لم يجيء !!.

\*\*\*

## فضيحة

سمعت الفضيحة تترنم بيت شعر عن الشرف ...

ورأيت العار يتشع بالنياشين والأوسمة ...

صكت مسامعي أهازيج الانتصار ينشدونها للهزائم ...

جاء أبو جهل يدعو للعلم ...

و أبو هب كي ينشر الأمن والأمان ...

والسادات يدعو للسلام ...

ويهوذا يبشر بدين جديد ...

ومبارك وعبدالله يدعوان أمريكا لتدمير بلد شقيق..

هرعت إلي داري . . . .

أغلقت بابي . . .

وقد تساقط لحمي . . .

\*\*\*

### إبليس

ذهبت مع وفود المهنيين إلي إبليس - بعد فوزه في الانتخابات - وشدت  
بحرارة على حافره قائلا :

- هنيئا فوزك المبين بالتزوير . .

نظر نحوي بإشفاق وقال باسمي :

- يا مسكين . . . لكنني بالتزوير أسقط !! . .

\*\*\*

### ظالم

رأيت الظلم يتفجر بالحوية والعنفوان والقوة والشباب . . .

ورأيت العدل شيخا مثخنا بالجراح نازفا . . .

رحت أتساءل في عجب :

- كيف استطاع أن يصمد ثلاثة ملايين عام ؟ .

\*\*\*

### إرهاب

شاهدت على شاشات التلفزيون في المحطات الفضائية خروج الحسين على  
شرعية نظام الحكم وإنكاره لفوز الخليفة يزيد بالإجماع في انتخابات سموها نزيهة،

ورأيتهم يرسلون إليه قوات الحرس الوطني والجمهوري مدججة بالسلاح الأمريكي والإسرائيلي لكنها كانت تحمل راية مكتوبا عليها: ﴿إِنَّمَا جَرَأُوا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَسَعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ...

رأيتهم بحكم القرآن - مفسرا ببنود النظام العالمي الجديد - يذبحونه .. وما زالوا !!.

\*\*\*

### النظام الجديد

لما انسدت أبواب الرزق الحلال ذهبت إلى بور سعيد أبحث في التهريب عن رزق حرام ..

اقتربت من الميناء فوجدت دي ليسيس يعتلي قاعدة تمثاله بشحمه وبلحمه .. سألته في دهشة :

- حسبتك قد متت .. وشبعت موتا ..

أجاب في بساطة :

- النظام العالمي الجديد .. ردني إلى الحياة .. !!

تساءلت في رعب :

- والإنجليز .. والحدويوي .. والسخرة .. هل يعودون أيضا؟.

أجاب في ضيق لغبائي :

- قد عادوا قبلي .. يا أحمق .. !!.

\*\*\*

## توبة

كبر سني ووهن عظمي وهدتني الاعتقالات وليالي السجن، وتعبت، فتحينت  
الفرص حتى انفردت بإبليس، وتبت بين يديه ..  
ولم أسجن مرة أخرى ...  
وراجت تجارتي وارتفع شأني ..

\*\*\*

## ثعبان

لما نبت من كتفي ثعبانان ينفثان السم في عروقي وينهشان لحمي فزعت ...  
هرعت إلي الطبيب أشكو مصيبيتي ...  
راح يحقنني بالترياق اكتفي بوقف تأثير السم وطفق يستر جدائل لحمي  
بالأربطة ...

صرخت فيه :

- بل أتيك لتستأصلها ..

نظر إلي بريية من لا يصدق أنني لم أفهم بعد وقال :

- كيف أستطيع ؟ وهذا الثعبان ممثل السلطة وذلك من الشرطة.

\*\*\*

## حنين

فتحت بابي فوجدت حنين يقف أمامه يحمل خفيه تحت إبطيه ولا يكاد يحفظ  
من فرط الضحك اتزانه، حاولت أن أفهم منه، أن ألملم من بين شذقيه المفتوحين  
حروفه، وأخيرا استطعت أن أفسر طلاس م كلماته :

- عشرون قرنا تسخرون مني . . . وها أنتم أولاء . . . من معسكر دافيد إلي  
مدريد إلي أوسلو إلي وادي عربية إلي النجم الساطع . . . وما من أحد منكم عاد  
بخفه . . . ولا حتى بسر واله . . .

\*\*\*

### أسواق

كنت أتجول في أسواق المدينة أبحث في متاجرها عن جرعة عزاء بعد أن شح  
وندر . .

فجأة قابلني عبد الله بن سلول والخديوي توفيق وخنفس بيك ومحمد بيك  
أبو الذهب..

ألفيتهم يشيرون إلي وينفجرون في الضحك . .

سألتهم غاضبا :

- أمني تضحكون ؟

تبادلوا النظرات والضحك ثم تساءلوا ساخرين . . شامتين :

- بعد كل ما جري : هل نحن كنا الخونة ؟ . . .

ولم أحر جوابا . . . !!

\*\*\*

### عوينات

كسلّ بصري حتى أصبحت أرى السماء زرقاء والسحاب بيضاء والمظالم سوداء  
والنور بلا لون . . ذهبت إلي الطيب، فوجم لحالي، وأخبرني أن أخطر ما أواجهه  
ليس العمي، وإنما السجن طبقا للقوانين الجديدة، ذلك إن لم يبادروا باغتيالي،  
وسألته :

- ألا يوجد حل ؟ ..

أجاب بيأس :

- أمامك سبيل واحد .. أن تلبس عوينات أمريكية .. والأفضل إسرائيلية ..

\*\*\*

### حلم

رأيت - في الأحلام - عيني تسقطان في حجري، فصرخ الناسك في لوعة :

- تسقط العراق وليبيا ..

ثم رأيت قلبي يسقط على الأرض، فصرخ الناسك الذي هرعت إليه كي يفسر

حلمي :

- مصر .. !!

ثم رأيت أطرافني تنفك وتحلل، فصرخ الناسك :

- إيران والسودان .. !!

ثم رأيت رأسي يتبخر في الهواء حتي يتلاشى، فأخذ الناسك يلطم خديه

ويصرخ :

- ضاعت الأمة .. !

\*\*\*

### جحا

لما رأيت جحا في السوق تهللت أساريري وانشرح قلبي، وأملت في ساعة هو

تنسيني همي، لكنني - لدهشتي - وجدت الهم يركبه فرحت أحاول أن أسري

عنه، سألته عن حكاية ابنه والحمار والناس، فانتفض غاضبا وامتطاني، وراح يلهبني

بسوطه ..

صرخت محتجا، فقال غاضبا :

- امتطاك الكل .. حتي أريتريا .. يا بغل .. !!

\*\*\*

## سلطان

دخلت دار السلطان ساجدا، بعد أن خلعت نعلي، ورجولتي، وكرامتي،  
وكبريائي، وديني وحتى عقلي، فاصطفاني وزيرا.

\*\*\*

## مجاعة

عمت المجاعة بلادنا وساد القحط، فأكلنا الكلاب والقطط، ثم رحنا نأكل  
بعضنا، وجاء البشير بوصول سفن النجدة والمساعدات من بلاد الفرنجة فهرعنا  
إلى الميناء، نلتقط أنفاسنا الأخيرة .. هاجمنا السفن والتهمنا ما فيها حتى قبل أن  
ندرك كنهه .. ولم نكتشف إلا بعد فوات الأوان ، أن ما التهمناه لم يكن سوى الذل  
والمهانة ..

\*\*\*

## يهودا

رأيت يهوذا يسلمني إلى مباحث أمن الوطن، فتسلمني بدورها إلى حاكم  
القدس الروماني، فيأمر بصليبي، فينصبون صليبا هائلا يمتد من الخليج إلى المحيط،  
ويدقون أطرافه بمسامير ضخمة على هيئة صواريخ كروزو، فمصلوبا لم أزل،  
وقلت لنفسي أن القتل أهون والموت أهون، وغلبني اليأس فهيمت بلوعة :

- إلهي.. لم هجرتني..؟.. لماذا قليتني؟!..

لكنني ما لبثت أن استغفرت قاتلا والنيران تستعر في حشاي :  
إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي، لكن عافيتك هي أوسع لي..

\*\*\*

### بحر

نهني إلى أن الاختيار نهائي، لا مجال لتراجع، ثم عرض علي إما أن يعطيني سمكة واحدة في يدي وإما أن يعطيني البحر كله، ورغم أنني كنت أصدقه، فقد أغرنتني طزاجة السمكة وقرصة الجوع فاخترت سمكة في يدي، وهرولت إلى بيتي يسيل لعابي، لكن السمكة كانت قد تفتتت، وسرعان ما تحللت، ورحت أندب حظي .

\*\*\*

### صاحب

صاحبي، أخي، أبي، ولي أمري وعاهلي، رأي ذبابة على وجهي؛ فالتقط سلاحه الآلي وأطلق الرصاص على الذبابة ....  
ما كنت ... أود... أن ... أفهمه ... قبل ... أن ... أموت...: هل .. كان ... دبا  
... غيبا ... أم ... ق... ص... د... ق... ت... ل... ي..

### فتاوي

قرأت في كتاب الفتاوي الجديد الذي أصدره النظام العالمي أن دم المسلمين حلال، وعرضهم مباح، واتحادهم حرام، ورأيت الوالي يدافع عن الشرع الجديد بكل همة، ففهمت ما كان قد غم علي .

\*\*\*

### غابة

رأيتني في غابة أرنباً لا حول له ولا قوة، ورأيت الحمار الوحشي يصارع الأسد فيصرعه، ويصبح الملك، وحاولت الفرار، وما زلت ..

\*\*\*

### غرق

رأيت سفينة السلطان تغرق فهرعت أحاول إنقاذها، فأمر السلطان بإطلاق الرصاص عليّ، ووزع النياشين والأوسمة على من راحوا يخرقون السفينة .

\*\*\*

### سلطة

تاقت نفسي للنفاق فذهبت إلى قصر السلطان فوجدت في مدخله جفنة مملوءة دماً علمت أنه من دم الحسين، فما من أحد يقترب من السلطان إلا إذا ارتشف منه رشفة، فجزعت نفسي، ورجعت ...

\*\*\*

### حداد

قابلت الملك مينا، وإخاناتون، ورمسيس الثاني، وصلاح الدين الأيوبي، وسيف الدين قطز، والظاهر بيبرس، وعلي بك الكبير، ومحمد علي، وإسماعيل، وسعد زغلول وجمال عبد الناصر. وحتى كافور الإخشيدي وأنور السادات، فرأيتهم جميعاً يلبسون شارات الحداد، فتساءلت وقلبي يكاد يتوقف عن الخفقان عن السبب. فتبادلوا نظرات الحزن الجليل وهم يومئون نحوي مشفقين، ففهمت، ورحت ألطم وجهي .

\*\*\*

## أسر

نجحت بما يشبه المعجزة في الإفلات من أسري لكنني سقطت في نفس اللحظة  
في أسر آخر ..

ورحت أكرر الحكاية ...

كل يوم ...

كل يوم ...

كل يوم ...

\*\*\*

## دكتوراه

عدت من الخارج أحمل شهادة الدكتوراه في الوعظ والإرشاد..  
راحت أمي الأمية، وأبي الحاصل على شهادة محو الأمية، يرسمان لي الطريق،  
ويختاران كل صديق، ويشكان في كل رفيق..

ورحت كل يوم أرثي لأمرهما، وأعجب لجهلها ...

وأتأمل الزمن الدوار الذي جعل الكبار صغاراً والصغار كباراً..

وحول الحكمة إلى حماقة والحماقة إلى حكمة ...

افتتحوا في حيننا داراً للبعث فصممت على الذهاب للوعظ والإرشاد ...

اشتد اعتراضهما وخباً - بالخبيل - خوفهما .. صرخوا احتجاجاً:

- كيف تقوم بمثل هذا العمل فتاة، وإن حملت الدكتوراه؟!

نزفت كرامتي دماً ... وصرخ كبريائي احتجاجاً ...

وامتلأت من جهلها اشمئزازاً ...

مثل هذا الفكر هو سبب تخلف البلد، وانحطاط الأمة، وسلبية الناس ...

تركتها .. وذهبت ألقى المواعظ . . .

..

بعد عام ..

كنت ..

أرخص بغي في المدينة . . .

\*\*\*

### إعدام

دھمنا جميعا - نحن أفراد القبيلة - كابوس، فصحونا من الروع في روع، وأرسلنا رئيس القبيلة إلى العراف نحكي له حلمنا، فأريد وجهه وأنذرنا بالشر والخطر والسنوات العجاف .

استعدنا قصة جد أبناء عمومتنا فشيدينا المخازن الهائلة نخزن فيها من يسرنا لعسرنا لكننا - بنصيحة العراف - لم نضع الخنطة والشعير بل خبأنا فيها روح القبيلة .. قسمنا المخازن إلى أقسام عديدة فمنها قسم للكرامة، وآخر للعزة، وآخر للنخوة، وآخر للشهامة، وآخر للحرية، وآخر للصدق، وآخر للشرف، وآخر للعدل، وآخر .. وآخر .. وآخر .. وعلمت القبائل المجاورة بأمر حلمنا فاستودعونا مثل ما أودعنا ..

رحنا نحرس المخازن بكل همة ...

لكننا والدهشة تغمرنا رحنا نكتشف كل صباح تناقص المخزون ...

ورحنا نبحت بكل فرع عن اللص الأثيم ...

استنجدنا برئيس القبيلة، وعقدت المحاكم ونصبت المشائق حتى دون أدلة قاطعة . أوشكت المخازن على النفاذ . . . فتعاهدت مع رهط من شيوخ القبيلة ألا

يطبق لنا جفن، وألا تغمض لنا عين حتي نكتشف السارق الأثيم .  
- في اللحظة التي اكتشفنا فيها السارق الأثيم، وهو يسرق من المخازن آخر ذبالة  
روح، عقدوا لنا محكمة عاجلة حكمت علينا بالإعدام دون أن يسمعوا دفاعنا . . .  
فقد كان السارق . . .  
هو . . .  
الرئيس<sup>(١)</sup> . . .

\*\*\*

### حمار

انخلعت أوتاد خيام القبيلة حين سمعنا أن هناك أقواما ما فتئت تعبد البقرة . .  
اشتعلت قلوبنا حمية وغضبا وغيرة . . فاخرنا وفدا من وجوه القبيلة صنعناه علي  
عيوننا فلبني، يشد الرحال إليهم عسى الله أن يهديهم علي أيدي أبناء قبيلتنا راجين  
عند الله الثواب .  
غاب الوفد . . غاب . .  
انصرفت الأيام . .  
هتكتنا الليالي . .  
دهستنا السنون . .  
جرت علينا المقادير . .  
أصابتنا المحن والإحزن . .  
ولدت الأمة سيدها . .  
تغلب الرعاع وساد السفلة وتسقم الصعاليك الذري . .

(١) نشرت هذه المجموعة في صحيفة الشعب عام ١٩٩٥ .

شاب الصبي، وقضي الرجال..

أنستنا الهموم وشدنا القديم..

فجأة ..

عاد شيوخ أوغلو في العمر جليلهم المشيب، فزعموا أنهم هم وشدنا القديم فما

كدنا نتعرف عليهم..

هالهم سوء حالنا ومآلنا..

راحوا يدرسون ويخططون ويفتحون الكتب التي أتوا بها معهم مما مروا به من

بلاد..

ثم جمعوا جمعنا ليقولوا لنا عن الحل الأخير الذي ينقذنا مما صرنا إليه..

إذ لا حل لنا - في رأيهم - إلا .....

أن نعبد الحمار .....



حفل إفطار رمضاني

القصص ... بعد مائة عام !!

oboeikan.com

## رأس السنة العبرية

احتفلنا اليوم بعيد عظيم، هو عيد رأس السنة، حيث يباح لنا فيه ما لا يباح في غيره من الأيام، وتضاعف حصتنا من الحشيش والأفيون.

ابني الأحق قال:

يا أبي .. لا يجوز لنا الاحتفال به .. إنها يجب أن نحتفل بالسنة الهجرية.

ورددت عليه في غضب:

يا أحق، هل تريد أن تهدم إنجازات مائة عام من الحضارة والحدائث والتنوير، هل تريد مقاومة العولمة؟ .. ثم أن العالم أصبح قرية كبرى يحكمها بنو إسرائيل، وقد ألغوا كل التقاويم ما عدا التقويم العبري الذي نحتفل به اليوم.

ثم همست له ناصحا:

-يا أحق .. الاحتفال برأس السنة الهجرية أو الميلادية محظور بحكم القانون .. والالتهام في حالة الاحتفال بهما من الاتهامات المشددة التي يتضمنها قانون مكافحة الإرهاب.

\*\*\*

## رهينة

قمت من نومي فزعا على كابوس و أضغاث أحلام كدرت علىّ اليوم كله .. إذ رأيتني متخلفا ينتمي للقرون الخالية أعيش حياة التطرف والشعارات البالية وأوهام المجد . . وفجأة رأيتني مارا على السجن فُصم سمعي من الصباح والنواح والعيول والبكاء، فوقفت أسأل:

-من المعتقل؟

أجابوا في ذهول:

-أخذوا مصر رهينة حتى يسلم العرب أنفسهم !!  
فصحوت من النوم فزعا ومستعيذا بالنظام العالمي الجديد.

\*\*\*

### نفق

شرع رئيسا إمارة خبير وإمارة بنى قريظة في حفر نفق تحت قبر الرسول ﷺ  
فهرعت إلى السلطان أستنصره وأصرخ :

-سوف يهدمونه كما هدموا المسجد الأقصى منذ مائة عام ..

نظر إلى في عناد وغباء وثقة وعنجهية وغرور قائلا :

لكنهم يحفرون تحت الأرض ولا يهدمون فوقها يا أحمق .. ألا تعلم أن سطح  
الأرض لنا وباطنها لهم؟ ..

فرحت أولول :

هكذا هدموا المسجد الأقصى منذ مائة عام ..

فقلت له :

يا أحمق يا متهور يا متطرف ... للحرم رب يحميه !!

\*\*\*

### تفوق

عادت ابنتي من المدرسة تكاد تطير، ويكاد الدم يتفجر من وجتها، وعلا  
صوتها حتى قبل أن تدخل صائحة :

-الأولى ... الأولى ...

التفطنا حولها نهني صائحين :

- مبارك .. مبارك ..

راحت تحكى لنا عن التفاصيل، حين جاء المفتش وراح يسأل التلاميذ عن أعظم حكام العرب في ألفى عام ، وأجاب التلاميذ الخائبون إجابات خاطئة، فقد قال واحد محمد بن عبد الله ﷺ فقال له المفتش بخشونة أنه يسأل عن الحكام لا عن الأنبياء، فقال آخر عمر بن الخطاب فطرده المفتش من الفصل، وقال الثالث عمر بن عبد العزيز فطرده، وقال الرابع صلاح الدين الأيوبي فطرده، وقال الخامس سيف الدين قطز فطرده، وقال السادس محمد الفاتح فطرده، وقال السابع أنور السادات فصمت المفتش وراح يقلب نظره فينا.

وواصلت ابتي الحكاية قائلة : عند ذلك رفعت إصبعي فطلب منى أن أجيب فقلت :

- أرييل شارون، وقد حكم في أوائل القرن الحادي والعشرين بعد الميلاد .

عند ذلك انبهر المفتش وطلب من الجميع أن يصفقوا لي.

و أضاف المفتش مزيدا من المعلومات فقال أن عبقرية شارون جعلته يبدأ حكمه بمذابح هائلة أباد فيها الأغيار الأشرار ..وفي خلال ذلك نجح في إشعال حرب عالمية منذ مائة عام، عندما دبر تفجيرات كبيرة في بلد كان اسمها أمريكا، وكانت منذ مائة عام إمبراطورية كبرى، لكنها دخلت في حرب طويلة مع بلاد كثيرة انهار بعدها اقتصادها وتفككت ولاياتها، ونشبت بين الولايات حروب كثيرة، وتحولت جميعا إلى دول من دول العالم الثالث لا تزيد تقدما عنا .وبعد أن أنهى المفتش شرحه منحني هذه الجائزة .

أخرجت الجائزة من حقيبتها ، فرحنا نتأملها فرحين ونحن نهتف :

- مبارك ... مبارك ...

كنا جميعا من السرور في غاية عدا ابني الإرهابي الذي تكدرت ملامحه واكفهر

وجبه ، وبصق.

## مظاهرات

اشتعلت مملكة الجيزة وإمارة أسوان ومملكة جيزان وسلطنة عدن وحتى صحراء بغداد بالمظاهرات وسقط عشرات القتلى، لكننا سمعنا أن القتلى بالئات في إمارات إمبابة و دمشق وجبل لبنان والأهواز وشبرا، وسمعنا أن شهداء سقطوا في مملكة الإسكندرية وسلطنة بنى سويف وجمهورية غزة العظمى وفي أرجاء كثيرة أخرى من أنحاء ممالك الشر التي كانت تسمى قبل تقسيمها: العالم العربي.

\*\*\*

## حشيش

كنت جالسا على المقهى مع أصدقائي من الصعاليك ندخن الحشيش ونشم الكوكايين والهروين، وانسطل واحد منا فقال:  
- من أعجب ما قرأت في تاريخ القرن العشرين أن مواطني ذلك الزمن كانوا يستطيعون السفر من القاهرة للجيزة دون تأشيرة خروج أو دخول .. ولم يكن على قناطر قصر النيل وعباس و 6 أكتوبر أي نقاط حدودية أو مكاتب للجمرك..  
انفجرنا ضاحكين على ذهاب عقله ، فاندفع يقول :  
- ليس ذلك فقط، بل كان يمكن السفر من القاهرة للإسكندرية دون أية إجراءات ، فقد كانتا مدينتين في دولة واحدة!!

\*\*\*

## إرهاب

قابلتني امرأتي بالصراخ والعيويل فهتفت فرعا :  
- مات الولد ؟ ..!  
أجابت بالدمع :

- ياليت ..

صرخت فيها:

- انطقي .. ماذا حدث؟

قالت :

- انضم إلى جماعات العنف والإرهاب ..

ناديت الولد على عجل ، وراحت هي تولول نادبة البيت الذي ستهدمه دبابات إسرائيل العظمى حين يكتشفون أمر الإرهابي الذي يقطنه .

سألت الولد في غضب عما حدث فأجاب:

- مجرد كتاب في تاريخ القرون الماضية ، ممنوع من التداول بأمر الحاكم العسكري الإسرائيلي.

أمسكت بالكتاب أتصفح، فإذا به مليء بالتخريف، وكتمت ضحكي، فقد كان مؤلفه أكثر انسطالا من صعلوك المقهى، وكان يقول أن الواحد منا كان يستطيع السفر من المغرب إلى أفغانستان دون جواز سفر.

التفت إلى امرأتي مطمئنا :

- لا تراعى .. هذا المؤلف حشاش .. وذلك الكتاب من الكتب الصفراء .

.. كتب الخرافة والسحر .

\*\*\*

### نجيب محفوظ

سمح لنا الحاكم العسكري بزيارة أقاربنا في إمارة العجوزة فاجتزنا الأسلاك الشائكة والحواجز الإلكترونية وقضينا يوما جميلا ، وعلا صراخ الأطفال وشجارهم وهم يتنابدون بعظماء التاريخ متفاخرين فصرخت ابنة الأقارب :

- نجيب محفوظ كان من العجوزة .

صرخت ابنتي :

- بل كان يعمل في المقهورة ..

همس لي ابني الإرهابي:

- اسمها القديم كان :القاهرة !!

قلت له :

- إياك والحشيش !!

فتمتم:

ثم أن نجيب محفوظ هذا كان من أنصار إسرائيل ..

فقلت له معنفا:

- وهذا ما يزيد من قيمته يا أحمق.

\*\*\*

### نشرة أخبار

لعن الله الناس، إنهم لا يصدقون نشرة الأخبار أبدا، ويتبادلون الشائعات رغم نفي المتحدث الرسمي اليهودي . وقد انتشرت شائعة اليوم عن انتصارات حققها الإرهابيون الذين يجاربون الحضارة والحداثة والعولمة منذ أكثر من مائة عام بعد أن استسلم العالم كله، وظلوا هم صامدين، أما ابني الأحمق فيسميهم أصحاب الرايات السود الذين لا يضرهم من يخذلهم .

\*\*\*

### احتفال

رغم المظاهرات ، أقام الحاكم العسكري احتفالا ضخما بمناسبة مرور أكثر من

---

مائة وثلاثين عاما على هزيمة بلد إرهابي كان اسمه مصر ، كان يريد أن يدمر اليهود رمز الحضارة والحداثة والعولمة والتقدم ، وهتفنا كثيرا ضد هذا البلد ، ولعناهُ ، ودعونا عليه .

وتتم ابني الأحق قائلا:

- هذا البلد كان بلدنا، وقد ظل متماسكا طيلة مقاومته لبني إسرائيل .. فلما استسلم لهم تفتت .

\*\*\*

### قرآن

قالت لي زوجتي لائمة مغاضبة :

- ستترك الولد يقرأ في الكتب الصفراء حتى يهلك ونهلك، وساعتها لن ينفعك الحشيش .

قلت لها جادا والدخان الأزرق يتشكل حولي فيمنحني سعادة أسطورية عندما أتوهم أني لم أوجد قط :

- لا تخافي عليه من الانضمام إلى الإرهابيين أتباع أسامة بن لادن، مادام لم يقتن القرآن أو البخاري .

\*\*\*

### روز اليوسف

احتفلنا اليوم بأقدم مجلة عربية في المنطقة الواقعة بين النيل والفرات واسمها روز اليوسف -ويدللونها بروزا -وقد كانت هي المجلة الوحيدة التي حصلت على ترخيص باستمرار صدورها في العصر الحديث . أما الصحيفة فقد كانت صحيفة الشرق الأوسط، والاحتفال بها بعد أيام، أكثر الله من احتفالاتنا .

## مظاهرات

ما أشد رعونة الطلاب وما أسوأ ما يفعلون حين يسيطر الظلاميون والإرهابيون على أفكارهم، واليوم كدروا مزاجي فلم أستطع الذهاب لتدخين الحشيش مع رفاقي، فقد قاموا بمظاهرة حمقاء تنادى بأن يعود الأذان للصلاة باللغة العربية كما كان قديما، وأن يتوقف الأذان بالعبرية.

قلت في غيظ :

- يا أبناء الأفاعي ، وهل ثمت من يصلى ؟ !

\*\*\*

## جمعة

اشتعلت المظاهرات اليوم أيضا لسبب غريب . فقد طالب المتظاهرون بأن يكون يوم الجمعة يوم عطلة رسمية أسوة بالسبت والأحد . وقلت لنفسي :  
- يا لنا من شعب كسول لا يجب العمل .

\*\*\*

## الإرهابي

يظهر أن أم الولد على حق، إما أن يكون إرهابيا أو أنه مجنون، وقد فاجأني اليوم حين كنت مع أصدقائي الصعاليك ندخن الحشيش والكوكايين والهروين، لم يشاركنا لكنه بدا أكثر انسطالا منا، وقف صامتا لفترة يحدق فينا ونحدق فيه ، وفجأة انطلق يغنى :

يحدق التاريخ في تاريخنا . . . بمنتهى الذهول ..

يقول : ماذا يا ترى . . . عساي أن أقول ؟ . . !

يجمعنا في كومة . . . يبعد عنا خطوة ..

يشد بنطلونه. . .

وفوقنا يبول (١)

فجأة.. ابتعد الولد عنا خطوة .. وفتح زمام بنطاله المتزلق... وبال علينا ..

\*\*\*

### تفسير

الإرهابي الرجعي المتخلف، عدو الحضارة والحداثة أوشك اليوم أن يوقعنا في مأزق خطير، فقد وقف في المسجد يحمل تفسيراً للقرآن غير الذي سمحت به السلطة الإسرائيلية، والذي انكبت عليه خيرة العقول الإسرائيلية تحت إشراف أعظم الحاخامات عشرات الأعوام حتى أنجزته فكان أعظم هدية للمسلمين، فبعدها جفت منابع الإرهاب وانقضت عصور الأساطير والخرافات.

همس الإرهابي للمصلين:

التفسير الموجود الآن كفر، وهذه هي التفاسير الصحيحة، ابن كثير وابن الأثير، وصفوة التفاسير..

وقاطعته غاضبا:

وماذا نفعل بتفاسير بنيامين وكوهين وجورج ودافيد ورفعت السعيد ونوال السعداوي يا رجعي يا متخلف.

واصطحبته إلى المنزل مسرعا وداعيا الله ألا يشي بنا واش.

\*\*\*

### احتفال

حضرنا اليوم احتفالا عظيما بيوبيل أنساني الحشيش نوعه : فضي أم ذهبي أم

(١) الشعر الوارد في هذه القصة للشاعر الكبير أحمد مطر.

ماسي أم حديدي، وتعددت الخطب وتعدد الخطباء عن أعظم مشروع هندسي في القرن الحادي والعشرين، ألا وهو هدم السد العالي الذي كاد يوردنا موارد التهلكة، وانهالت آيات الشكر على العبقريّة اليهودية التي كشفت لنا مخاطره وخلصتنا منه. وعدت إلى بيتي كي أوصل الاحتفال بالمناسبة القومية مع أبنائي وزوجتي، لكن الكهرباء كانت مقطوعة، والظلام كان دامسا.

\*\*\*

### شهادة

بلغت شهامة أصدقائي الصعاليك أنهم عرضوا أنفسهم لخطر الاعتقال من أجل، فقد فوجئوا بابني المسطول يرفع عقيرته في الشارع ويغنى أغنية قديمة اسمها: القدس عروس عربوتكم، فرفعوا عقيرتهم بالصياح وراحوا ينشدون نشيدا عبريا حتى ذاب في أصواتهم صوته، فاصطحبوه إلى البيت، وراحوا يحذرونني أنه لو - لا قدر الله - وسمعه العسس، لجاءوا، وهدموا بيتي.

\*\*\*

### صلاة

ذهبت إلى الصلاة - فهي مسموح بها - فركزت خطبة الشيخ التي تسلمها من مركز الخطب اليهودي الذي تم تأسيسه منذ مائة عام كي يمنعوا المساجد من أن تكون أوكارا للإرهاب، وتركزت الخطبة على لعن الإرهابيين والتحذير منهم، وعلى ضرورة طاعة ولي الأمر، وتذكرت ابني الذي يناصر هؤلاء الإرهابيين أتباع أسامة بن لادن، ونهش القلب قلبي.

\*\*\*

### فتوى

عمت المظاهرات وانتشر البلاء وافقد الأمن، وطاردنا الرصاص في الشوارع

كالذباب، وسقط العشرات والمئات والألوف فقلنا ليس لها من دون الله كاشفة، لكن وسائل الإعلام راحت تحثنا على سماع خطبة المفتي، وسمعناها متلهفين، فتلى قليلا من القرآن وقليلًا من الأحاديث ثم قال :

- من لزم بيته فهو آمن، ومن لزم الأمير فهو آمن، ومن لزم قصر الحاكم العسكري الإسرائيلي فهو آمن.

فلزمنا بيوتنا.

وراح ابني الإرهابي ينوح:

حتى المفتي .. يردد أقوال الأنبياء الصالحين من قلب كقلوب الشياطين .. فطفقت أنظر إليه في غضب وغيظ ..

\*\*\*

### أسامة بن لادن

صرخت في ابني حين أخبرتني أمه أن الانحراف قد بلغ به إلى غشيان دور سيئة السمعة تتاجر في شرائط الفيديو القديمة الممنوعة:

- إلا أسامة بن لادن .. كله إلا هو .. العقوبة على اقتناء شرائطه أضعاف مضاعفة فهو سيد المتطرفين بلا منازع.

تمتم ابني الإرهابي قائلا:

- الغريب أنه الوحيد الذي لم ينهزم أمامهم، وما يزال أتباعه يحاربونهم في جبال بلاد اسمها أفغانستان !!

\*\*\*

### استسقاء

صلينا اليوم صلاة الاستسقاء ودعونا الله كثيرا، فلقد جف الزرع وهلك الضرع واكلنا الجيف ولم يسقط المطر بعد، ابني الإرهابي الذي جف قلبه وقست روحه

راح يروج الادعاءات وينشر الأساطير والشائعات عن أيام لم يكن النهر فيها يجف قط .فسألته في استنكار وغیظ:

-متى و أين حدث ذلك، يا إرهابي يا مروج الإشاعات يا كذاب؟!!

فراح يشرح لي الأمر عن بلاد كان يمر بها نهر لا تجف المياه فيه، وقد كانت شقيقة، وكان اسمها السودان، إماراتها الآن تشكل جزءا من مملكة الحبشة المتحالفة مع بنى إسرائيل، وراح يهرف فلم أطق مواصلة السماع، وانصرفت إلى صلاة الاستسقاء وقد جف حلقي.

\*\*\*

### علامة استسلام

احتفلنا اليوم بعيد قل أن يتكرر بين القرون، إذ في إطار التطوير الشامل لكل مناشط الحياة وتحديثها وصل التطوير أخيرا إلى القرآن فتمت إباحة تلاوته بمعناه لا بلفظه، وإلى مناهج اللغة العربية التي كاد أن يهجرها الناس لفرط استعصائها على الألسنة، ولقد نحنا المنهج الجديد إلى التخفيف والتبسيط وحذف الحشو والتكرار وما لم يعد يلزم، ولقد تم في اللغة حذف الشعر، وفي النحو تم إلغاء الفاعل وإبقاء المفعول به، وتغيير المنصوب إلى المنصوب عليه، وحذف المرفوع وإبقاء المجرور، ولقد لحق التطوير بالإملاء أيضا، ففي علامات الترقيم أضافوا إلى علامة التعجب وعلامة الاستفهام علامة جديدة، سموها علامة الاستسلام!!

\*\*\*

### احتفالات (١)

ما أسعد أيامنا، فما من يوم يمر دون احتفال، وبالأمس كنا نحتفل بذكرى وعد لفقور، وكنا قبلها قد احتفلنا بذكرى ثغرة الدفرسوار وقصف الإرهابيين في بحر البقر وإسقاط طائرة الإرهابية سلوى حجازي، وإسقاط طائرة إرهابيين إيرانية،

وقصف مصنع الشفاء السوداني الذي كاد أن يهلك العالم بسمومه، وقتل الإرهابيين في دير ياسين والإساعيلية وقانا، ودفن الإرهابيين المصريين أحياء في حرب ٦٧ من القرن قبل الماضي ، وكذلك دفن مئات الآلاف من الإرهابيين العراقيين أحياء في نفس القرن.

\*\*\*

### احتفالات (٢)

علقنا الزينات في الشوارع، أما الرايات فترتفع خفاقة سامقة كآمالنا، ففي الأسبوع القادم تحل ذكرى الانهيار النهائي لمالك الشر التي كانت تسمى بلاد العرب.

\*\*\*

### الظلاميون

حدثت اليوم فتنة عظيمة سقط فيها المئات قتلى، فالمتخلفون الظلاميون المتأسلمون الحمقى، الجهلة الذين لا يفهمون الفن العظيم والإبداع والتنوير والحرية التي يجب أن تتاح له بلا أية قيود قاموا بمظاهرات صاخبة احتجاجا على لوحة رسمتها فنانة يهودية عظيمة عن خنزير يمسك عظمة يكتب بها القرآن، وتلفت حولي في رعب ثم صحت بصوت عال:

-مال الدين بالفن والإبداع يا متخلفين يا ظلاميين!

\*\*\*

### خسة

بلغت خسة ابني الإرهابي أنه راح يشوه تاريخنا ويلقى بالأوحوال على أبطال بلادنا، فلقد ضبطته يقرأ كتابا ممنوعا فأخذته منه عنوة ورحت أتصفحه فهالني ما فيه، فإذا بالخشيس لا يبالي بعاره ولا ينجل من كسفي له بل وبيادرني قائلا بوقاحة:

-لم يكونوا أبطالاً ولا حكاماً ولا زعماء ولا رؤساء ولا أمراء ولا سلاطين  
ولا ملوكاً بل كانوا خونة، ولم تنكشف البلىا إلا بعد موتهم، فالملك الباكى كان  
عمىلاً والرئىس الضاحك كان لصاً وذو اللحية الشهباء كان مغرماً بالصغار أما  
الشىخ الأقصر فقد كان متورطاً فى زنا المحارم.  
هتفت فىه:

- احرص يا خسىس ..

لكنه واصل قائلاً:

- عرف الأعداء الصهائنة بنقاط ضعفهم فىسروها لهم وابتزروهم بها.  
هتفت به محذراً وأنا أخفض صوتى وأتلفت حولى:  
-الصهائنة أصدقاء لا أعداء يا أحمق ..

\*\*\*

## عزاء

رحنا نسرى عن صدىقنا فى همس ، وتبرع له كل منا بجزء من تموىنه من  
الحشىش والكوكابىن والهىروبن، لكنه راح ىهتف باكياً:  
-إلا الشرف .. إلا الشذوذ ..

ثم راح ىحكى لنا كىف اكتشف العلاقة بىن ابنه ومدرسه الیهودى، وكىف ذهب  
إلى مدىر المدرسة ىحتج، فهدهه بخطرورة التدىخل فى حرىة ابنه الشخسىة لأن ذلك  
مجرم بنصوص القانون والنظام الجدىد، وقد ىرتب علیه حرمانه من تربىة ابنه  
وإسنادها إلى ذلك المدرس وبصورة رسمىة عن طرىق التبنى أو الزواج .. ثم راح  
ىنعى علیه تخلفه، وسىطرة التقالید البالىة علیه.

رحنا نسرّ بالعزاء متلصصىن، فالجهر بالعزاء فى مثل تلك الأحوال معصىة.

## أزهر

عمت البلاد اليوم فتنة عظيمة بعد أن أفتى الشيخ الذي انتقاه الحاكم الإسرائيلي من خيرة علماء الأزهر فتوى جديدة باختصار أركان الإسلام إلى ثلاثة، كما أفتى بنسخ سورتي البقرة والإسراء من القرآن الكريم إضافة إلى ما تم تقليصه في العقود الماضية، فالإرهابيون والغوغاء والحمقى لم يدركوا بعد أن التطوير سنة كل شيء، وأن الأمور بجوهرها وليس بعددها..

\*\*\*

## الخليج الإسرائيلي

ما ألطف اليهود ..

ما أشد ما تظلمهم الافتراءات والشائعات ..

لكني أشهد أنه بعد الحرب النووية .. ومنذ إنشائهم الحكومة العالمية .. لم يمنعوا في بلادنا صياما ولا صلاة .. ولم يكونوا ليمنعوا الحج إلى بيت الله لولا انتشار الفتنة في بلاد الحجاز ونجد حيث يخرج قطاع الطرق والأعراب على قوافل الحجيج فيقتلونهم ويسلبون متاعهم حتى أصبح الذاهب مفقودا والعائد مولودا..

ابني المجنون يدعى أنهم هم الذين شردموا الحجاز ونجد كي يستولوا على المناجم والآبار فيها، وأن عصابتهم كانت هي التي تقتل الحجيج.

وأضاف ابني الإرهابي قائلا:

لم يكتفوا بتخريب الحجاز فقط، فلقد أبادوا دويلات كاملة كانت تقع على الخليج العربي رغم أن هذه الدويلات كانت طوع بنانهم، أبادوها بعد أن نضب البترول منها وحولوها إلى مقابر لنفياتهم النووية.

وأخذ الإرهابي يشير إلى مساحات على الخرائط قائلا:

انظر إلى هذه المقبرة النووية الكبرى، مكانها كانت دولة اسمها قطر، وهذه

المساحة أيضا، تشغلها الآن النفايات السامة، ليس فيها أي بشر، وكانت فيما مضى إمارة زاهرة اسمها الكويت، انتهى وجودها عندما استعانت بالذئب على شقيقتها فجاء والتهمها معا، هل تتصور يا أبي: كل هذه الخرائب حول الخليج العربي كانت مدائن زاهرة..

أمسكت بأطلس الجغرافيا وهتفت به :

- يا جاهل . لا يوجد بالخرائط خليج اسمه الخليج العربي..!!

أشار إلى مساحة زرقاء وقال وهو يبكي:

- كان خليجا إسلاميا اختلف المسلمون على تسميته بالعربي أو الفارسي ثم أذعنوا منذ مائة عام وانصاعوا لتسميته: « الخليج الإسرائيلي » .

قلت له في غضب :

لم نعرف السكينة والأمان إلا في ظل حكومتهم العالمية .. أم تريد بنا أن نعود إلى عصور التخلف والدول.

\*\*\*

### دعاء

يوم الجمعة الماضية اصطحبت ابني الإرهابي معي للصلاة عساه أن يتعلم من صحيح الدين الحدائث ما يشفيه من الانحراف والإرهاب.. وفي ختام الخطبة راح الشيخ يدعو ونحن نجأر: « آمين » .. ماعدا ابني فقد صمت .. ثم راح الشيخ يدعو للحكام وولاية الأمر بالهداية والغفران.. لكن ابني الإرهابي راح يتمتم :

اللهم لا تغفر لهم .. يا إبليس إنهم جنك فلا تتخل عنهم !!

\*\*\*

## تحديد

ما أنجح السياسة وما أنجع الخطط، لقد حققنا بقيادة بنى إسرائيل ما فشلنا طول العمر في تحقيقه، وقد كان أعظم نجاح لنا في مجال تحديد النسل، ففي خلال المائة عام الماضية بلغ تعداد المناطق والإمارات والولايات والمشيخات والقبائل والعشائر الممتدة من مدافن النفايات النووية الكبرى في البلاد التي كانت تسمى قبل تمام دمارها بلاد الكويت والخليج إلى مدافن الكيماويات الكبرى في الصحراء المغربية ومن تخوم روسيا حتى أواسط أفريقيا عددا لا يزيد اليوم عن خمسين مليون نسمة، وقد بلغ من نجاحنا أننا تفوقنا تفوقا حاسما حتى على بنى إسرائيل أنفسهم، رغم ما اشتهر عنهم من عبقرية وإدارة وتخطيط، ففي نفس الفترة ازداد عددهم من خمسة ملايين إلى ستين مليوناً...!!..

\*\*\*

## المؤتمر الاقتصادي

ما أعظم بنى إسرائيل وما أرقهم، وما أشد إنسانيتهم، فلولا معونتهم وحظتهم وشعيرهم لأكلنا الكلاب والقطط الميتة، ثم أنهم لم يكتفوا بكل ذلك، فها هم أولئك يعقدون مؤتمرا لتنشيط اقتصاد إمارتنا والإمارات المجاورة وجلب الاستثمارات إلينا من أصقاع العالم، وقد تنبثوا لنا - إذا ما اتبعنا سياساتهم بصدق وإخلاص - أن يتحسن اقتصادنا خلال عشرة أعوام فقط للدرجة التي نتمكن فيها من توفير رغيف خبز كل يوم لكل مواطن.

\*\*\*

## صيام

الحمد لهيئة الأغذية اليهودية.. فواله ما ندرى ماذا كنا نفعل في ديننا الصعب لولاها.. ولا كيف نصوم كل هذه الساعات دون طعام ولا شراب..

لقد بشرتنا هيئة الأغذية تلك بأنهم توصلوا بالتكنولوجيا المتقدمة وعن طريق علم الجينات وعلم الوراثة إلى طعام لا يفطر من يتناوله.

أما البشرى الأهم . فهي أنهم بسبيلهم إلى اختراع شراب لا يفطر ولا يسكر !!..

\*\*\*

### معرض

اصطحبت الأسرة إلى معرض الكتاب ، ورحنا ننهل من مناهل المعرفة ، ونأمل مباحج التكنولوجيا والإبداع في الطباعة والنشر والتوزيع ، عدا ابني المجنون فقد ذهب إلى كتب التراث، لكنه عاد ساخطا وهو يقول :

لم أجد إلا كتباً لأدونيس ورضا هلال وجابر عصفور وصالح عيسى ورفعت السعيد وجمال الغيطاني ..

هتفت فيه مقرّعا :

- أولئك هم عيون الثقافة والأدب يا أحق.

لكن قليل الأدب نظر إلى شذرا وراح ينشد :

آه يا شرطة أخلاق القصور الفاسقة . . .

آه يا مرتزقة . . . يا جنادين . . . يا جرائش . . . يا أصائل مرابد !

يا زبالات الموائد . . .

كم تطوعتم لا لتحرير الجماهير بل لتحرير الصكوك

كم جعلتم شعبي المسحوق . . . مسحوقا لتجميل قباحت الملوك

كم أقمتهم في بيوت الشعب باسم الشعب . . .

والشعب بقعر السجن راقدا . . .

دمه من فوقكم . . . من تحتكم . . . من حولكم . . . بين أياديكم . . .

على المأساة شاهد ..  
منذ أجيال وشعبي ... فوق سندان الحكومات ...  
وأنتم فوق شعبي مطرقة ...  
منذ أجيال وأنتم تستريحون على أكتاف شعبي المرهقة ...  
وتدورون بسوح المهرجانات سكارى ... كالكلاب الشبهة ...  
وتبولون عليه الكلمات الزلقة ...  
متى كان لكم ذوق ... لكي تتهموا ذوقي بسوء الذائقة؟ ..  
متى استاء من البصق ... جدار المبصقة؟ ..  
خشيت من مغبة الأمور بعد أن أفسد علىّ بهجتي، و خشيت أن يسمعه أحد  
فاصطحبت إلى البيت مسرعا ورفعت عقيرتي بأغنية عبرية كي لا يتسبب غناء  
الطائش المجنون فيا لا تحمد عواقبه فإذا به ينشد مغالبا إياي في ارتفاع الصوت :  
إعلامنا معتل ... كحبل بهلوان !  
كافر : لكنه في منتهى الإيثار !  
منذ افتتاحه الإرسال بالقرآن ...  
وانظر إلى اختتامه الإرسال بالقرآن .  
ماذا إذن لو ملأ الفراغ ما بينهما ...  
بسيرة الشيطان ؟ ! ..

\*\*\*

### شرف

أفضل الأيام ما مضى، وخير الأعوام ما انقضى، فلقد سمعنا عن أيام كان  
الشرف فيها أعلى من الذهب، وكان الرجل يبيع شرفه فيصبح رئيس تحرير أو وزيراً

أو حتى ملكا، وكانت المرأة تتبع شرفها فتصبح من أصحاب الملايين، الآن . . لا ثمن للشرف ، وزميلتنا في العمل تتبع شرفها منذ أعوام للسيد المدير اليهودي ولم يوافق لها حتى على إجازة يوم لشأن عارض، وحتى أنا : أبيع شرفي كل يوم ولم أحصل على علاوة ولا على مكافأة !!

\*\*\*

### متعة (١)

ما أعظم الحرية .. بل ما أمتعها ..  
ولست أدري كيف كان يعيش أجدادنا قبل أن يبيع فقهوانا زواج المتعة بعد انتصار مملكة الخير الإسرائيلية على ممالك الشر كافة.

\*\*\*

### مظاهرات

المتحجرون الظلاميون المتأسلمون الحمقى قاموا بمظاهرات مطالبين بأن تكون اللغة العربية هي اللغة الأولى ، وأن نعود إلى كتابتها بالحروف القديمة من اليمين إلى اليسار، وأن تكون هي لغة التعليم والدواوين والجامعات.  
قلت لنفسي متعجبا :  
- وماذا نفعل بالعبرية إذن . . يا أعداء الحضارة والتقدم.

\*\*\*

### رصاص

حضرنا اليوم احتفالا عظيما في ميدان البلدة الرئيسي، فقد تم جلد صديقنا الأحق مائة جلدة. ولقد كاد الأمر يصيبني بسوء لولا أنني أنكرت معرفته كما أنكرت تبرعي له بجزء من نصيبي من الحشيش، وعندما سئلت عن رأيي في

الشذوذ أجت بطلاقة أنه حرية شخصية يكفلها النظام الجديد. ولقد تمادى صديقنا في غيه فراح يصرخ باكيا أن ابنه لم يبلغ سن الحلم بعد، وأنه لا يحق لأحد مضاجعته دون إذنه، ثم بلغ به التهور أن طعن في دستورية تطبيق النظام الجديد علينا دون شريعة الإسلام، وهنا أمر الحاكم بإحضار قضاة من أبناء جلدتنا، ولقد أفحم قضاؤنا النزيه العادل الذي لم يتسرب الفساد إليه صديقنا المأفون، حين قالوا أنهم سيطبقون شريعة الإسلام، وشرأبت أعناقنا لنرى ماذا سيفعلون، وإذا بهم يسألونه:

- هل حاولت أن تمرر خيطا فلم يمر وهل معك ثلاثة شهود؟  
أسقط في يد صديقنا المسكين، ولم يجر جوابا، فأصدروا حكمهم عليه بالجلد، ورحنا ننتف لعدالتهم ونزاهتهم وحرصهم -رغم ادعاءات الإرهابيين- على تطبيق الشرع كلما عنت لهم قضية.

\*\*\*

### الرايات السود

ضحكنا كثيرا عندما نطق العجوز الصامت أخيرا وهو يمضغ المنزول ويدخن الحشيش ويخطف من كل منا كل آن و آخر شمة كوكاين أو هيروين، قال مرتديا طيلسان العلم:

هل تظنون أن إسرائيل كانت دائما أكبر قوة في العالم؟

لم يجب أحدنا ولم يهتم لتخريفه، لكنه قام هو نفسه بالإجابة على نفسه فقال:

- لا، قبلها . . كانت أمريكا أقوى منها و أكبر . . وقبل أمريكا كانت روسيا . .  
وقبل روسيا كانت بريطانيا وفرنسا . . وقبلها كانت دولة إسلامية كبرى هي سيدة العالم.

تأملنا تأثير مخلوط الحشيش والمنزول والكوكاين والهيروين على عقله .. ثم

انفجرنا ضاحكين .. وأخذ العجوز الملتاث يسبنا وهو يقول:

- وهل تظنون أن إسرائيل ستبقي أقوى قوة في الدنيا .. لا .. فالأيام دول ..  
وأتباع أسامة بن لادن أصحاب الرايات السود قادمون .. أصحاب الرايات السود  
قادمون .. أصحاب الرايات السود قادمون ..

\*\*\*

### مرض

مرضت أم الإرهابي فأصر ألا يفحصها إلا طبيب مسلم . . ولم نترك جحر ضب  
في البلدة إلا وبخشنا فيه .. فقلت له :

- يا متعصب . . يا متخلف . . ألم يكن حارس بيت المال عند عمر بن الخطاب  
يهوديا . ؟ .. يا أحمق .. ألا تعلم أن تنظيم العمل الجديد قد جعل ممارسة الطب  
لليهود والخدمة للعرب .. لن تجد طبيبا مسلما ..

وأصر الولد على رأيه، وعثرنا بعد مشقة على طبيب مسلم ، ويبدو أنه إرهابي  
كابني . . فقد ازورّ عنا وراح يتهامس مع ابني ثم نظر إلينا وهو يتمتم :

- نعم الجدود وبئس من وكّدوا . .

\*\*\*

### تقدم

ما أعظم التقدم الذي جلبته الحكومية العالمية لأبناء صهيون إلينا . . لا كبت ولا  
قمع ولا قهر ولا ممنوع . . النساء رهن الطلب . . والمخدرات على رفوف الميني  
ماركت . .

ما أعظم الحرية . . وما أجمل البشر وهم يسرون في ميادين العتبة والسادات  
ومحمد على عراة كما ولدتهم أمهاتهم . . أما عن الخدائق فحدث ولا حرج .

### مسرح

اصطحبت الأولاد إلى المسرح . . وضحكنا كثيرا من تمثيل العراقي . . وفي طريق عودتنا فاجأتني ابنتي بالسؤال :

-بابي . . ما معنى عراقي.

احترت قليلا . . لكنني أجبت في حزم واختصار كي لا تكشف جهلي:

- يعني قزم.

لكن ابني الإرهابي قال :

- بل كان يوجد مكان بلاد ما بين النهرين بلد كبير اسمه العراق . . تحالف

إخوته مع أعدائه على شعبه فحاصروهم وحاربوهم وأبادوهم، الباقون منهم أقزام أو مشوهون كما رأيتم . . نتيجة الجوع والمواد الكيماوية واليورانيوم المشع.

همست لابنتي:

- لا تصدقيه فإنه يخرف.

\*\*\*

### مجاعة

سادت المجاعة مملكة مكة فأرسل ملكها يسأل الشيخ الكبير عن جواز أكل لحم

الموتى ..

لم نعرف بم أجاب الشيخ لكن ابني المجنون رد على فتواه بقول ما أدرى إن كان

يقصد بها الشيخ الكبير أم الملك، قال:

- يا فاجر . . تأكلون لحم الأحياء وتستفتون في الموتى؟! .

\*\*\*

## أزهر

خفف الله عليه كما يخفف علينا، فلقد أفتى فضيلته -أبقاه الله - في إطار التطوير باختصار أركان الإسلام إلى ركن واحد، وكنا نصفق طربا وتلهج ألسنتنا بالحمد لكن ابني الإرهابي كان يعوي.

\*\*\*

## متعة ( ٢ )

جزى الله فضيلته كل خير .. فلم يأل جهدا في تيسير أمور الدين والدنيا علينا .. ولقد أثارت فتواه الأخيرة بشأن تطوير الفتوى القديمة عن زواج المتعة كثيرا من اللغظ .. ففي الفتوى القديمة كان يشترط في المرأة أن تكون غير متزوجة .. أما في التعديل الجديد فقد أسقط هذا الشرط .. كما أسقط العدة .. وبهذا اكتملت الرحلة الطويلة نحو تحرير المرأة والتي بدأت منذ مائة عام ..

\*\*\*

## كلب

ابني المجنون يزعم أن الأطباء اليهود يزرعون أجنة الكلاب في أرحام بناتنا ..

ملأني الاشمئزاز من الفرية و الافتراء فصرخت فيه :

- اخرس .. يا كلب ..

أجاب باكيا :

-الكلب يعوي إذا ضرب .. أفلا يحق للإنسان أن يفعل ذلك .. لكن هناك

قوما أحط من الكلاب لا يعوون إذا ضربوا ...

احترت .. هل يسبنا الولد أم يخرف .. فلم أرد ..

\*\*\*

## تاريخ

ما أكذب التاريخ ..

عبر اليوم بالمقهى مسطول يغنى على العود ..

راح يروى الأساطير والملاحم والفتن والبداية والنهاية .. وكان مما قال أنه منذ  
مائة عام كانت هناك دولة كبيرة تمتد من الإسكندرية حتى أسوان ومن العريش  
حتى السلوم .. وأن هذه الدولة حاربت ذات مرة إسرائيل وانتصرت عليها ..!!  
وواجهنا بالاستنكار والازدراء فواصل:

وقبل ذلك بقرون فإن الحدود التي تشغلها إسرائيل اليوم من بلاد الأفغان حتى  
المحيط ومن روسيا حتى الحبشة كانت بلدا إسلاميا كبيرا ..  
ونهرنا ولكنه واصل:

- والبلاد التي تشكل ضواحي تل أبيب اليوم كانت بلادا عربية مستقلة .. فبلد  
كان اسمه سوريا وبلد كان اسمه الأردن وبلد كان اسمه لبنان ..  
قاطعناه .. ومنعناه من مواصلة الحديث .. ثم طردناه شر طردة .. وحذرناه من  
مغبة العودة مرة أخرى ..  
وعدنا إلى مخدراتنا عاجزين عن مقاومة الضحك والدهشة لانتشار الكذب  
والخرافات .

\*\*\*

## قبلة

صرخ ابني الإرهابي المجنون :

- كَفَرُ . . والله كفر . .

ضربته بالحذاء صائحا به:

- إنه الشيخ الكبير .. يا كافر ..

صاح باكيا لكن ألم الضرب بالحذاء لم يصرفه عن الملاحاة والمحاكة والجدل

فقال:

- كيف يفتى بجواز تحويل القبلة إلى حائط المبكى وهيكل سليمان يا أباي .  
أشفقت على الدم المنهمر منه تحت ضربات الحذاء فقلت له في هدوء عساه يتعلم  
ويفهم:

- يا أحمق .. أولا .. هو الشيخ الكبير .. وعصيانه كفر .. ثانيا .. ألم يكن الرسول  
ﷺ وصحابته رضى الله عنهم يوجهون وجههم هناك في البداية .. أليس تقليدهم  
سنة .. وثالثا .. إنه لا يقصد حائط المبكى .. بل يقصد بيت المقدس والمسجد  
الأقصى الذي بُني الهيكل على أنقاضه ..

وواصلت قائلا :

- أليست القدس من مقدساتنا ..

صاح قائلا :

- لم يعد فيها مسلم ..

لاحظت انهار دموعه دما .. دما .. فخشيت أن أكون قد أسرفت في ضربه ..  
وأن يكون الحذاء قد فقأ عينه .. فاصطحبت على عجل إلى طيبب العيون ..  
اليهودي .. وفي الطريق حاولت أن أسترضيه فرحت أسرى عنه قائلا :  
ومع ذلك يا بني .. فرأي الشيخ الكبير صواب يحتمل الخطأ ..

\*\*\*

## تليفزيون

حالفنا الحظ بسبب ابنتي المتفوقة فحصلنا على جائزة ضخمة من التليفزيون ..

فقد كنت أسير خالي البال معهم تنتزه على المستنقعات والبحيرات التي حلت محل النيل الخالد واحتفظت باسمه تحت حراسة العسكر اليهود الذين نشروا الأمن والأمان ومنعوا القوضى والزحام عندما حددوا لكل إمارة يوماً تنفرد فيه بالنزهة على النيل الخالد.. وفجأة وجدنا فريقاً من التلفزيون والمخرج الشهير يسأل عن أهم المعارك في التاريخ الوسيط.. وسألني ابني الإرهابي: «ما معني الوسيط»؟.. لكنني نهرته كي لا تفوتني المتابعة.. اشتد الزحام وتعددت الإجابات.. فمن قائل أنها معركة شاغلون وقائلة أنها معركة اليرموك وثالث يصرخ بل معركة يستنجز وهمس الإرهابي بل معركة حطين لكنني نهرته وقال آخر أنها معركة بوفين واعترض واحد لم أره من فرط الزحام قائلاً بل معركة كرسي.. كل هذا والمخرج الشهير يقرب شفثيه امتعاضاً من الخطأ. وساد الصمت فقال واحد معركة أنقرة فواصل المخرج اشمثناطه وصرخ واحد: المعركة النووية الأخيرة التي انتصرت إسرائيل فيها على العالم ودمرت عواصم التخلف والتطرف والقطرية وأنشأت الحكومة العالمية الواحدة... ولانت ملامح المخرج الشهير وقال بتعاطف:

- إجابة كان يمكن أن تكون صحيحة لولا أن علماء التاريخ يعتبرونها بداية العصر الحديث..

فواصل قائلاً وهو يتفحص شفاهنا في خيبة أمل:

- إذا لم يجب أحد الإجابة الصحيحة سأعطيك نصف الجائزة..

وفجأة صاحت ابنتي المتفوقة بصوت رفيع رفيع:

- أنا أعرف الإجابة..

دعاها المخرج أمام كاميرا التلفزيون.. واستبد بي القلق أن تخطئ في الإجابة

لكنها صرخت:

- حرب الخليج.. ولها أسماء أخرى.. حفر الباطن.. والمجد للعداء...

قاطعها المخرج في نشوة :

- إجابة صحيحة ... إجابة صحيحة ...

وطلب منا أن نصفق لها فاشتعلت أيدينا بالتصفيق وبحث أصواتنا من الهتاف  
وتطوع المخرج الشهير بإضافة التفاصيل قائلا:

- كانت تلك هي الحرب التي مهدت للانتصار النهائي للحضارة والتقدم على  
الهمجية والوحشية والتخلف .. ومن أبطالها الرئيس بوش والرئيس مبارك والملك  
فهد ..

ثم واصل قائلا :

- كانت تلك المعركة دليلا فذا على تفوق العقل اليهودي ونجاح توقعاته فقد  
تمت بكل تفاصيلها تحت سيطرته وتخطيطه .. فيها جدد الإرهابيون المتوحشون  
المتخلفون أنوفهم وسملوا عيونهم .. وبعدها لم تقم لهم قائمة ..

ثم أمر لابتتي بجائزة ضخمة ..

أما ابني الأحق فقد راح يهمس:

أعظم المعارك لم تحدث بعد ..

ونهرته خشية أن يسمعه الناس فتسوء العواقب فراح يتمتم:

أصحاب الرايات السود قادمون .. أصحاب الرايات السود قادمون .. أصحاب

الرايات السود قادمون ..

\*\*\*

حج

قلت معرّضا بابني الإرهابي في تأفف:

- متى يتوب الله علينا من القلة الحاكمة التي لا تفتأ تثير الاضطرابات كلما

أصدر فضيلة المفتي فتوى؟ .

صرخ في:

- يا أبى هذا كفر فأفوق.

قلت له متجاهلا قلة أدبه في الرد على:

- زعمتم أنهم ألغوا الحج، ولم يلغوه إلا بعد أن أصبح مخاطرة، فلما أعادوه اشتد هناك الزحام حتى كاد أن يموت الناس، ولقد كان ذلك عجيبا بعد مائة عام من التطوير، وكان يدل أننا لم نتحضر بعد، فلماذا تعترضون يا متخلفين على تنظيمه؟! ..

صرخ الإرهابي قليل الأدب:

- ليس تنظيما يا أبى، هل قرأت نص الفتوى؟! .!

أجبتة في ضيق لسفسطه:

- ولماذا أشغل نفسي بالتفاصيل يا أحمق، قرأت العناوين، وهذا مجرد تنظيم، وذلك اختصاصه.

لكن الولد واصل الصراخ:

- لقد أفتى بتوزيع أيام الحج على العام كله بدلا من اقتصارها على أيام عيد الأضحى.

نظرت إلى الولد في ذهول غير مصدق وأنا أحبس ضحكة تعربد في أحشائي، فلقد قلت لنفسى أن فضيلته قد توصل إلى نوع من الحشيش لم يصل إليه أحد!! .

\*\*\*

## شائعات

لم يكف الإرهابيون أعداء الحضارة والتقدم والسلام -لعنهم الله- عن نشر الشائعات .. وقد استغلوا أبشع استغلال قيام العلماء والخبراء بحفر نفق تحت قبر

الرسول ﷺ وادعوا مالا أستطيع النطق به .. ولقد رد رئيس وزراء بني قريظة على هذه الشائعات قائلا :

- إنهم كذابون مثل نبيهم ..

أخرسني الرعب والخوف من عودة انتشار الفتن لكن ابني الإرهابي لا يكف عن الصراخ ..

\*\*\*

### إصلاح

أصلح الشيخ الكبير ما أفسده فضيلة المفتي بعد اندلاع مظاهرات الغضب، فقد ألغى الفتوى الخاصة بتوزيع الحج على أيام السنة، وتفتقت قريحته عن حلول فذة، فقد ابتكر أنواعا من الحج تختلف عن الطرق القديمة التي كان الحج يستغرق فيها أياما وأسابيع، ولقد سمى نوعا منها «الماكرو حج» ويستغرق ثلاثة أيام، ونوعا آخر سماه : « الميني حج » يستغرق يوما واحدا، لكن عبقريته تجلت في نوع آخر سماه : «الميكرو حج » وفيه يكفي أن تملق الطائرات بضع دقائق في سماء عرفة ثم يعود الحجاج دون أن يتركوا مقاعدهم، وكان هذا النوع أغلى أنواع الحج، أما رمى الجمرات فقد تكفل بها سلاح الجو الإسرائيلي.

\*\*\*

### فتنة

ضج الناس في الحج للاختلاف في المناسك ..

تقاتلوا حتى سال الدم أنهارا .. فاجتمع الحاخام بالشيخ في اجتماع لم يحضره غيرهما أحد .. وقد نجحا ببركة الحاخام وساحة الشيخ في إخماد الفتنة وحل جذور المشكلة .. فقد اتفقا على أن يتم في كل تجمع كبير من تجمعات المسلمين بناء نماذج هي صورة طبق الأصل من المناسك ابتداء من عرفة ومرورا بالمزدلفة وانتهاء

بالمسجد الحرام.. ولقد أعلن الحاخام -بين امتناننا وشكرنا- تبرع إسرائيل ببناء خمسة نماذج في المقهورة والجزائر ودمشق وبغداد وإسلام أباد.. ثم فاجأنا بإنشاء نموذج سادس أكبر من الأصل في تل أبيب نفسها.. اشتعلت أكفنا وحناجرنا من الهتاف والتصفيق.. رحنا نتبادل التهاني والنظرات مشيدين بدهاء شيخنا الكبير الذي تمكن من استدراج الحاخام لكل هذه التنازلات .. إلا أن شيخنا الكبير يكتف بالدهاء فقد أسبغ علينا رحمته عندما وافق أن يبنى كل تجمع أصغر من المسلمين عرفاتهم ومناهم ومسجدهم الحرام حيث يقيمونها بجهودهم الذاتية .. وأفتى بأن الحج إليها يجزى عن الحج إلى مكة .. بهذا الاجتماع التاريخي استطعنا أن نحل مشكلة دامت أكثر من خمسة عشر قرنا بلا حل ..

رجعت إلى ابني مشتعلا بالحماس أصرخ فيه:

- يا إرهابي.. يا ظلامي .. يا متألم .. لقد غزوناهم واستولينا على عاصمتهم .. إن ما حدث يساوى الاستيلاء على تل أبيب نفسها .. لم يشاركني الإرهابي - قليل العقل والذوق - حماسي .. وبصق .. وقررت أن أعاقبه علي سوء أدبه .. لكنني تراجعته حين نظرت إلى بصاقه .. فقد كان .. دما .. دما ..

\*\*\*

### كتب

سألت ابني الإرهابي في قرف غاضب:

من أين تأتي بهذه الكتب الممنوعة التي لا تحوى غير الخرافة والكذب؟! راح يشرح لي أنه بعد استيلاء بنى إسرائيل على العالم حرقوا كل الكتب التي تكشف بربريتهم عبر التاريخ، وهنا تطوع جماعة من أهل الحقيقة فحفظ كل منهم

فصلا من كتاب من كتب التاريخ لا يكف عن ترديده وكتابته وطبعه بالوسائل البدائية إذا تيسرت له، ثم توزيعه على من يتوسم فيه أنه من أهل الحقيقة. وكان كل من يحفظ كتابا يتسمى باسم مؤلفه، فهذا البخاري وهذا مسلم وذاك الصحيحان وأولئك ابن تيمية..

وقلت له مرتاعا:

- لكن هذه الكتب لا يقتنيها إلا الإرهابيون يا إرهابي..

قال والدموع في عينيه:

- يا أبا أدعوك للحق والحقيقة فاشهد.

تمت بصوت حرصت ألا يسمعه :

أبناء الحقيقة ثلاثا: واحد مات مصلوبا، وواحد مات مجنونا، وواحد لم يولد

بعد.

\*\*\*

## هجرة

قال لي ابني الإرهابي :

- هذا فراق بيني وبينكم ..

هتفت في دهشة :

- إلى أين .. ولماذا .. ؟

قال كأنها يحدث نفسه :

- في عالمكم .. ما بين قماط الميلاد وكفن الموت ليس إلا الذل والكذب

والنفاق..

اعتصر قلبي بالخوف والاستيحاش و ألتني دمعة انحسرت في عيني فقلت

والرحمة تقطر من قلبي والجزع يكاد يهلكني :

- يا بنى اصبر .. فإن من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع .. هل تحسب أنى لا أفهم .. بل أفهم .. فافهم أنت الدرس .. عندما يكون الفهم صنو الموت أو الخراب فادعّ الجهل ..

تمتم قائلا:

- الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره ..

انسحق قلبي تحت وطأة تصميمه فقلت :

- إلى أين ؟

قال كأن لم يسمعي :

- من سل سيف البغي قتل به ..

قلت :

- شلنا العجز والضعف فامكث .. لن تستطيع أن تفعل شيئا ..

قال :

- لن أستحي من عمل القليل فالعدم أقل منه ..

قلت نائحا:

- يا بنى قد ملكوا الدنيا .. لا عاصم اليوم إلا من رحموا .. فامكث حتى يقضي

الله أمرا ..

قال :

- إن الله يرزق كل طائر رزقه لكنه لا يرميه له في العش ..

صرخت وقد جثم الحزن على قلبي :

- لن تستطيع شيئا .. ملكوا أقطار الأرض .. لن الملك اليوم .. أليس لهم ؟

أجاب:

بل لله الواحد القهار ..

صرخت ملتاعا وهتفت مرتاعا:

أين تذهب؟..

فقال:

إلى الفئة المنصورة.. ونزحف تحت رايات الجهاد الخفاقة باسم « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .. نزحف بها عليكم فلا يوقفنا شيء.. نزحف إليكم فنستعيد مكة والمدينة وبيت المقدس والقاهرة ودمشق وإسلام بول وطهران والخرطوم والمغرب والأندلس..

وراح الولد يبتعد هامسا :

- لكل شمس مغرب .. ولكل ليل فجر .. ولكل أول آخر .. إلا الأول

والآخر ..

وانسرب وسط الظلام .. ورحت بين الدموع أسائل نفسي : حلم أم علم .. أم كابوس وأضغاث أحلام تنتمي للقرون الخالية و حياة التطرف والشعارات البالية وأوهام المجد ..

ولم أستطع الإجابة عن أي سؤال فهرعت إلى رفاقي الصعاليك مشتاقا إلى الحشيش والكوكايين والأفيون ممينا نفسي أن يبلغ انسطالي مبلغ أن أحلم أني لم أولد (\*) .

\*\*\*

حفل إفطار رمضاني

تدنس ثوبك فاخلاه

oboeikan.com

(أ)

قال لي كبير الحرس :

- إلا الملك .. إلا الملك يا خصي يا صعلوك يا ابن الرعاع .. اكتب عن من شئت  
وعما شئت لكن إلا الملك .

قلت في سريرتي أنه مخصي قبلي وأنه هو الصعلوك وابن الرعاع لكنني أوشك -  
وقد غلقت أمامي كل الأبواب إلا بابه - أن أكون مثله .

وجهت وجهي إلى السماء مدعيا الضراعة ودعي لساني لمولانا بطول العمر،  
لكن الحركة لم تنطل عليه - ولعله سمع قلبي يدعو الله بقصف عمره وبعثرة ملكه  
وتشريد أهله الذين يسوموننا سوء العذاب - فواصل مهددا :

- إياك أن تظن أننا لا نفهم لمزاتك وغمزاتك ورموزك، والله الذي لا إله إلا هو  
لأن عدت إليها لأسملن عينيك ولأطعنن قلبك ولأخصينك ثم لأقطعن رأسك ..  
إلا الملك .. لا شأن لك به ..

أردت أن أقول له أنه هو الخصي في أمة خصيان ربها سيده ومولاه الذي يأمرني  
بعدم التعرض له، ثم كيف أكتب عن من شئت وعما شئت دون أن أتطرق إليه وهو  
الأصل خلف كل حدث والسبب في كل حادث . أعرضت عن كبير الحرس  
وهمست لنفسي مطأطأ:  
- لا شأن لي بسواه .

\*\*\*

(ب)

قال لي شيخي حين ذهبت إليه شاكية متوجعا من أيام سود تطير فيها الرقاب  
ولا يعرف فيها مقتول من قاتله ولما قتله :

- ليتهم يفعلون ذلك .. ليتهم لم يكفوا عن قتلنا .. أصبحوا يضمنون على أمثالنا

بمنازل الشهداء .. إنهم الآن يسملون البصيرة لا البصر، يطعنون الشرف لا القلب،  
يقطعون الأمل لا الرقبة .

هتفت في يأس :

- وما العمل يا مولاي؟.

فأجابني متكدرا :

- حين تطلب الموت فلا تجده فلعل الله يمنح الصابرين من الأحياء فوق منازل

الشهداء . ثم أردف قائلا :

- أمامك ابتلاء .

\*\*\*

( ت )

قال لي رئيس التحرير شامتا :

- مقالاتك لم يعد يقرأها أحد، خير لنا أن نستغل المساحة فيما يفيد.

ثم راح يقهقه وكل قهقهة نيزك يحرق قلبي، ثم واصل الحديث وهو لا يكاد

يغالب ضحكته :

- كل قضاياك خاسرة، يا شؤم يا نحس، لماذا لم تجرب مرة أن تقف ضد قضية

تجيبها، فلعل طلسم نحسك ينفك، ما من قضية حاربتها إلا وانهمت وانهمت

القضية وانتصر أعداؤك، في أبسط الأشياء وأكبرها، في الأهلي والزمالك وفي

أمريكا وروسيا والخليج وإسرائيل والسودان والعراق وليبيا وإيران والبوسنة

والهرسك .....

ثم أتى بحركة وضيعة وهو يعابثني بيده مستهزئا وقائلا :

- بوسني وهرسكني .... !

حاولت أن أدافع، أن أكرر له ما سبق أن كررته دائما، لكنني قلت لنفسي أن ما لم يقنعه سابقا لن يقنعه أنفا . رحمت بيني وبين نفسي - وأنا أطرق صامتا- أسبه سبابا قبيحا، وحين تحول القبح إلى فحش غلبني الابتسام فكسوت وجهي بالاستسلام كي لا أثير حفيظته فيمنع عني معاشي وطعامي وشرابي . عزيت نفسي بأن الناشر سيعوضني خيرا.

\*\*\*

(ث)

قال لي الناشر مغالبا إشفاقه علي:

- طبعت من كتابك الأخير عن حقوق إنسان القرن الحادي والعشرين ألف نسخة فقط، أرسلتها محزمة من المطبعة إلى دار التوزيع، بعد أسبوعين أعادت دار التوزيع إلي ألفا وخمسين نسخة!! ....

قاطعته - وقد صَعَبْتُ علي نفسي - قائلا:

- نصابون وكذابون، لقد اشتريت أنا وحدي خمسين نسخة كي أوزعها على النقاد الذين توقفوا عن شراء الكتب ...  
وغالب الناشر هذه المرة ابتسامته قائلا:

- بعد تحقيق وتدقيق ومراجعة اكتشفنا أن المطبعة طبعت مائة نسخة بالزيادة .  
غرقت في الإطراق حين لم أجد ما أقول، لكنني بيني وبين نفسي رحمت أسب القراء سبابا قبيحا .

قال الناشر في ود حميم:

لماذا لا تجرب مجالات أخرى في الكتابة، أنت كاتب موهوب، لكن لماذا لا تغير

مواضيع كتابتك إلى مناطق لا يناصرك فيها الكل العداة؟

تمت مخاطبا نفسي والهه ىركبني والحيرة تشملني:

- فيم أكتب إذن؟.

سارع بالإجابة مدركا أن مجرد تساؤلي موافقة:

لماذا لا تكتب في الجنس؟.

هتفت مأخوذا:

الجنس...!!؟..

واصل بحماسة قبل أن أغير رأبي:

- موضوع لا يبلي ولا يمل، جديد دائه ومطلوب.

تساءلت حائرا:

- كيف؟.. وماذا؟.. ولماذا؟..

فتمتم متلفتا حوله:

- الحرية الوحيدة التي لا يعادها طاغية ولا يمنعها سلطان ولا تطاردها مباحث.

فعاودت تساؤلي:

- كيف؟ وماذا؟ ولماذا؟

رحت أقلب عيني بين السماء الأرض.

ارتد إلى البصر وهو حسير، وأنا حسير.

عكفت على نفسي واعتكفت.

\*\*\*

(ج)

قطعت علي حببتي خلوتي متسائلة وقد أحس بدبيب الخطر قلبها الشفيف:

- لكانها خلوة لعبادة الشيطان !!..

فران علي صمت من يخشي أن يبوح بإثمه ولو بالرغم منه إذا نطق، فواصلت هي كأنها تحمل مفتاح الفرج :

- الصدق مأمنة.

صرخت في لوعة:

- بل مهلكة... وقد خدعونا .

انطلق صوتها الحاد كالنواح محملا بغيوم الفجيعة فتهاطلت الكلمات أمطارا من الدم:

- من أولئك الذين خدعونا؟.

فأجبتها و قد نقلني صاروخ تدفعه كتلة وقود صلبة من الألم واليأس من درب المبالاة إلي مجرات اللامبالاة :

- شيوخنا وفقهاؤنا ومفكرونا والكتب .. و .. أنت ...!!.

ثم أردفت في تحد:

- ليس من هدف أسمى للحياة سوى الهروب من الألم، لذلك فإن أقصر الطرق بين نقطتين هو أكثرها تعرجا والتواء، أما الخط المستقيم فلا يصل أبدا... أبدا... أبدا... إنها هو يقطع .

\*\*\*

(ح)

أقسمت ألا يسبقني في الفسق فاسق، وألا يغلبني في الفحش عاهر. ما أن بدأت حتي أيقنت أنه إذا كان أصل الشيطان ملاكا غوي وضل فإن أصل الإنسان شيطان لم يضل .

كتبت في الجنس، عن الجنس، عن الدعار والداعرات.  
شغلت مقالي الأولى صفحات المجلة الأولى وزينت عناوينها صفحة الغلاف  
واستدعاني رئيس التحرير ليعانقني في ود حميم وترحاب وانفعال وشوق حتي  
اقشعرّ بدني حين تذكرت ما أشيع عن إصابته بالشذوذ فابتعدت، وراح هو يهتني  
مراجعا تقارير شركة التوزيع عن تضاعف الأعداد المباعة.  
جاء الناشر يلهث مستحلفا إياي أن أشركه في أيامي الحلوة كما حمل معي أيامي  
المرّة .. نثر أمامي النقود قائلا :

- لك ما تشاء لكن وقّع معي الآن عقد نشر كتابك الجديد! .

تبت وكتبت وكتبت ... كتبت عن زنا المحارم، عن هاتك عرض أمه، وغاشي  
ابنته ومعاشر أخته ... كتبت عن متعة الحرام ونشوة الدنس ... غصت في الأحوال  
أجمع مادتي، استجوبت الدعار والداعرات، فكتبت ما قالوه ولم أخف شيئا، بل  
لونت لياليهم بما شئت من ألوان الطيف و أضفت ما أردت من توابل .  
المجتمع يهتز، أكشف خبيثته فيمور ويغلي، أما رئيس التحرير فيرقص، والناشر  
يغني طربا .

\*\*\*

(خ)

كتبت عن المرأة التي أغوت عاشقها فأغواها فأعطت طفلتها التي لما تكذب تبلغ  
الحلم بعد كأس سم مذاب في العسل كي تجرعه أباهها، وقضي الأب نجه وتسللت  
الهُواجس إلي قلب الطفلة، فواجهت الأم، فلم تجد الأم مناصا من أن تطلب من  
العشيق أن يغشي الطفلة ويهتك عرضها حتي يسيطر عليها . كتبت عن الجنس  
الساخن على رمال سيناء الدافئة، عن عنف الإسرائيلية وجدية الألمانية وتجهم  
الإنجليزية وانفتاح الأمريكية وعذوبة الفرنسية، عقدت اتفاقا مع ملاك قرية

تعذروا في بيع وحدات قريتهم، كتبت موضوعات عديدة بأسلوب علمي رصين عن اكتشاف إشعاعات لرمال تلك القرية تزيد الرجال رجولة والنساء أنوثة، دفعت للخبراء والعلماء فكتبوا، ألمحت بدرجة يتوارى إزاءها التصريح، وأخفيت بصورة يتضاعف معها التخيل، استدعيت الأساطير فكتبت أن من يذهب سيجد نصفه الآخر الذي لم يعثر أبداً عليه، جعلت من الطبيعة شذوذاً ومن الشذوذ طبيعة، زورت تحاليل المعامل ودبجت التقارير، وبرغم أن رئيس التحرير كان يعرف معظم تفاصيل اختلاق الأمر إلا أن شكا خامره ألا دخان بغير نار فاستدعاني عندما صدق الكذب وكذب الصدق قائلاً:

- أريد مكاناً لمدة أسبوع .

فتساءلت :

- رجالاً أم نساء أم أطفالاً ؟!

فتجاهل تعريضي وتصنع أنه لم يسمع وارتسمت على شفثيه نصف بسمه ونصف انفجار . أحصيت ربحي فاكتشفت أنني فارقت إفلاسا عمره من عمري وأن ما حصلت عليه من مكاسب يساوي مرتبي من الصحيفة في ألف عام .

\*\*\*

( ٥ )

كتبت عن العروس العاشقة في شهر العسل ... عندما عاد العريس وسط الليل فجأة فقفز العاشق من الدور الرابع عارياً فلقي حتفه ... وجاء البوليس وحاتم الشكوك حول الجميع عدا العروس ... لكن الفضيحة انفجرت أخيراً . ذهبت إلى سجن النساء وقابلت العروس، كتبت عن الفارق بين جنس وجنس ونشوة وزوج وعاشق وهاجمت الكبت والقهر و دعاة الانغلاق ودافعت عن حرية المرأة، وكتبت من التفاصيل ما جعل الأضعاف المضاعفة من نسخ الصحيفة المطبوعة تنفذ بعد

دقائق وما جعل بوليس الآداب يستدعيني ورئيس التحرير بعد ساعات، ولولا عمق اتصالاتنا لقضينا الليلة في التخشبية.

قلت لرئيس التحرير ونحن ننصرف معززين مكرمين :

- ما أسعد بلادنا بحكامنا.

التمعت نظرات الربية في عينيه فواصلت :

- إذا أردت أن تذلل شعبا سلط عليه حاكما، وإذا أردت أن تذلل حاكما سلط عليه امرأة، وإذا أردت أن تذلل امرأة سلط عليها مثلي ومثلك . أ رأيت كيف نحكم ؟.

راح يقهقه - مداريا عدم الفهم - قائلا :

- ما دمت بعيدا عن السياسة فأبشر بطول سلامة.

\*\*\*

(ذ)

قال لي رئيس التحرير

-اكتب ... و اكذب ...فإن أنجح الصحف أكذبها.

فكثبت عن قبيلة لم أحدد مكانها، عن شوارب رجالها الاثني والعشرين ولحاهم وأغطية رؤوسهم ورجولتهم البادية وفحولتهم السابعة وعن جمال نسائهم وبناتهم، عن رعونة ذلك الفحل الذي بلغ به الجموح حد زنا المحارم فاغتصب ابنة أخيه مدعيا - دون أدلة قاطعة علي كذب ادعائه - أنها حلاله، فما كان من إخوته إلا أن استعانوا ببلطجي مشهور خلص الفتاة منه واصطفاها لنفسه محظية وهم يهللون ويباركون والبنات وقد تشجعت به أخذت تتحكم بسطوة حاميتها في أعمامها فتسلط البلطجي علي الانتقام ممن تكره وتدله على مداخل بيوتهم وأسرارها فلم تكدمر ليلة دون أن يرسل البلطجي من يسرق له ما شاء من بيت من شاء، كما دلته على ثرواتهم وكنوزهم الخبيثة، فأوهمهم ألا أمان لها إلا في خزائنه فاصطنعوا من فرط

الرغبة الاقتناع، وعندما همهم أحد أعمامها بما اشتم منه الفتوات أنه بادرة اعتراض  
علقوه على العروسة وأعطوه علقة ساخنة والفتاه تصرخ وتزغرد وأعمامها يرمون  
شواربهم هاتفين للبلطجي منقذ الشرف الرفيع من الأذى، فراح يرد لهم الجميل  
فيأمر بتحويل خيام من ارتضوا الوضع ورحبوا به إلى ملاذات آمنة ويأمر بحصار  
الخيام الأخرى التي لم تهتف له فلا بيع ولا شراء ولا سفر.

\*\*\*

(و)

قال لي رئيس التحرير منتشيا وهو يقرأ تقرير شركة التوزيع:

- اكذب أكثر . . . . .

فقلت له والدموع تغرورق في عيني :

ما أنا بكاذب!! ..

\*\*\*

(ز)

كتبت تفاصيل رهيبية عن واقعة اغتصاب حدثت في الحرم وأخري في المسجد  
الأقصى وثالثة في صحن الأزهر، وأوجزت ..

وكتبت عن مضيف مصر الجديدة الذي لم يكن يثيره إلا مضاجعة الغرباء  
لزوجه أمام عينيه بعد أن يجبس أطفاله، وعن رواية يصيب الطلسم فيها رجال  
الوطن كله بالعجز، وصفت وفصلت وأطنبت .....

\*\*\*

(س)

جاء رئيس التحرير يصرخ :

- لن يكتفوا بمصادرة عدد المجلة، سيسحبون الترخيص كله .

لم يكن المسكين يدرك أنني لم أعد غزالا تطارده السباع بل سبعا يفرض سلطانه..

\*\*\*

(ش)

تساقط الأسي من عيني حبيتي دون دموع وهمست من قلب موجوع :  
- كنت أنا وكنت أنت فكان الأنت أنا والأنا أنت، فكيف لم تعد أنت أنت؟  
أردت أن أحكي لها عن الجلاد والملك ورئيس التحرير والناشر وعن شيخي  
وعن رغبتني فيها وفي حيوات لا تشطر القلوب وكلمات لا تقصف الرقاب لكنني إذ  
نظرت إليها لم أر لها أذنين، وإذا ارتد بصري إلى لم أجد فما.

\*\*\*

(ص)

كتبت عن وزير نافس ابنه على عشيقة فانقلبت الدنيا، إذ كان الوزير أثيرا عند  
الملك. صرخ رئيس التحرير غاضبا:

- هل أنت أعمي أو أصم، قلت لك أكذب ولم أقل لك قل الحقيقة!!  
ونظرت إليه فلم أجد له عينين ولا لسانا ولا شفيتين، ولا حتى أذنين.  
وبرغم أفضالي عليه وعلى صحيفته لم أفلت التماعة الشماتة في عينيه وهو يقول :  
- الكوارث تمشي في ركابك، سواء كتبت عن الدعارة والداعرات أو عن...  
وقاطعته قائلا والمرارة تفيض من بين شفتي حمضا كاويا:  
- أو عن الدعارة والداعرات ..

وانفتح فمه من الدهشة والعجب من تهوري وخالط الشماتة في عينيه خبث ولمع  
شر.

نظر نحوي بريبة وتمتم :

- لست أفهمك، ويخيل إلي أنك و أنت تكتب عن الدعار والداعرات تضعني في  
زمرتهم، بل ويخيل إلي أحيانا أنك تكتب عني لا عنهم .!  
ثم تفرس في مليا وهو يتمتم:  
- ليس عني فقط... بل عنا.. نعم..عنا..عنا..عنا..

\*\*\*

(ض)

قابلني اللواء الجلاد فأعرضت عنه في أنفة من لم يعد يخشاه، من اكتشف خبيثته  
ورأي عورته بأعين عشيقاته، وسمع أسرار البلد بأذان خليلاته، اندلعت من خزائن  
الذاكرة جمره لهيب كوت القلب فقلت له في مرارة:  
- أما زال التهديد بالخصي قائما قربانا لربك .؟

فقلب يديه كما لو كان يعتذر بهما:

- أما بعد التوبة النصوح والهداية فلا، أولم تقسم عندنا أنك تبت، أولم تقسم  
على ألا تعود إلى المعاصي أبدا، أولم تعزم على الطاعة المطلقة والإخلاص الأعمى،  
أولم تحصل علي وثيقة مهوره بخاتم الدولة الرسمي بذلك كله .

ثم أردف ملزما الحجة إياي:

- أولم تؤمن ؟ .

قلت في شرود :

- نعم .

فأخذ يفرك يديه في حبور، وأخذت أحمد الله أنه لا يفهم في اللغة .

لاحقني بعد أن انصرفت عنه قائلا :

- ليتك تزيد من جرعة الجنس و الإثارة وتقلل من جرعات الوصف والتحليل

فإن ضعف النفوس وحاسديك يدسون عليك أنك تدس بين السطور ما في الصدور.

نظرت إليه في سأم فواصل متفرسا، وربيا مهددا :

- أصارك القول أنني أنا نفسي شككت ذات مقالة أنك تقصدني.

تم رمقني بنظرة كادت تخترق حشاي.

\*\*\*

(ط)

كتبت عن وزراء شواذ في البلاط وعن فروج تحكم . لم ينطق رئيس التحرير لكنه راح يفرك يديه في سعادة لم تطل، فقد صدر القرار بتعييني رئيسا للتحرير وبتعيينه نائبا لي، فقلت له في اجتماع مجلس التحرير:

- أكثر أيام الصحيفة رواجاً تلك التي لا تكتب فيها .

وطأ رأسه في خزي هامسا :

- بتشجيع سيدي سوف أجتاز العقبات لأصبح عند حسن ظنه وحسن ظن

مولاي .

وأخذ السفية يكيد لي، لكنهم في لحظة شبق سلطاني اتخذوا القرار بأن أفوز بالمركز الأول في انتخابات النقابة والنادي. رحلت أهدم أسياذ الحقير وأقطع جذوره كي يضمروا ويتعفن ويسقط، كما رحلت أضمر لعضوية النقابة والنادي البلطجية والقوادين كي يكونوا عوناً لي عند احتدام الوغى، وكيلا يكون ولاؤهم لآخر.

\*\*\*

(ظ)

قال لي الناشر في جزع :

- اكبح جماحك .. فحتي الكتابة في الجنس لها محاذيرها .. إياك ودعارة السلطة ..

فتساءلت دهشا :

- ألم يكن ذلك ما تريد؟ .

فازداد جزعه وهو يقول :

- أري الكوارث مقبلة عليك . .

فنظرت إليه في رثاء من يدرك أنه لا يدرك شيئا لا عن عمق الكوارث حقا

ولا عن قوة من يدافعون عني ..

صمتَ طويلا ثم نطق:

- لي عتاب عليك ..

نظرت مستفهما ومهتما فييني وبين الرجل ما لا ينسي، فتشجع قائلا:

- في مقالاتك التي كنت تتحدث عن العروس التي خانته زوجها في شهر

العسل، واستطردت في الحديث عمن يخونون دون أن يكون لديهم أي مبرر

للخيانة... أحسست بصورة من الصور أنك تقصدني .

همست لنفسي «يدفعني للدعارة ثم يطالبني بالشرف»، لكنني اصطنعت

الصدق والشرف والحرارة وأنا أهتف:

- لكن الواقعة حقيقية والحادثة قد حدثت فعلا.

ركز عيناه في عيني قائلا:

- لكنني كنت ماثلا في خيالك وأنت تكتب عنها.

انفجرت من تلافيف الذاكرة أيام عذابي حين انغلاقني وتحجري، وشملني

الرب أن أفقد نشواتي ومتعي منذ انفتاحي وتحجري، فالنعمة لا تدوم.

خيل إلي أن جميع الناس يدركون خبيثتي فامتدت يد خرافية أصابعها من جليد

فاخترقت عظام الصدر وراحت تهتصر قلبي وتبث فيه الرعب فاندفعت :

- أقسم لك ...

فقاطعني في أسي :

- لا تقسم، فأنا الآخر مثلك : لا أقسم إلا إذا كنت أكذب .

وولي مغادرا وهو يتمتم :

- ليس المهم أن تقوله بل المهم ألا أكونه .

\*\*\*

(ع)

مددت يدي إلى حبيبتى فصرخت في فزع :

- لا أحل لك ..

فصرخت فيها :

- كيف ؟ كيف ..

فقاطعتني ببكاء بلا دموع :

- انظر في المرأة ..

نظرت .. فإذا بوجه ليس وجهي ..

\*\*\*

(غ)

أحببت ما كنت أكره وكرهت ما كنت أحب وازدرت ما قدست و قدست ما

ازدرت، وقلت لحبيبتى ليس العالم ما ترين، فنظرت نحوي بدهشة مستفهمة،

فقلت لها لقد خدعونا، والإنسان وحش لا ملاك، فصرخت :

- كل هذا العناء كي تتحول إلى داعر؟ ..

فقلت لها أن الدعارة هي الشيء الوحيد الصادق والأصيل في هذه البلاد وهي العمل الوحيد الذي يبارسونه بكفاءة ومهارة واحتراف واقتدار.

نظرت إلى بازدرء فأردفت صارخا :

- إنها مهنة الحكام والسادة . . . كل الحكام والسادة.

قالت في يأس :

- يا حيوان يا وحش يا داعر. . .

ولم أكن ساخرا كما ظنت حبيتي حين رحت أقول :

- ما أبدع الإنسان وما أعظمه !! الملاك ملاك والشيطان شيطان والذئب ذئب والكلب كلب والبقرة بقرة والثور ثور والبغل بغل والحمار حمار والفهد فهد والأسد أسد والأفعى أفعى و... و... و.... ولا أحد منها يستطيع أن يخرج عن طبيعته، أما الإنسان فيستطيع أن يكون ملاكا أو شيطانا أو ذئبا أو كلبا أو بقرة أو ثورا أو بغلا أو حمارا أو فهدا أو أسدا أو أفعى ... أو ... أو يستطيع أن يكون مزيجا منها مع اختلاف النسب.

\*\*\*

(ف)

قال لي مدير البنك ناصحا بعد أن انفردي :

- السادة أمثالك لا يحتفظون بكل ملايينهم هنا . . يمكنني أن أساعدك.

\*\*\*

(ق)

نثرت الدولارات والينات والشيكالات بين قدمي حبيتي، صففتها حتي غطت المكان، فمدت حبيتي يدها وتلت تعويذة سرية فإذا بالنقود صحيفة بيضاء أخذت تتشكل عليها خرائط أوطاننا، واستحال اللون الأخضر إلي لونين أخذا يتبادلان ما

بين الأحمر والأسود حتي ظننت بعيني الظنون، ومدت حبيتي يدها الأخرى تم  
تلت تعويذة سحرية فاذا بخرائط الأوطان تتمزق : أكبر مزقة منها بمساحة دولار  
فصرختُ باكية:

- هل رأيت ؟.

قلت :

- لا أري .

\*\*\*

(ك)

نائبى الحقير وشى للسلطان بي، فأشفع دعوته لي على مائدته العامرة بدعوة  
لحبيتي.

حبيتي ..

حبيتي ..

رفضت ..

تمنعت ..

حذرتني ..

تنبهت للخطر و أنا أقدم الملاك في وليمة للشيطان ..

لا .. بل قبلها ..

أستطيع أن أخدع الناس جميعا و ادعى أنني لم أكن أعلم ما سيحدث لكن أتى لي  
أن أخدع نفسي ..

لن ادعى أبدا أنني لم أكن أعرف ما يحدث أو أنني لم أكن أتوقع ما سيحدث،  
حزرت كل شيء، لكن نائبى الحقير لم يفهم مدى حذري ممن يرجي خيره ولا يؤمن

شره، وأنه لا يوجد في الدنيا شيء ليس له ثمن، ولا توجد تضحية يمكن لمثل أن ينكص عنها...

\*\*\*

(ل)

أخون من ذئب..

قال لمولاي:

- من يبيع حبيته اليوم يبيعك غدا.

انقلب مولاي عليّ فلم أجن ثمار تضحيتي بحبيتي.

لم تشرق شمس الوجود اليوم فشفقتا مولاي لم تتبسما حين طالعت سحتي محياه  
الكريم، وتوقفت موجات الصوت عن السريان في الأثير حين لم يهاتفني اليوم  
سائلا عن آخر طرفة.

جد الوجود ولم يعد إلا رجع الصدى لصراخ حبيتي وهي تستغيث وتصرخ  
قبل أن تُستشهد:

- ما أفجر الإنسان ما أكفره .

وكنت أتمني في سريري أن تعبر المحنة صامته فليست الفضائح ما يحدث بل ما  
يعرف .

\*\*\*

(م)

تلقاني شيخي ببشر لم أتوقعه فارتبكت فإذا به يقول مبشرا:

- يثاب الإنسان رغم أنفه !!.

عزاني في حبيتي فأحسن العزاء . ثم طالعتني بعين تدمع والأخرى تضحك

قائلا:

- أبشر بالفرج !!.

\*\*\*

(ن)

يقاطعني الندماء والخلان ... كلما لقيت واحدا منهم يَزُورُ عني غاضبا:

- هل أنا ديوث وداعر ولا كرامة لي وكن شيء يباع بعد تحديد الثمن؟

فأرد يائسا:

- لم أقل ذلك .

فيتفرس الواحد منهم في وجهي بغضب :

- ألم أكن ماثلا في خيالك و أنت تكتب مقالتك الأخيرة؟

- لا أكتب إلا ما يحدث في الواقع .

- بل تقصدني وتقصد أولياء نعمتك .

- أكتب عن جرائم تحدث فعلا ..

- لكنك تدس فيها سمومك .

- لا أكتب إلا عن جرائم الجنس، لا أكتب حتي عن جرائم السياسة.

- ليس المهم نوع الجريمة، ولكن كيف تناولها وتفسرها وتدس السم فيها.

- لا أكتب إلا عن الدعار والداعرات ...

فينصرف عني .....

\*\*\*

(هـ)

نائب الخسيس قابلني اليوم بوجهه القديم :

- كبير الحراس يطلبك .

ارتعدت فرائصي وارتعب قلبي وانهد في داخلي شيء فقلت محاولا التماسك من حلق جف :

- لماذا؟؟ .

فأجاب شامتا وساخرا :

- خمس دقائق . . . فنجان من القهوة.

\*\*\*

(و)

- إلا الملك .. إلا الملك يا صعلوك يا ابن الرعاع .. اكتب عن من شئت وعما شئت لكن إلا الملك .. ألم أقل لك ذلك .

صرخت :

- أقسم .. ما فعلت سوى ما أمرتني . . . .

- يا بن المستفرمة عجم الزيب: مقالاتك المباشرة كانت أهون شأنًا، كل هذا عن مولاك وسيدك ؟ .

- أقسم ما كتبت عنه وما قربته .. وكل ما كتبت كان عن سواه .

- بل لم تكتب عن سواه .

\*\*\*

(ي)

والسياط تنهال على جسدي العاري واجهني وجه حبيبتى تغسله دموع وتممس :

- إذا ذلّ مولي المرء فهو ذليل .

والرصاص ينطلق نحوي رأيت وجه حبيبتى مشرقا وهي تهمس :

أرأيت كم أنه هين... ذلك ما كنت عنه تحيد...

ثم خالط الإشفاق حنان وهي تواصل الهمس :

- تدنس ثوبك فاخلعه .. !!

وأخذت أنظر إليها فإذا بوجهها مرآة وإذا بوجهي وجهي .....

وشعرت أنني أخف وأشف فأطير والألم يتلاشى ويتلاشى حتى ينمحي..

فانطلقت أصدح وأغنى ... ..



## الحجاج (١)

### حجاج (١)

قبل اعتقالي، كنت نديماً للحجاج، ولم أكف عن محاولة إسداء النصيح له، وبعد أن أمّنا لصلاة الجمعة الأخيرة من رمضان أمر بالطعام والشراب وبيجارية من جوارى التلفزيون، ودعاني لمشاركته فقلت له :

- دعاني من هو أكرم منك .

قال في اطمئنان الواثق وثقة المطمئن :

- لا تضر مع الإيمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة .

قلت له :

- بل لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار . . فكيف بك إذا كانت الكبائر بلا استغفار.

قال في غضب وهو يزدرد قطعة من اللحم والجارية تدلكه :

- ألا تعرف لي ميزة واحدة؟! .

قلت بعد تفكير علقمي المذاق مسلماً :

- بلي .. ميزات وليست ميزة واحدة، لكن أعطني الأمان . .

قال :

(١) استدعيت إلى مباحث أمن الدولة بسبب تلك القصة، وحدث صدام بيني وبين الضابط المسئول، فاستعاض عن الإساءة لي بالإساءة لشيخنا الحبيب: «القرضاي». ودافع الله عن وليه.

- فهاتها ولك الأمان ..

قلت :

- وليت علينا السفاحين واللصوص والظلمة فكنت كسواك، لكنك لم تولّ

علينا ديوثا ولا لواطيا ولا داعرا ولا قوادا ..

ثم أردفت بعد تردد :

- ثم أنك لم تمالئ الروم ولا بني قريظة .. ولم تزور الانتخابات .. ولم تهدم

النقابات .. ولم تذرف الدموع أمام تابوت عدو ..!!

\*\*\*

## حجاج (٢)

رأيت الحجاج - بعد أن دخل العراق مع قوات التحالف - يخطب في

التلفزيون مهددا متوعدا بقطع رؤوس أينعت وحن وقت قطافها، ورأيت الناس

من لم يحن الموت جبهته حناها الذل، ولم يعد لعربي كرامة في وطنه ولا لمسلم أمان في

بيته، وكانت الكرامة كل الكرامة للغرباء، حتى ضج الناس لكنهم كتموا

ضجيجهم خوفا، وتهامسوا أن غارات الصليبيين واليهود أرحم من مdahمات

الحجاج، وتساقطت قيم البلاد ولم يعد لبغداد ولا دمشق ولا القاهرة ولا صنعاء

قيمة ، فتلمست السبل حتي لقيته، فبادرني :

- والله إن قلت لي اتق الله قطعت رأسك ..

ارتعدت فرائصي لكنني تماكنت نفسي فقلت له :

- إذن فاتق غضبة الناس ..

قال باستهانة :

- كيف أتقيهم وما من بلد إلا وعليه خصي من خصياني وقد خضعوا له

خضوع السائمة .

### حجاج (٢)

خطر لي خاطر ففزعت، فهرعت إلي الحجاج أسأله :

- هل تقصف الكعبة بالصواريخ؟!

أجاب :

- لا، فقد استسلموا دون قتال .

\*\*\*

### حجاج (٤)

قلت للحجاج :

- ألا تخشي ما يكتبه التاريخ عنك؟!

أجاب :

- لكن التاريخ يكتبه أغواتي ومماليكي وغلماي، وجميع الصحف ووكالات

الأبناء طوع بناني .. !!

\*\*\*

### حجاج (٥)

كنت أداري جبروت الحجاج أحيانا فأمدحه بما ليس فيه اتقاء لغضبه، ورجاء

في وجه الله أن يكتب له الهداية في كلمة من كلماتي التي كنت أعجب كيف يطيقها رغم

دمويته وغباوته، وكنت أهاججه مرات ومرات وأنافقه مرة، وذات مرة قلت له :

- أعزك الله وأطال لنا في عمرك ( وكنت أقصد أذك الله وقصف عمرك ) :

تعلم أن الأرواح وديعة عند بارئها يستردها حين يشاء، ولقد نعمنا في عهدك

بالأمن والأمان والرخاء والديموقراطية ، لكنك لم تُسمِّ لنا ولي عهدك، وأخشي

أن ينتهي الاستقرار والاستمرار التي تنعم بها الأمة بنهايتك، فاستخلف فينا من تشاء، وانطلقت أنشد قصيدة مطلعها :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار . . . فاحكم فأنت الواحد القهار

هملق الحجاج في طويلا، واشتعلت عيناه بنيران الغضب، وراح يعب من زجاجة الويسكي ويلتهم السيمون فيميه والكافيار الروسي، وتشاغل بمشاهدة فيلم أجنبي، لكنه انهد فجأة، ولاحت في سياه مخايل الضعف والعجز والخوف، وبدا كما لو أن عقدة في لسانه قد انفكت بالرغم منه، فانطلق قائلا :

- سوف أفصح لك عن سر لن يوجد علي الأرض من يعرفه سواك إن لم تلحق رأسك ذؤابة سيفي، حتي العراف الذي قرأ لي الطالع وأخبرني به لم يستقر رأسه علي عنقه سوي بعض ساعة بعد نطقه بنبوءه .

تحسست عنقي قائلا في وجل :

- لا ثقله إذن . .

لكنه واصل كأن لم يسمعي :

- تنبأ العراف أنني سأموت في العام الذي أختار فيه ولي عهدي...!!.. حين يغتالني واحد من حرسبي...!!<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

## حجاج (٦)

اشتهر عن الحجاج فعلة أحسب أن التاريخ سيسجلها عليه، وهو أخذه البريء بذنب غيره، فكان يتخذ الرهائن ويعذبهم حتي يسلم ذويهم أنفسهم لسيفه، وذات مرة اتخذ شيخا رهينة حتى يسلم ابن خالة عم زوجة ابن أخيه نفسه، وراح رجاله يعذبونه في السجن، فذهبت النساء من آل الشيخ إلي باب قصر الحجاج بعد

(١) النبوءة قيلت فعلاً لحسني مبارك، وكان ذلك من أسباب رفضه لتعيين نائب له .

أن حشرن أنفسهن في سيارة ميكروباس، وراحت صغري بناته تنشد :

أحجاج لم تشهد مقام بناته وعماته يندبنه الليل أجمعا  
أحجاج كم تقتل به إن قتلته ثانا وعشرا واثنتان وأربعا  
أحجاج من هذا يقوم مقامه علينا فمهلا إن تزدنا تضعضعا  
أحجاج إما أن تجود بنعمة علينا وإما أن تقتلنا معا

وسمع الحجاج الضجيج فسأل عن الخبر، فما أن علم به حتى أمر باتخاذهن رهائن .

\*\*\*

### حجاج (٧)

قلت للحجاج :

- ألا تعمل عملا واحدا لآخرتك؟!

قال :

- خسرتنا الآخرة فلا نطبق أن ينقص حظنا من الدنيا شيئا . . !!

\*\*\*

### حجاج (٨)

عندما تولي الحجاج أعلن أحكام الطوارئ فظلت قائمة طيلة حكمه، ولقد بدأ عهده بخطبة شهيرة أذاعتها جميع وسائل الإعلام، كما تم بثها على شبكة الإنترنت، وطفقوا يعيدون تسجيلاتها حتى حفظها القاضي والداني، وكان مما جاء فيها :

والله لأجعلن نهاركم أسود من ليلكم، والله لأذيقنكم الهوان ولأمرينكم به حتى تدرؤا وتذلؤوا، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل حتى تنقادوا للنظام العالمي الجديد، والله لأضربنكم ضربا يدع النساء أيامي والولدان يتامى حتى تقلعوا عن الهوى .

وفي عهده كان كل مواطن مذنباً حتى تثبت براءته، ولكن لم تكن تثبت براءة أحد قط، حتى عندما كان القاضي يخطئ ويحكم بالبراءة فقد كان يرفض التصديق على الحكم ويأمر بإعادة المحاكمة، وكان هو الحاكم وهو المحكمة، وكان الإعدام هو عقابه المفضل، وطبق عماله قانون الشبهات فكان مما يحسب في صف المتهم أن يثبت أنه لا يقيم الصلاة، أو يرتكب الكبائر، أما البراءة الكاملة مع الاعتذار والتعويض فقد كانت لمن يعتقل على سبيل الخطأ ثم يثبت بعد الاعتقال أنه مسيحي أو يهودي أو مجوسي أو شاذ أو من عبدة الشيطان، فقد كان مشهوراً عنه حبه لأن تصفه الدول الأجنبية بالتسامح، وقد ترتب على سياسته أن أصبح إطلاق اللحية ذنباً لا غفران له، مجرم مقترفه لا من دخول دار الإمارة فقط، بل من كل الأماكن الحكومية، ومن التعيين في المناصب والوظائف، ويظل تحت المراقبة حتى يمكن تليفق قضية له، أو اعتقاله إذا لم توجد القضية المناسبة، وقد رافقني في السجن قبل أن يقتلني الحجاج شاعر مسكين ذو لحية قصيرة، ضبطوه وهو يقضي حاجته في الخلاء، وكان المفروض أن يدفع غرامة أو تبرعاً لمعونة الشتاء لكن حظه العاثر جعلهم يضعونه معنا في السجن بعد أن نسوا تهمة، وراحوا يجددون أوامر اعتقاله روتينياً كلما انتهت المدة أو حكم القاضي بالإفراج عنه، وكنا نقضي ليل السجن الطويل - إن لم يكن هناك تعذيب - في السمر، فيسأل كل منا الآخر عن تهمة، فكان أحدنا يقول:

- كنت أصلي .

ويقول الآخر:

- كنت أصوم .

ويقول الثالث:

- كنت أحج .

ويقول الرابع :

- كنت أتصدق على من قتل الحجاج عائلهم ..

ويقول الخامس :

- كنت أجاهد في بلاد الأفغان والبلقان ..

ويقول السادس :

- كنت أقرأ القرآن و أمر بالمعروف و أنهى عن المنكر ..

ويقول السابع :

- تظاهرت من أجل مذابح جنين ..

ويقول الثامن :

- فاض صبري فلعنت الحاكم الطاغوت في سريري ..

ويقول التاسع :

- لم أفعل إلا أن حففت شاربي و أطلقت لحيتي ..

أما الرجل ذو اللحية القصيرة الذي حبسوه معنا بالخطأ فكان يقول بعد تردد :

- كنت أقضي حاجتي .. !!

وكان مما ينشده هذا الشاعر المسكين في ليالي السمر :

إذا نحن جاوزنا مدينة ظالم .. . خَرَيْنَا و صَلِينَا بغير حساب .

و كنا لحظات الاستيئاس نطلب منه أن يكون حادينا، و نشد جميعا خلفه ..

\*\*\*

## حجاج (٩)

قلت للحجاج :

- كم بينك وبين آدم؟! .!

قال :

- كثير.

قلت :

- فأين هم؟!.

صمت!!.

\*\*\*

### حجاج (١٠)

كنت مع زملائي من المعتقلين مصفدي الأيدي والأقدام، وكان الحجاج - قبل أن يتولى جميع أمرنا- مديرا للسجن، وكان مدير السجن الوحيد في العالم الذي حصل على جائزة نوبل مكافأة له على جهوده، فجمعنا بهذه المناسبة كي نستمع إلي خطبة منه ومحاضرة من طائفة من العلماء الأجلاء أذكر منهم الدكتور ناصر أبو زيد، والدكتور رفعت السعيد، والدكتور مأمون الفندي، وخيرا أجنيا اسمه فريدمان، وراح الحجاج يخطب فينا، فكان مما قال :

- « ليس فيها مثوية، لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة، والله لو أمرتكم أن تخرجوا من باب فخرتكم من باب آخر لملت لي دماؤكم وأموالكم، ولو أمرتكم بتزوير الانتخابات فلم تفعلوا هان علي قتلكم، أما من يطالب منكم بتنفيذ القانون وإعلاء الدستور فدستوري السيف، وأما من يحاجني بالقرآن والسنة فلا جعلته لخصاص الطير طعاما، والله لا أجد أحدا يقرأ علي قراءة ابن أم عبد أو يفسره تفسير أسامة بن لادن إلا قتلته، ولأحكنها من المصحف حتي ولو بضلع خنزير..»

وارتجفت قلوبنا غضبا، لكنه واصل :

- ما عذري من معارض يزعم أن قرآنه من عند الله، والله ما هي إلا رجز من

رجز الأعراب ما أنزلها الله علي نبيه .

وصفق الكتاب الضيوف طويلا بينما أخذ هو يلوح لنا بكتاب مكتوب من الشمال إلى اليمين، عرفت عليه شارة النظام العالمي الجديد، وأخذ يردد :  
- هذا هو كتابكم المقدس ، فرقانكم، ومن لم يؤمن بما فيه فقد أحلّ لي دمه وماله وعرضه .

كنا مصفدين فلم نتحرك ..

كانت ألسنتنا حرة لكن عقلها الخوف ..

وواصل الحجاج القول :

- ثم أن جميع آيات قرآن النظام العالمي الجديد آيات سجدة ..  
وساعتها..

أمرنا بالسجود ..

أمرنا بالسجود وبارقة السيوف على رقابنا ..

فسجدنا ..

وغرقنا في عار الخزي ..

لكن الصحف لم تذكر عن ذلك شيئا ...

\*\*\*

### حجاج ( ١١ )

قبل أن يغلق الحجاج نصف صحف المعارضة، ويستأنس نصفها الآخر، كتب مقالة صدر بها صحيفته - حين كان رئيسا للتحريير - فكان عنوانها:

« رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه، أم خليفته في أهله »

وبرغم أنني توجست من أن أسيء به الظن إن كان فهمي صحيحا، فقد وجدته

يطنب في عجز المقال ما أوجز في صدره، فيدعي أن منزلة الحاكم فوق منزلة الرسول صلي الله عليه وسلم، وأن طاعته أوجب ..  
مزقت الصحيفة .. رغم قانون الطوارئ ..  
فقدموني إلى المحكمة بتهمة الازدراء .

\*\*\*

### حجاج (١٢)

عندما ضيق رجال الحجاج علي السبل هربت و تخفيت، وعملت في التدريس،  
فاصطحبت مجموعة من الأطفال في رحلة مدرسية لتدريبهم علي الإرهاب،  
وعلمت مباحث أمن الحجاج التي لا تخفي عليها خافية بأمرنا و أطبقوا علينا،  
و كنت قد أعددت للأمر حيلة فاندفعت - لحظة دخولهم - مع الأطفال أنشد :

مذمَّمَا عَصَيْنَا ..

و أمره أينا ..

و دينه قلينا .. (١)

انطلت الحيلة عليهم، و قدموا إلينا الاعتذار والشكر، وتركونا آمنين ..

\*\*\*

### حجاج (١٣)

عشت في عصره أسود العهود ...

كتمت الأمر في نفسي، وكظمت الغيظ ...

كأنني كنت أفرج عن نفسي بالبوح لخاصتي ...

كان قد دس عينا له بيننا ... فسجل علي - بالصوت والصورة - ما أقول ...

(١) هتاف وقع كان يهود المدينة يرددونه مناوءة وسخرية بأشرف الخلق ﷺ.

وأمر الحجاج باعتقالي و بإحالي إلى المحاكمة . . .  
في السجن، قبل المحاكمة جلدوني بالسياط كل يوم مائة جلدة وأنا منبطح على  
أرض السجن الرملية اللاهبة في الهجير . .  
نعوا عني الماء بعد طعام كانوا يعدونه خصيصا فيشتد بعده عطشي . .  
ثم عذبوني بالكهرباء . . .

في المحكمة العسكرية ابتدع بدعة غريبة، إذ كان هو القاضي، وهو المدعي، وهو  
الدفاع، وهو الشهود . . بل كان هو الذي يكتب ما تنشره الصحف عن المحاكمة،  
فيدعي عليّ ما لم أقله، فتردده الصحف، وتزيد عليه، فتدينني بما ادّعوا علي لا بما  
قلت ، وكنت قد أيقنت بالموت، فغلب ياسي خو في فصرخت فيه :  
- يا فاجر ، يا جبار، يا عدو الله، يا خائن . . .

فضوعف الجلد والعطش . . .  
وجاء من يساومني على التوبة مقابل العفو . . فوسوس لي الشيطان أن أتوب . .  
لكن عقلي أدركني وقلبي أنقذني، فقد فعلها الحجاج مع السابقين، حين كان  
يحرص قبل قتلهم على الحصول علي اعتراف منهم على أنفسهم بأنهم كانوا علي  
الكفر وكان هو المؤمن، وبمجرد اعترافهم كان يقتلهم بإقرارهم، فيخسرون  
الآخرة والدنيا، وقلت لنفسي أن الله قد خلقني من المرزوقين لا من الرازقين، وأن  
دنياي آخرتي، ومحياي موتي، فعاودت الصراخ فيه في المحكمة :  
- يا عار على الحكام والحكم، يا فاجر يا عدو الله يا خائن . .

ثم أخذت أستحث الحاضرين أن يُعلم الحاضرون الغائبين بحقيقة أمرني، وأن  
يطلبوا منهم ترديد الدعاء الذي سأتلوه عليهم، وأن يكتبوا نصه ويتبادلونه  
بالفاكسات والإنترنت، وصرخت فيهم :  
- ليس لها من دون الله كاشفة . . .

طلبت من الحاضرين أن يناشدوا المسلمين جميعاً أن يقوموا ليلة القدر، وألا يكفوا عن الدعاء - فقد يكون منهم من لا يُردُّ دعاؤه - لملك الملوك، للجبار، الواحد، الأحد، قاهر الجبابرة، وهازم القياصرة، ومهلك الأكاسرة، ومذل الرؤساء والملوك، ومزيل الممالك كأن لم تكن، أن يقصمه، وأن يُلحِّقوا علي الله في الدعاء والرجاء، بالأتهل علي الحجاج ليلة القدر مرة أخرى، وبأن يكون هذا العام آخر عام في حكمه، وأن يجعله الله عبرة لمن أمهل فأهمل .. واستؤمن فخان.

\*\*\*

التفتُ إلي الحجاج قائلاً :

- قتلك الله قتلة بكل قتلة قتلتها، فلقد استرعاك الله أمننا فروعتنا، واستأمنك علي دماننا فسفكتها، وعلي أعراضنا فهتكتها، وعلي أموالنا فنهبتنا، وعلي بلادنا فضيعتها .. وأمرك الله بأن تحارب أعداءنا فتوليتهم .. فأنت منهم ..

انتهت المحاكمة، وأمر الحجاج بقتلي فضحكت ..

فاستشاط غضباً .. وقال :

- ما يضحكك؟! ..

قلت له :

- جرأتك علي الله وحلمه عليك .



## غيلان الدمشقي

### غيلان (١)

كنت ذاهبا لصلاة الفجر في مسجد الإمام الحسين فقابلت غيلان الدمشقي خارجا من الأزهر غاضبا فأقسمت عليه أن يصحبني كي يعظ شيوخنا، فقد استمرئوا طعام معاوية ولم يعودوا للصلاة مع علي، فتكدرت ملامحه وتغضن وجهه وقال :

- هذا زمن الهرج ، وشيوخكم ليسوا إلا فقهاء سلاطينكم، وهم إن وُعِظُوا  
أَنْفُوا وإن وَعَظُوا عَنُفُوا ..

قلت له في ضراعة :

- إدعُ لهم بالهداية فلعل دعوتك تستجاب ..

تفرس في وجهي في ألم وانطلق قائلا :

- لكن الله يضل الظالمين .. الله يضل الظالمين .. الله يضل الظالمين ..

ثم اختفي في ظلام الليل فجلست على الطوار أبكي .

\*\*\*

### غيلان (٢)

عرفت صومعة غيلان فألقيت عندها الترحال بعد أن خاب أملي وخارت قواي ورحت أتحنن الفرص للحديث إليه ولمحته فصرخت فيه :

- إنهم أتباع بني أمية .. وها هي ذي سيوف يزيد تقطع رقابنا. حتى الحسين لم

يتركوه لكنهم يحكمون علينا بأننا نحن أتباع بني أمية وبأننا الداعون لعودة حكمهم ويرهبوننا ويتهموننا بالإرهاب .

رد في سأم :

- انظر إلى نفسك : أعبد الله أنت أم عدوه .

قلت :

- والله أنا عبد الله وهم أعداؤه .

قال :

- رُبّ متعبد لله بلسانه معادله بفعله ذلول في الانسياق إلى عذاب السعير في أمنيته أضغاث أحلام يعبرها بالأمني والظنون!! .

صرخت في فزع :

- ألسنت علي الحق .

قال في وجوم :

- بلي ولكنك - مثلي - مقتول .

\*\*\*

### غيلان ( ٣ )

رأيت غيلان يتجول في المدينة فتبعته فدار حول قصر عابدين وقصر العرب ومجلس الشيوخ ثم شد الرحال إلى طرة والقناطر والواحات وأنا أغذ السير خلفه حتي بلغ مني الجهد كل مبلغ فهتفت به :

- تعبت يا سيدي .. تعبت ..

نظر نحوي بدهشة غاضبة وتمتم :

- لكنك لا ترى .

هتفت في لوعة :

- ادع لي كي أرى ما ترى ..

قال:

- هل تستطيع معي صبرا؟.

أومات بالإيجاب يسحقني عذاب..

فتمتم بدعاء فإذا بي أرى الحقيقة فالسماء سوداء. والسحب تمطر ترابا أحمر.  
وأخذ غيلان يرفع الأحجار في أرجاء المكان فيما من حجر إلا وجدنا تحته دما  
وتلفت حولي في فزع فإذا بالجدران ملطخة بالدم فرفعت يدي أناشده و أتوسل  
إليه:

- ادع لي ألا أرى !! ..

وإذا بيدي ولساني تقطر دما .. !!

\*\*\*

#### غيلان (٤)

قلت لغيلان :

- ما يصبرني على ما صرنا إليه من فساد في الأرض وسفك في الدم وخراب في  
الذمم وظلم أولي الأمر إلا أنه لا يحدث إلا بمشيئته وقدره لكن حكمته تخفي على  
مثلي .

رد في غضب :

- هل تزعم أن الله يجب أن يعصى؟! ..

قلت في ضراعة :

- كلا بأبي أنت و أمي : لكن هل ترى أنه يعصي قسرا؟! ..

قال في ألم :

- هل تنسب الجور إلى الله؟ هل يحاسب الله الناس علي فعله هو؟ وهل سيدفع بهم إلي ما نهاهم عنه؟ وهل يكلفهم بما لا طاقة لهم به؟ هل وجدت حكيما يعيب ما صنع؟! أو يصنع ما يعيب؟! أو يعذب علي ما قضي؟! أو يقضي علي ما يعذب عليه؟! أم وجدت رشيدا يدعو إلى الهدي ثم يضل عنه؟!.. أم هل وجدت رحيمًا يكلف العباد فوق الطاقة؟!. ويعذبهم علي الطاعة؟!. أم هل وجدت عدلا يحمل الناس علي الظلم والتظالم؟!. وهل وجدت صادقا يحمل الناس علي الكذب والتكاذب بينهم؟!

صرخت :

- إذن كيف يفعلون ما يفعلون؟..

قال :

- كفي بيان هذا بيانا وبالعمى عنه عمى!!..

\*\*\*

### غيلان (٥)

نصبوني حاكما للبلاد... باستفتاء زورًا الأصوات فيه... فقطنت أعلي ربوة من روايبها... وجاءني غيلان يعظني ويحمل الحمل الثقيل معي فقال لي: انبش تحت الربوة فوجدت كوما من الجهاجم والذهب المنهوب ووثائق الخيانة المدفونة وراح يكشف لي عن كل قبيح ويعرض علي كل مظلمة حتي برهن لي أن العفن قد تسلل إلي كل شيء حتي طالني و أنني محاصر بحاشية السوء أحسب أنني أحكم بينما هم الذين يحكمون. وفكرت في الأمر طويلا واستبدت بي الحيرة حتى وصلت إلي يقين؛ فأمددته بالمال والرجال والعتاد ورجوته أن يحارب جيشي، وأن يهدم حكمي.

## غيلان (٦)

رأيت غيلان وقد تسلل إلى لقاء الرئيس بالمتقنين في معرض الكتاب وأخذ مكبر الصوت عنوة وراح يصيح :

- اعلم أنك أدركت من الإسلام خلقا باليا ورسما عافيا، وربما نجت الأمة بالرئيس وربما هلكت بالرئيس ، فانظر أي الرئيسين أنت ، فإن الله تعالى يقول : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ فهذا إمام هدي ومن اتبعه .. ويقول : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَكْفُرُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُصْرُونَ﴾ رأيت الحرس ينقض عليه ويسوقونه إلي حيث لا أعلم ..

ولم تنشر الصحف عن ذلك شيئا ..

\*\*\*

## غيلان (٧)

قال غيلان لي :

- ليس لعين تري الله يُعصي أن تطرف حتي تغير أو تنتقل !  
قلت له :

- فبم نواجه الشر ؟

قال :

- بالسيف ..

\*\*\*

## غيلان (٨)

قلت لغيلان :

- هل بعد هذا الشر خير ؟!

قال :

- نعم .

قلت :

- فهل بعد ذلك الخير شر ؟

قال: نعم . .

قلت له :

- فادع الله أن يمد في أعمارنا حتى نرى بشائر غرسنا . .

قال :

- ما رأيت عاقلا يطالب بتأخير نضوج محصوله ونوال أجره !!.

ثم واصل القول :

- بعد عام نموت وبعد ألف عام سوف نموت . . . فالآن .

\*\*\*

### غيلان ( ٩ )

رأيتني نائبا للظالم الجبار الغبي المتكبر فلما قتلوه صار إليّ الحكم من بعده فوليت غيلان ديوان المظالم فجمع كل ثروة حرام ولم يترك للجبار الهالك ولا لبيته شيئا ولا ترك وزيرا ولا مديرا ولا حتى حلي امرأتي، وراح يقف كل يوم أمام كاميرات التلفزيون ينادي علي ما صادره :

- تعالوا إلي متاع الخونة . . تعالوا إلي متاع الظلمة . . تعالوا إلي من خلف الرسول في أمته بغير سنته وسيرته . . من يعذرني عن يزعم أن هؤلاء كانوا أئمة هدي، وهذا متاعهم والناس يموتون من الجوع . .؟! .

جاءني كبير مباحث أمن الوطن يقول لي أن غيلان يشعل الثورة ويشجع علي

الإرهاب ، وأنه يخشي علي العواقب فقلت له :

- كل يوم أتقيه وأخافه دون يوم القيامة لا وُقِيْتُه !!.

\*\*\*

### غيلان (١٠)

جلست أمام صومعة غيلان في انتظار أن تهل علي طلعتة أو يشنف أذني صوته فأخذتني سنة نوم ، فرأيتني أمطي بساطا سحريا يعبر بي الزمن إلى أزمان أنكرتها حتي حطّ بي أمام صومعة كصومعة غيلان ، وجدت فيها خالد الإسلامبولي وأسامة بن لادن فهتفت به والدموع تتقاطر من عيني :

- رأينا من المظالم ما لا قبل لبشر به فلا تبايعا أحدا منهم .. !!

فردا بنفس مطمئنة :

- ما هؤلاء ولا أولئك سوي بثور قيح علي جسد الزمن ولقد خلعنا بيعتهم جميعا ، ثم أن العصور عصور الناس لا عصور الولاة الطغاة .

سألت ملهوبا :

- فمن بايعتها إذن ؟

قالا في نشوة من يعلما أن الاستشهاد مألها :

- بايعنا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

\*\*\*

### غيلان (١١)

صحوت من نومي فإذا الشرط يحيطون بداري ، ويسألون عن غيلان فأنكرت معرفتي به ، فواجهوني بتسجيلات بالصوت والصورة ، وعذبوني فأرشدتهم إلي صومعته ، واستفتوا الشيخ الكبير فأفتي بأنه إرهابي وبأن قتله أفضل من قتل ألفين

من الصهاينة، وجاء القاضي فصدق على الحكم فصرخت فيه :  
- احكم بما تعلم - أعزك الله - لا بما يقولونه لك و أنت تعلم أنه قول الزور  
وتحرص الكذب .

أمر بإحالي إلى المحاكمة بينود القانون فصرخت :  
- حاكموني واحبسوني واقتلوني لكن دعوا غيلان يرد المظالم .  
قالوا :

- بل تقرر صلبك مع غيلان و أعوانه .  
سألتهم :

- ألم يبطل النظام العالمي الجديد الصلب .  
قالوا :

- لكننا تحت حكم الطوارئ، ثم أن النظام العالمي الجديد يحض على صلب  
الإرهابيين مثلك .  
صرخت فيهم :

- والله إنكم أنتم الإرهابيون ، وأنتم القتلة . .  
فأتوا بنا فصلبونا وغيلان يدعو الله عليهم . .  
صرخت فيه :

- لماذا لا يستجيب الله لك . .؟! .  
قال لي في رثاء :

- يا أعشى القلب . . بذلك يستجيب !! .  
وقال له الشيخ الكبير :

- رأيت ما فعل الله بكم .

أجاب غيلان :

- لعن الله من فعل بنا ذلك .

أمروا بتقطيع أيدينا وأرجلنا من خلاف، وأجهدنا العطش والألم، وطلب  
أحدنا شربة ماء، فرفضوا وقال الشيخ الكبير :

- لا نسقيكم حتى تشربوا من الزقوم في جهنم .

التفت إلينا غيلان من علي صليبه وقال :

- يزعم هؤلاء أنهم لن يسقونا حتى نشرب من الزقوم كذبوا .. إن الذي نحن  
فيه لبشير بالجنة فاصبروا على ما أنتم فيه .

صبرنا، ورحنا نموت الواحد بعد الآخر، فيستدير غيلان من فوق الصليب  
فيصلي علي من يموت .

والتفت إلى من حضر من الناس وأخذ يقول :

- قاتلكم الله، وقاتل حكامكم فكم من حق أماتوه؟! وكم من باطل قد أحيوه؟!  
وكم من ذليل في دين الله أعزوه؟! وكم من عزيز في دين الله أذلوه?!.

وراح غيلان يفضح خيانة الحكام ومبازل الحاشية ونهب الثروات وضياع  
الحقوق والاستسلام للعدو وضياع الدين وانهار القيم وتفصيل البنود السرية في  
الاتفاقيات المخزية والاستسلام لضغوط صندوق النقد الدولي، وأخذ يسترجع  
عبر التاريخ. وخشي رجال الحاشية أن تنقل وكالات الأنباء ما يقوله .. وأن تنقل  
الصحف عنه، فهرولوا إلى سيدهم وقالوا له :

- لقد قطعت يدي غيلان ورجليه وأطلقت لسانه .

فأمرهم بقطع لسانه، فقطعوه، فظل ينزف حتى ارتفعت روحه إلى بارئها  
فالتفت من علي صليبي، وصليت عليه .

\*\*\*

## غيلان (١٢)

وأنا علي الصليب اجتاحتني من العذاب الهلاوس، فخيّل إلي أنني قابلت الملك صدفة بعد أن أفرج عني فسألته :

- أخبرني عن رجل له خصم ألدّ، ما حاله ؟.

قال :

- سيء الحال .

قلت :

- فإن كانا خصمين ألدّين .

قال :

- فهو أسوأ حالا .

قلت :

- فإن كانوا ثلاثة .

قال :

- ذاك حيث لا يهتته عيش .

قلت :

- فوالله يا جلالة الملك ما من أحد من أمة محمد ﷺ إلا وهو خصمك .



## الوزير (سنة ا.ق. ف.)\*

في ذلك الزمن الغابر، السحيق الساحق، الذي تفصلنا عنه هوة سحيقة من الألم والشقاء والمهانة، كنت وزيرا في بلاط الملك، ففوجئنا برئيس الوزراء يدخل علينا هلوعا يهمس في صراخ أو يصرخ في همس:

- لقد استبد الغضب بالملك..

غرقتنا في رعب هو اجس الإقالة والفضيحة والحرمان من كل نشوات السلطة الخلال والحرام، وواصل رئيس الوزراء همسه الصارخ وصراخه الهامس:

- كل أسرار المملكة مسجلة عند الأعداء، كل أسرار المملكة.

رحنا نتبادل النظرات الزائغة في روع وقد هدتنا مصيبة فادحة لم نعرف بعد كنهها وتفصيليها وأخذنا نهدئ من انفعاله كي نفهم منه ما حدث، لكن داعيا جاء يستدعينا إلى الاجتماع الذي يرأسه الملك بنفسه.

عند مدخل قاعة الاجتماع فوجئنا برئيس المخابرات بشحمه ولحمه يقف عند بوابة الإلكترونيّة، طلب منا أن نمر من خلالها فامتأنا بإحساس غامر من المذلة والمهانة، وأنذرتنا الشواهد بسوء المصائر.

نظر الملك إلينا ساخرا -والعجيب أن شبح ابتسامة كان يلوح علي محياه الكريم - وهو يقول:

- كل أسرار المملكة مسجلة عند الأعداء، كل أسرار المملكة..

راح يسرد علينا كيف أن كل خططنا لمقاومة خطط الأعداء قد ذهبت أدراج الرياح عندما جلس يتفاوض معهم، فإذا بهم يعرفون كل شيء، كل شيء، فحاول أن يقاوم وأن ينكر، لكنهم أتوا له بتسجيلات كاملة لاجتماعاتنا، سُمع فيها حتى

وجيب قلوبنا. أشار الملك إشارة خفيفة فأحضروا جهازا للتسجيل أداروه فإذا به أحد تلك التسجيلات، وقال الملك :

- علي سبيل النكاية والزراية أعطوني نسخة من تسجيلاتهم.  
أسقط في أيدينا.

قال رئيس المخبرات أنه سيبحث الأمر، سيتقصاه، سيستجوب البشر والحجر والشجر، وسيتمتصت حتي علي ديب النمل، حتي يصل إلي حقيقته.  
خرجنا من الاجتماع نرتجف وقد بلغت أرواحنا الحلقوم.

في الأيام التالية، تم استبعاد المعاونين والخدم، بعد تقص مستفيض قال رئيس المخبرات أنه لم تكن لديه شبهة حقيقية فيهم لكنه درءا للذرائع لم يترك ثمة شبهة إلا بحثها.

تم فحص المكان بأدق الأجهزة، واستبعدت احتمالات التسجيل عن طريق تسليط حزمات من أشعة الليزر، فقد كان المكان محصنا ضدها، كما تم استبعاد احتمال التسجيل عن طريق الأقمار الصناعية التي كان جهاز مخبراتنا العظيم قد نجح في الشوشرة عليها.

جمعنا رئيس الوزراء ليقول لنا أنه عاجز عن مواجهة الملك بعد أن فشلت جميع محاولاته في اكتشاف الثغرة الخائنة التي تتسرب منها أسرارنا إلي الأعداء، وأنه علينا إما أن نساعدته في البحث عن سبب للمصيبة وإما أن نقدم استقالاتنا، لأنه لم يعد سوانا محل اشتباه. قلت لرئيس الوزراء غاضبا:

- إذا لم يكن الوزير محل ثقة فإن أحدا لن يقبل المنصب بعد ذلك.. فأجاب رئيس المخبرات في آسي :

- علي العكس تماما ...

غطى ضجيج الوزراء علي محاولات الاحتجاج وراح كل منا يدلي بدلوه.

في اليوم التالي جمعنا رئيس الوزراء علي عجل وفوجئنا باضطرابه وتلعثمه حتي فوجئنا بدخول الملك مجتاحا كإعصار مشتعلا كبركان هادرا كطوفان فصرخ بنا بصوت الرعد:

- من منكم الخائن؟

ثم أمر بجهاز تسجيل وأمر بوضع شريط فيه فإذا بكل ما دار في الاجتماع الأخير مسجل عليه، وقال رئيس المخابرات أن خطابا مرفقا مع شريط التسجيل هدد بأن وقائع اجتماعاتنا يمكن أن تذاع حية علي شبكات الإنترنت، في بث مباشر، بل وأنذر الخطاب بأنهم قد يبدأون من اجتماع تالي في بث أصواتنا بعد معالجتها كي تُسمع أصواتنا دون أن تُفهم ألفاظنا، وأنهم لن يعلنوا عن ذلك، لن يفضحونا، لكننا نعلم وهم يعلمون، وعند اللزوم سيكشفون كل شيء!!..

ملأنا الرعب وشلنا الخوف وأغرقنا الذهول، وقال رئيس المخابرات:

- الخائن إما واحد منا أو قريب جدا إلينا ..

انطلقنا يجللنا العار وتخيم فوق رؤوسنا حيرة.

أخذ رئيس الوزراء يجرب كل حيلة كي يكشف الخائن الأثيم .. فمرة يدعوننا إلي مكان غير متوقع لاجتماع مفاجئ، ومرات تقتصر الدعوات علي البعض دون البعض الآخر، لكننا في كل مرة كنا نفاجأ بعد يوم أو يومين، بشريط تسجيل لا يترك كبيرة ولا صغيرة إلا أحصاها، فحصوا أحذيتنا وملابسنا وعويناتنا وأقلامنا وحقائبنا، وامتد الفحص -بعد إذننا- إلي سيارتنا ومكاتبنا، وحتى إلي منازلنا .

قال وزير البحث العلمي أن وسائل المخابرات قد تقدمت إلي الحد الذي يستطيعون فيه زرع جهاز إرسال لا تراه عين في إطار نظارة أو في حلية علي مثبت رباط عنق أو في أزرار سترة أو حتي في ضرس محشو.

خضعنا جميعا لفحص طبي مكثف ..

قال رئيس المخابرات وقد أوشك علي الانهيار :

- إذا استمر الوضع علي هذا الحال فليس ثمة مناص من اختيار من اختارين  
ليس لهما ثالث : فإما أن نتخلى جميعا عن الحكم ، وإما أن نتفق مع الأعداء علي أن  
نسلم لهم بكل ما يريدون، كل ما يريدون دون قيد أو شرط ..

واجهته غاضبا بقولي :

- ذلك واجبك أنت وحدك فلا تتصل ..

قال وكاهله ينوء بهمه :

- أنا شخصيا سأقدم استقالتي إذا لم أكشف سر الخيانة خلال أيام ..

تعالته همهماتنا لا يبين منها موافقة أو اعتراض ..

انطلقنا، كل منا في اتجاهه، وعلت نبرتنا في الخطابة بين الناس وفي الإدلاء  
بالتصريحات النارية الملتهبة التي ندين فيها العدو الزنيم ونقسم أننا سنواجهه في كل  
شبر وسنهزمه، لكننا في نفس الوقت توقفنا عن اتخاذ أي قرارات حقيقية ضده  
انفصمت نفوسنا بين عدااء العلن وخنوع السر، وأصبح المهم الشاغل لكل وزير أن  
يراجع خطط وزارته لينقيها مما يمكن أن يستفز العدو، انفرط عقدنا وتشتت جمعنا  
وأخذ كل منا يجارب معركته الخاصة محاولا أن يترك عند الأعداء يدا يذكرونها له  
عندما يشاءون تفجير الفضيحة، لم يكن أحدنا يقول للآخر ما يفعل ولماذا يفعله،  
لكننا كنا جميعا نفهم، وكان كل واحد منا يبحث خلف قرارات أي زميل في الوزارة  
عن السبب الحقيقي، الذي لا يعلمه الناس ونعلمه نحن.

ترامت إلينا الأخبار أن رئيس المخابرات راح يستدعي بعضنا، ولم تتسرب مما  
حدث بين المستدعين ورئيس المخابرات نأمة، انتشرت بذور الشك بيننا، ولم تعد  
عين وزير تلتقي بعين وزير، ورحنا نفسر كل تصريح وكل قرار في ضوء وضعنا  
الجديد، ورحنا بعد كل استدعاء نتوقع إقالة، لكن الاستدعاءات راحت تتوالي ولا

جديد ..

توقفنا في اجتماعات مجلس الوزراء عن بحث أي موضوع آخر.. قال وزير السلام أنه لا مناص من الحرب، فرد عليه وزير الحرب أننا لا نستطيع أن نحارب بعد أن تشتت جمعنا وأهدرت قوانا، ورحنا نتداول في الأمر، وانضم نصفنا إلى وزير السلام ونصفنا الآخر إلى وزير الحرب. تعالت أصواتنا فقال الساعون إلى السلام أن للحرب ويلايتها و أننا غير مستعدين لها، وأنا سنضيع الأمة إذا خضناها، وأن هذا كان سبب قرارنا الاستراتيجي بأن تكون حربنا الأخيرة آخر الحروب، ورد دعاة الحرب بأننا نخون الأمة الآن ونضيعها فعلا، بعد أن أصابنا الشلل وأصبحنا عاجزين عن اتخاذ أي قرار، وأن خوفنا من استفزاز الأعداء قد دفعنا إلى النكوص حتي علي ما يحتمل ألا يستفزههم، وأن ذلك كله يدفع بالأمة إلى وضع رهيب، تتحلل فيه وتنهار، وصرخ واحد منا في تشنج أنه إن كان علينا أن نموت علي كل حال فمن الأشرف لنا أن نموت في الحرب بالصواريخ والمواد الكيماوية وأسلحة الدمار الشامل، فذلك أشرف من أن نتعفن ونتحلل حتي الموت ونحن ساكنون ساكنون!!..

عند ذلك حدث شيء غريب رهيب، فقد اندفع أحد كبار رجال الأمن إلى قاعة الاجتماع دون استئذان ليقول لنا أن أجهزة الرصد والمتابعة قد التقطت أصواتنا علي شبكة الإنترنت وإن كان رجاله لم يستطيعوا تمييز ما نقول .. انفض الاجتماع علي الفور دون كلمة، دون تعليق، ودون إكمال للنقاش عن السلام والحرب..

واصل رئيس المخابرات استدعاءته لنا واحدا فواحدا..

كنت آخر من استدعاه.

كنت غارقا في التوتر فمجرد الاستدعاء دليل علي الاحتمال، والاحتمال مهانة، لم

أستجب للملاحظات وهو يرحب بي ويسألني عن الأحوال والصحة والأولاد، أعرف أساليب هؤلاء الناس مع المتهمين العاديين لكنني لم أعرف أبدا كيف يمكنهم التعامل مع وزير، علي التزام أقصى درجات الحرص إذن فأقل هفوة يمكن أن تضيعني، وما أحوج الملك الآن إلي كبش فداء، واجهت رفته المصطنعة بخشونة :  
- فلندخل في الموضوع مباشرة.

فإذا به يواصل السؤال عن الصحة، فانفجرت غاضبا:

- لا شأن لك بصحتي فالموت أهون عندي من هذا الموقف أمامك.

لكنه قال في أسي :

- لكن الأمر في النهاية يتعلق بصحتك ..!!

نظرت إليه مشدوها فواصل :

- منذ أعوام كنت في الولايات المتحدة الأمريكية وأجريت بعض الفحوصات الطبية هناك ..

قاطعتة قائلا في خشونة :

- تفاصيل هذا الفحص موجودة في ملفي الطبي لديكم ..

لكنه قال في تودة :

- لقد أخفيت عنا عملية صغيرة أجريتها في عيادة طبيب الذكورة الشهر ..

شلني الرعب وأخرسني الخجل.

واصل هو قائلا :

- كنت تعاني بعض المشاكل .. زرع الطبيب لك عضوا صناعيا للذكورة ..

انفجر الصمت حتي غطي دويه علي كل صوت آخر ..

أحسست صفيرا في أذني وغشاوة أمام عيني ..

قلت لنفسي أن للأذن البشرية مجالاً لترددات الصوت لا تسمع فوقه أو دونه ومهما ارتفع ذلك الصوت فلا يمكن للأذن أن تسمعه مادامت تردداته خارج نطاق استقبالها، وأنني ولا شك قد أطلقت صرخة هائلة انصدع لها قلبي، لكنها صرخة لم تسمعها أذن، لا تسمعها أذن، لن تسمعها أذن..

قلت لنفسي أيضاً أن للجلد البشري قدرة علي تمييز الحرارة في مدي محدود، تستطيع مثلاً أن تقول أن هذا الشيء دافئ وأن الآخر ساخن أما الثالث فهو ساخن جداً، لكن، إذا ارتفعت الحرارة إلي ألف درجة، إلي مليون درجة، إلي مليار درجة، إذا ارتفعت إلي ذلك، أو إلي شيء منه، فإن الجلد يصبح أعمى، لأن لحظة الإدراك نفسها هي لحظة التلاشي..

هل كان رئيس المخبرات هو الذي يتكلم وهل كنت أنا الذي أسمع؟.

هل واصل الكلام مباشرة أم صمت مليون عام ثم استأنف حديثه؟.

هل كان هو الذي يقول :

- كانت مخبرات الأعداء تراقبك ونجحوا بطريقة معقدة واتفاقيات متشابكة

في زرع جهاز إرسال لا يري في العضو الذي زرعه لك ..

خيم صمت مروع وتحايلت لعيني مشاهد الفضيحة والخراب .. ليست مجرد

الإقالة ما تنتظري، بل المحاكمة والفضيحة والخراب .. وانطلق الصوت داخلي

يصرخ:

- خسرت كل شيء .. خسرت كل شيء ..

هل قال ذلك؟.

هل كنت أنا الذي قلت له منذ قليل أن مجرد استدعائي أشد من الموت؟.

الآن إذن، ماذا يمكن أن أقول؟ .

أطرقت طويلاً وأنا لا أجرؤ علي مواجهته أو النظر إلي عينيه .. تساءلت أخيراً

بصوت مهزوم :

- هل تلقي القبض علي الآن .

فوجئت به ينفجر ضاحكا، ثم يقول بيطيء مرّ :

- هل تذكر احتجاجك علي مراقبة الوزراء، حين قلت لك أن الأمر علي العكس

تماما..

ثم راح يتمتم كأنها يحدث نفسه :

- ما يحرك الوزير في عمله ليس المثل الأعلى بل خوف الإقالة، وهو لا يثبت علي

مقعده إلا إذا اهتزت فرائضه، ولا يستمر استقراره إلا باستمرار اهتزازه..

اعتصر قلبي تحت وطأة ضحكاته الصاخبة، وقلت لنفسي : عليك من الآن أن

تحمّل كل إساءة، وأن تتلع كل إهانة، وأن تصمت علي كل سخريّة، لكنه واصل

قائلا :

- شر البلية ما يضحك !.

قلت و أنا من الانسحاق في غاية :

- الموقف صعب فلا تطله علي .

واصل هو القول :

- ليت القبض عليك يحل المشكلة!!..

نظرت إليه وقد استبدت بي الدهشة بعد العذاب، فإذا به يقول :

- ربما تعلم أو لا تعلم أنك آخر وزير أقابله .

تطلعت إليه في يأس فقال :

- ما من وزير منهم إلا وهو مثلك !!.

لم أفهم في البداية ما يعنيه، كنت أغرق فم أبي لغرق من بجواري..

رأي هو ملامح عدم الفهم تلوح علي فأكد قوله :

- ما من وزير منهم إلا وهو مثلك !!..

هتفت به :

- ماذا تعني؟..

أجاب :

- أعني ما أقول، كلهم، كل واحد منهم كان عاجزا مثلك، وكل واحد منهم عاني ما عانيت أنت، . وفي رحلة إلي أمريكا أو فرنسا أو إنجلترا أو ألمانيا أو حتي إسرائيل، ذهبوا إلي مراكز مختلفة للذكورة و أجريت لهم نفس عملية الزرع. وكلهم، واحدا واحدا، يحملون داخل عضوهم المزروع جهازا دقيقا للإرسال لا تراه عين !!.

عربد الشيطان داخلي، وكدت أنفجر أنا الآخر ضاحكا، لكن ملامحه المتجهمة كبحت جماحي، وانطلق هو يكاد يصرخ :

- ما من وزير إلا وهو مثلك !!.. وليت الأمر اقتصر علي ذلك، فما من وزير سابق إلا وهو مثلك، وما من مرشح للوزارة إلا وهو مثلك، الجميع، لم يتركوا أحدا، من كان وزيرا وكل من يمكن أن يكون..

رحت أنظر إليه مشدوها، وقد حدث لعقلي مثلما يمكن أن يحدث لجلدي لو تعرض لحريق تعدت درجته مليون درجة .

انفجر رئيس المخابرات كشحنة طال كبتها، أو كقنبلة نزعت عنها ذراع الأمان فارتطمت فانفجرت، كرصاصة انطلقت فلا يمكنك مها بذلت أن تعيدها بعد انطلاقها، مها بذلت، انفجر وانطلق حتي خيل إلي أنه لا أنا ولا هو ولا الملك نفسه ولا حتي أي قوة في الدنيا بقادرة علي إيقافه عن الكلام :

- إنني لم أكف عن التفكير في الأمر لحظة، لا أفكر في شيء آخر تقريبا، أكاد أجن، ليس الأمر أمر وظيفتي، ولا عبء مسؤوليتي، ولا حتي ما يمكن أن يحل بي

من عقاب أو من مهانة، الأمر أبعد من هذا بكثير، لا أستطيع أن أشرحه لك، لأنني حتى لا أستطيع أن أشرحه لنفسي، ما لدي ليس سوي تساؤلات بلا أجوبة، كشریان ينزف بلا توقف، إن صفاء عقلي يغييم، وسرعة بديهتي تتحول إلي حيوان بائس يسير بسرعة السلحفاة في زمن نبحت فيه عما هو أسرع من الضوء، وعندما يعجز العقل فلا بد أن تلجأ إلي وسائل أخري، الوعي ليس سيارة تتوقف عندما تفرغ شحنة بطاريتها.. لا.. لا تتوقف السيارة عن الدوران وانتهي الأمر، سيارة الوعي لا تتوقف أبدا، أبدا، وهي إن لم تسر بالعقل والمنطق فلا بد أن تسير بغيرهما، بالحدس، أو يقين القلب، أو الخرافة، لكننا قتلنا الحدس داخلنا، وليس الحدس سوي بوصلة الروح وموجه النفس وعين القلب، قتلناها في صراعاتنا اليومية بقصر نظر منقطع النظر، بعماء ليس له حد، قتلنا أنفسنا ونحن نظن أننا نحيتها، نقاذها، بل وبلغت بنا الغشاوة أن ظننا أننا بذلك نتصر، يا له من انتصار بائس، لقد كنا كالسكران الذي ينظر في المرآة فيري صورته فيظنها عدوا فيطلق عليها الرصاص، حتي هذا السكران أفضل حظا منا، فكل خسائره لوح زجاج يتشم، أما نحن فقد كنا نطلق الرصاص علي أنفسنا، وكلما كانت الإصابة أدق كنا نطلق صرخات الانتصار الوحشية، دون أن نعي إلي أن دمننا هو الذي ينزف..

بدا أن الرجل قد فقد عقله، وأخذت أنظر إليه في ذهول، فإنه ليس مجرد رجل، إنه رئيس المخابرات، وإذا فقد عقله فقد فقدت الأمة كلها عقلها الذي به تفهم، وسمعها، وبصرها، ثم : ماذا يريد أن يقول؟ .. وما علاقة ذلك بما نحن فيه؟

واصل الرجل حديثه :

-إنني لم أكتشف الأمر الآن، ولم أكتشفه باستجواب الوزراء، كما لم أكتشفه دفعة واحدة، لم يحدث ذلك، بل وُلِدَ في عقلي كما يولد الجنين، كما تعلق العلقة بالأحشاء، دون شعور أو وعي من الأم بذلك، ثم تبدأ الشكوك والإرهاصات، ثم

ينفجر اليقين، لقد كنت أعلم منذ زمان طويل بأمر استغلالهم للأجهزة التعويضية بعد استغلالهم للتليفون المحمول وأجهزة الكمبيوتر والأجهزة الإلكترونية الأخرى كي تعمل كأجهزة إرسال تفشي كل أسرار مستخدميها، كنت أدرك الأمر من بدايته، لكنني كنت أظنه عمل مخبرات لا يستعمل إلا في أضيق نطاق، مع مسئول كبير هنا أو هناك، مسئول واحد، اثنين، ثلاثة علي الأكثر، علي الأقل كي يقللوا من فرصة اكتشاف سرهم وتديبرهم، ولقد فطنت منذ البداية أن الأمر معكم هكذا، قلت لنفسي أن المشكلة تنبع من واحد أو اثنين منكم، وفي اليوم الأول عندما جعلتكم جميعا تمرون من خلال البوابة الإلكترونية كنت أتوقع أن أكتشف المصدر ليتتهي الأمر، لكن الذهول أصابني عندما اكتشفت أن الإشارات تنبعث منكم جميعا، لم أصدق الجهاز، ولم أصدق نفسي، فسرت الأمر بخلل في الجهاز، أو بأن الأعداء يبثون شوشرة معينة تجعل الجهاز يعطي إشارات إيجابية مع الجميع كي يشك كل واحد منا في أخيه، لذلك - بعد نهاية الاجتماع - أوكلت الأمر إلي أحد مساعدي، وكانت النتيجة مذهلة، كارثة، فكل من عرضناهم علي الجهاز، لا من الوزراء فقط، بل كل المسؤولين الكبار، عندما جعلناهم يمرون دون أن يشعروا من خلال البوابة الإلكترونية، أعطوا نتائج إيجابية لوجود جهاز إرسال داخل أجسادهم، وكدنا نبلغ حد اليقين من خلل البوابة الإلكترونية، لكن ضابطا صغيرا في إدارة المخبرات اقترح اقتراحا وصمنا جميعا عندما سمعناه بالبلاهة والسفه، لكنه أصر علي موقفه فأحضر كيفما اتفق أناسا عاديون من الشارع، وكان المذهل أن النتيجة معهم جميعا كانت سلبية، ولم يطلق الجهاز أي إشارات، برح الخفاء إذن، وانطلقنا محموين نمسك بالخيط، لم أكن أستطيع أن أطلب لقاء الملك لأقول له ما اكتشفته ببساطة، كان يجب أن أعد تقريرا وافيا شاملا، وأن أشفعه أيضا بقائمة مقترحة بالوزراء الجدد، تعلم أننا في المخبرات دائما نجهز قائمة بديلة للوزراء

الحاليين، حيث نضع خمسة أشخاص يصلحون لكل وزارة، ونكتب كل شيء عنهم، نرصد عنهم كل ما حدث لهم منذ أن وُلِدوا، نكتب حتي عمرهم المتوقع وأمراضهم وكيف ومتي يُحتمل أن يموتوا، ولقد كان عليّ قبل أن أطلب لقاء الملك أن أراجع قوائمي، أن أصطنع محاولات لا عدد لها ولا حصر كي ألتقي بهم وأن أجعلهم يمرون من خلال البوابة الإلكترونية، وكانت الفاجعة، فجميعهم يرسلون إشارات، وازدادت الحمي، فاصطفيت من أثق بهم في جهاز المخابرات، واستعنت ببعض أساتذة الجامعة وأعضاء الحزب وبعض كبار المفكرين والصحفيين ليساعدونا في تكوين قوائم بديلة لتشكيل وزارة جديدة، أطلقنا علي هذه المجموعة اسم: «أهل الثقة»، وأخذنا الموائيق عليهم ألا يتطلع أحد منهم إلي منصب وزير، صارحناهم بالكارثة، وطلبنا منهم العون لاختيار وزارة لا يصدر من وزرائها إشارات يلتقطها العدو ليسيّطرها علينا، كدت أجن عندما كوّننا عشرات القوائم من مئات الأشخاص، وعند فحص هؤلاء الأشخاص اكتشفنا أن الإشارات تصدر منهم جميعا، بلا استثناء، كوّننا مجموعات أخري من آلاف الأشخاص، ولم تختلف النتيجة، وهنا جاء ذلك الضابط الصغير الذي اقترح أن نفحص الناس العاديين، جاء ليطلب لقائي علي انفراد، منعتني تجربتي السابقة معه من الاستهانة به، عندما انفردنا واجهني بكارثة جديدة لم تكن قد خطرت لي علي بال، فجميع من استعنا بهم من «أهل الثقة» كانت تصدر عنهم إشارات، لقد تصرف الضابط بمبادرة منه وجعلهم يمرون من خلال البوابة الإلكترونية، وأسقط في يدي، لأنني لا أستطيع أن أذهب للملك وأقول له أن عشرات الآلاف الذين يحتلون قمة المجتمع لا يصلحون للوزارة، هل كنت أستطيع أن أفعل ذلك؟!.

نظر إليّ رئيس المخابرات وكأنه يلتمس العون مني، كأننا يرجو أن أقرّه علي رأيه كي يزداد به يقينا، أنا من الغرقى فكيف أستطيع إنقاذك من الغرق؟!..! التقط

سيجارة وقداحة، أشعل القداحة وقبل أن يقربها من طرف سيجارته توقف فجأة،  
راح يحملق فيها بذهول من اكتشف أمرا واضحا لكنه غاب عنه العمر كله هتف :

- ليست هذه القداحة وحدها ما يمكن أن تحتوي جهاز إرسال! .. بل  
والسيجارة نفسها!!... وتلك الذبابة التعيسة الهائمة حولنا قد تكون ذبابة  
إلكترونية ، أو حتي ذبابة طبيعية زرعوا فيها جهاز إرسال لا يُري..!!..

حرّك يده في يأس قاتل ثم أشعل السيجارة واستطرد مواصلا حديثه السابق في  
غضب يائس :

- هل كنت أستطيع الذهاب إلي الملك لأطلب منه أن يختار للوزارة الجديدة  
أناسا عاديون نلتقطهم له من الشوارع كي يصدر مرسومه الملكي الكريم بترسيمهم  
وزراء ؟. أم كنت أذهب إليه لأطلب منه أن نعدم خمسين أو مائة ألف من الذين  
تصدر منهم الإشارات كما نعدم شحنة أغذية فاسدة لا تصلح للاستهلاك  
الآدمي؟!.

فجأة نظر نحوي في ضيق صارخا :

- لماذا لا تجيب، لماذا لا تشير علي؟!..

كانت مشاعري قد استنزفت تماما إزاء الانفعالات الهائلة التي اصطخبت  
بداخلي ذلك اليوم فلم أحر جوابا. أخذ ينتظر مني ردا حتي يش فواصل :

- لم تقتصر التساؤلات علي ذلك، فقد رحلت أسائل نفسي : هل أصاب العجز  
الجنسي جميع وجوه المجتمع؟ ولماذا اقتصر علي صفوته ونخبه؟ لماذا أصاب  
المسؤولين فقط؟ ثم : هل أصابهم فجأة أم رويدا رويدا؟ وكيف لم يُفلت منهم  
أحدا؟ هل ذلك طبيعي؟ هل يمكن تخيله أو تصديقه؟.. أم أن الأمر أبعد من ذلك؟  
و أنه نتيجة لمؤامرة كونية عن طريق الجينات أو الهندسة الوراثية أو الإشعاع أو  
حرب كيمياوية لم يُعلن عنها؟ استدعيت أساتذة في علم النفس والاجتماع وطلبت

منهم أن يضعوا لي تقريراً عن سلوك النخبة المجتمع، عن التغير الذي حدث فيه، وهل يمكن أن يكون ذلك قد حدث بصورة طبيعية، أم أن الأعداء قد دسوا عقاراً ساماً في أشياء يعرفون أن النخبة تستخدمها، وهذه الطريقة أصاب الجميع العجز في نفس الوقت، فعرضوا عليهم الحل: زراعة عضو صناعي حل ينهي جميع المشاكل من جذورها، مشاكل النخبة مع نفسها ومشاكل الأعداء معنا، فلقد أدركوا ما سيحدث عندما يضغطون أقل ضغطاً أو يمارسون الابتزاز، كانوا يعرفون استحالة تنازل الرجل عن رجولته المفقودة بعد أن يستعيدها، وأنه في سبيل ذلك لا يتورع عن فعل مهمل كانت درجته، عن خيانة مهمل كانت فدايتها.

كنت قد بدأت أطفو من عَرَقي و أتجاوز مشكلتي الذاتية إلى المشكلة العامة فهتفت:

- إن ذلك يهدد الأمن القومي..

فإذا به يصيح:

- يهدد؟! بل يسحقه سحقاً، ها أنت ذا قد وصلت إلي ما وصلت أنا إليه كرئيس للمخابرات، لكن ما هو العلاج؟.. كيف يمكنني أن أتصرف؟. ليست مؤامرة عادية أو حتى خطيرة، بل هي انقلاب شامل في الوسائل ليست لدينا أي خبرات أو برامج لمواجهةها، إنها مؤامرة على الجنس البشري، على التاريخ، على الفكر، على الدين الذي ساعدناهم في تنحيته، على الله...!!

كنت أجلس أمامه مشدوهاً كما لو كنت أرى فيلماً سينمائياً من أفلام الخيال العلمي وقد تحول الخيال فيه إلي واقع. وصرخ هو:

- ليس لدينا حل علي الأقل هنا في جهاز المخابرات، الأمر يحتاج إلي وسائل أخرى، وهي وسائل لا نملكها وليست لدينا أي فكرة عما يمكن أن تكون،، فهل يمكن أن أذهب إلي الملك لأقول له ذلك وكيف!!..

عندما انصرفت لم أكن أدري هل تركت الرجل يحدث نفسه أم أنني ودعته كما ينبغي لمن في مثل وضعنا، وداع وزير لوزير،  
في الشارع دهمني الفضول فجأة، فكدت أعود إليه لأسأله :  
« هل تصدر الإشارات منك أنت أيضا ؟!.. »  
وكنت أنوي أن أسأل السؤال الذي أخذ يدوي داخلي ويقصف قصف الرعد:  
هل فحصت الملك؟.

\*\*\*

في اجتماع مجلس الوزراء التالي، كانت أبصارنا زائغة وبلغت القلوب منا  
الحناجر، هل يحضر الملك الاجتماع أم أن رئيس الوزراء فقط هو الذي سيواصل  
توبيخنا وتقريعنا ..

\*\*\*

عندما دخل رئيس الوزراء، لم يكن بصحبة الملك، لكنه تلي مرسوما من جلالته  
بالقبض علي رئيس المخابرات الخائن، بتهمة تدبير مؤامرة خسيصة لقلب نظام  
الحكم ..

انفرط عقدنا، وانهار وقارنا، وقمنا نتعاقق ونتصايح مهللين كالأطفال، وراح  
كل منا يهنيء الآخر، بزوال دولة المخابرات .. وسيادة الديموقراطية والعمولة وقانون  
النظام العالمي الجديد<sup>(١)</sup>.

(١) \* ق.ف: تقويم اكتسح جميع التقويمات الأخرى، رغم أن بعضها يوغل في الزمان بضعة آلاف عام ،  
وهو التقويم الذي اتخذ من اكتشاف عقار الفياجرا بداية له ، ومنذ ذلك الاكتشاف أصبح الناس  
يقولون سنة كذا قبل الفياجرا : ق.ف. أو سنة كذا بعدها : ب.ف.!!..

المحزن أن اكتشاف العقار السحري لن يحل مشكلة جيلنا ، فقد كان يلزم تدمير العضو الطبيعي لزراع  
الصناعي ، وقد كان ذلك يعني أنه لا أمل في جيلنا على الإطلاق ، الأمل في الأجيال القادمة !!

## المعتقل

لا يجزئه إلا أمران : عدم صلاة الفجر، وارتياح الأطفال عندما دهم رجال المباحث البيت ليأخذه و السياط تكوي ظهره، وكتفاه ينخلعان تحت وزن جسده المدلى من رسغيه في مقابض حديدية تهشم عظامه ، حاول -في البداية- ألا يصرخ، أن يكون رجلا فالصراخ لا يقلل الألم ... لكنه بالرغم عنه أخذ يصرخ في وحشية يعاودون التعذيب كلما أفاق من الإغماء . نتفوا اللحية وشعر العانة وألقوا بأسلاك كهربائية علي جسده المبتل فدعا الله أن يكون تعذيبهم بردا وسلاما عليه حاول خداعهم بتصنع الإغماء، لكنهم كانوا يدركون فيواصلون التعذيب، أو لعلهم لا يدركون ولا هو أيضا يدرك أنهم يواصلون التعذيب وهو مغشي عليه اتهمه الضابط بمحاولة قلب نظام الحكم فانتزع الكلمات من وسط آهاته :

- لو استطعت أن أعدله لفعلت

سأله الضابط :

- إذن تعترف ؟

أراد أن يقول له أن الله يمهل ولا يهمل، تكن الله يعلم وهو يعلم والضابط يعلم والجنود يعلمون فلماذا يقول ذلك إذن ؟ عذبه فأغمي عليه قال له شيخه :

- على قدر تقواك يخفف الله عنك .

لكن شيخ الشيخ قال :

- الرزايا عطايا ... المنحة محنة، والمحنة منحة إنما يخفف عن الضعفاء .

يرفضون طلبه بقضاء حاجته فيبول علي نفسه . يتذكر أن ابنته الكبرى ما زالت

تبول علي نفسها إثر ذكري اعتقال مماثل . يقسم سرا وهو يواجههم :

- والله لأن مكنتي الله منكم لأمثلن بكم.  
ثم دعا الله أن يغفر له تنازله عن منازل الصابرين، حاول أن يستعيض عن الصراخ بذكر الله لكن الألم غالبه فغلبه فانطلق الصراخ.  
قال له الضابط :

- لست سوي حشرة، وستعترف شئت أم أبيت فاحفظ جسدك النتن من العذاب واعترف : من شركاؤك ؟  
صرخ :- ليس لي شركاء .

سبه الضابط سبابا قبيحا تناول فيه عرض أمه فبصق عليه فاشتد العذاب حتي أغمي عليه عندما أفاق، كان واثقا رغم الدور المتبقي من الغيوبة أنه سيعيش . في الاعتقالات السابقة، ظن في كل مرة أنه سيموت حتي غلبه اليقين هذه المرة أنه لن يموت . سوف يخرج كما خرج في كل مرة إلي البيت الآمن حيث الزوجة الطيبة والأبناء والجهاد في سبيل الله في الحجرة المظلمة قال رفيق الزنزانة لأشلائه :  
- اعترف، فإنهم وحوش، ليسوا كسابقيهم، لن يأبهاوا حتي لو قتلونا جميعا  
قال الضابط :

- مئات من الحيوانات مثلك دفنوا في الصحراء المجاورة تبقر الذئاب بطونهم وتأكل الكلاب لحومهم فاعترف قبل أن تلحقهم.  
ازداد يقينه أن الله لن يتخلى عنه . انتشت روحه عندما رأي بعين الخيال أنه قد تمكن منهم فعاقبهم بمثل ما عاقبوا به وشفى صدره، انهالت الضربات حي ترحم علي أيام نعتها بالهمجية والتوحش وعلا صراخه.  
قال المخبر الحقير :

- يركزون العذاب في الأيام الأولى فيموت العشرات، ومن يبق لا يجد الطبيب الشرعي فيه علامة تعذيب.

قال لنفسه أنه بإرادة النصر الموعود سيحتمل .. سيعيش ثم يخرج كي يواصل

الجهاد في انتظار وعد الله يا رب .. ما أشد ما صبرت عليهم أدخلوا شيئاً في دبره  
فاشتعل ناراً . أطلقوا عليه كلباً متوحشاً نهش لحمه ولعق دبره ثم مارس معه  
الشدوذ . صرخ بقوة لم يتوقعها من جسده المتهالك :

- انتقم يا قهار يا مذل .

ضحك الضابط وهو يقول :

- لم يؤد الكلب العملية كما يجب .. شكلك مقرف لكننا في المرة القادمة سنغري  
الكلب بأن نضع لك مكياجاً ...

ازداد ضحكه وهو يصرخ به :

- اعترف أنك امرأة .. يا امرأة .. وحذاء الجندي علي صدره، والدم ينزف  
من دبره وفمه وأنحاء متفرقة من جسده رمق الضابط بنظرة غائمة وهو يتمتم :

- أنت امرأة ...

تحول ضحك الضابط إلى قهقهة هستيرية وهو يأمرهم بالاستمرار في التعذيب  
حتى يعترف أنه امرأة وأن يواصلوا بعد ذلك حتى يمثل مع الكلب دور امرأة شبيقة  
أخذوا يضربونه حتى ضعف تأثير الضربات عندما خفف الله عنه فلم يعد يشعر، يري  
ولا يشعر. كف عن الصراخ حين توقف إحساسه بالألم. أحس بالسخرية منهم،  
وبالشفقة عليهم، وبالرثاء لهم .. لكنهم ظلوا يضربونه ويضربونه . . . حتى مات.



## إبراهيم شكري رئيساً للوزراء

في منتصف التسعينيات، نشر الأستاذ إبراهيم سعدة، رئيس تحرير أخبار اليوم آنذاك بنشر قصة ركيكة يسخر فيها من الإسلام والإسلاميين يتخيل فيها ارتباك الجميع عندما عين إبراهيم شكري - رئيس حزب العمل الإسلامي آنذاك - رئيساً للوزراء، كانت القصة ركيكة جدا، ومع ذلك احتشدت مطبوعات أخبار اليوم لتشيد بعقريتها وبمؤسسات عالمية تريد إنتاجها سينمائيا وبحيرته في اختيار الأفضل.

كان قراري أن أرد عليه بقصة حقيقية تلتزم بقواعد القصة. وبعدها توقف الأستاذ إبراهيم سعدة تماما عن مهاجمة حزب العمل.

تقارعت الكئوس وتماليت الرؤوس وتناغمت أصداء الموسيقى منافسة بإيقاعاتها إيقاع جسد الراقصة والأغنية.

وعلا صوت فهقهة غطت علي الضجيج..

كان أبراهام أبو سعدة- رئيس تحرير مجموعة صحافة الأنباء العربية- يضحك والراقصة تقول له بصوت عابث:

- لماذا لا تتوسط لي كي أكون وزيرة في الوزارة الجديدة انتي تولفها الآن في روايتك؟

فأجاب وهو ما يزال يقهقه:

- أقسم بشرفي لو كنت رئيسا للوزارة لجعلت منك ملكة لمصر.. وتباعدت الراقصة في دلال قائلة كأنها تغني :

- إنه يقسم بشرفه، ولو أقسم بشر في أنا لكان الرجاء أقرب.  
أثناء تباعدها أتت بحركة- غير عفوية بالتأكيد من خبيرة مثلها- أطاحت بطاولة  
تحمل الكئوس نحوه، وبالرغم من ذلك لم تصبه تقريبا. وتعالى الضحكات..  
واندغمت الهمسات تلفت أبراهام حوله كي يغطي علي الموقف سائلا جلال:  
لم تفلح هذه المرة أيضا في إقناع الأستاذ مصطفى أمين بالحضور. ما رأيك لو  
أحضرتة أنا الآن؟

ولم يجب أحد، وكانت الضحكات ما تزال تتردد و القفشات حول الشرف،  
فقام كي يطلب الأستاذ راجيا أن ينهي الموقف بقيامه.  
هل ستطلب الأستاذ فعلا؟  
وأجاب أبراهام وهو غير قادر علي مداراة ارتبائه.  
- ولم لا..

لكنك تعرف رأيه في حفلاتنا..  
وبرغم أنه يعرف رأي الأستاذ إلا أن ارتبائه افقده سرعة بديته فسأل عما إذا بدا  
له ما يسوؤه:  
- ماذا تقصد..

- تعرف أنه يقاطع حفلاتنا منذ زمان طويل.  
و تذكر أبراهام تعليقه ذات يوم علي سهرة حضرها معه. ( كنت سيد الطرب في  
زمانى.. والفرق بيني وبين أبراهام أبو سعدة كالفرق بين أم كلثوم واعتماد  
خورشيد).

تراخت قبضته علي التليفون. لماذا يا أستاذنا. لم تدعني أبدا أشك بحقيقة  
شعورك نحوي. لكن لماذا تدفع الآخرين لازدرائي..  
وهذه الراقصة التي خصصت لأخبارها في صحفي أضعاف ما خصصته

للفلسطينيين واللبنانيين والأفغان والبوسنة والمهرسك جميعا.. الآن تطعنني أمام الجميع..

عدم الاحترام من شخص محترم كمصطفى أمين يمكن التغاضي عنه. التماس المبرر له.. لكن ما أتعسك يا أبراهام حين تسخر حتى الراقصة من شرفك. يا ناكرة الجميل يا ناقصة الشرف.. أقسم هذه المرة بغير شرفي يا ابنة الجاحدين ألا يذكر عنك في أخبار النجوم خبر..

فليكتب عنك نمير رجب، صديقك الجديد، و لتقارني سطوته بسطوتي. كنت كالجرو والعاجز حين انتشلتك و أعدت صياغتك، خلقتك، ثم عرفتك علي عليا القوم، لكنك احتفظت بدماثتك في التعامل معي حتى عرفت نمير رجب يادي العجب فانقلبت أحوالك.

عاد إلي مقعده محاولا إخفاء همه، كدره، ثقل الناس عليه وثقله عليهم، سعيه المحموم طوال عمره بحثا عن الاحترام، عن واحد فقط في هذا العالم الوحشي ينظر إليه باحترام لا يخالطه نفاق ولا خوف ولا رغبة ولا سر مخجل يخشى كلاهما الإفضاء به ونشره، أحد يحترمه دون أن يخشى شره..

كان يضحك ولا يضحك، يتكلم ولا يتكلم.. يتصنع الاندماج بالآخرين، يلقي النكات.. يتحدث عن الصدى الهائل لمقالاته الساخرة عن عزل عاطف بيه صدقي و تولية إبراهيم شكري رئاسة الوزراء . لكن الداعرة نكات في قلبه جرحا لم يندمل أبدا. ليت أجهزة الأمن المصرية كانت في ذكاء ودهاء قرينتها الأمريكية ، أو حتى الإسرائيلية، ليتها توصلت إلي المزيغ العبقرى الذي يصنع للإنسان شرفا صناعيا. لا بد أن يكلم المسئولين في ذلك.. الموساد تستطيع إبقاء هالة الشرف حول من تريد لأي زمن تريد، لا تسحب الهالة عنه إلا عندما يخرج عن طوعها، عن أمرها، فلماذا لم تجد أجهزة الأمن عندنا لذلك سيلا. لماذا كل المقربين من السلطة بل

والسلطة نفسها هدف مستديم لبعض الناس، الاحتقار لا يمنعه من الانفجار إلا الخوف.

حتى الراقصة تسخر من شرفك.

علاقته بأولي الأمر يعرفها الجميع، أكبر مجموعة من الصحف والمجلات والدوريات تحت إدارته، وما ليس تحت إدارته طوع أمره، والإذاعة والتلفزيون والمؤتمرات كل ذلك رهن إشارته، لكن الراقصة تسخر من شرفه.

تداعت إلي ذاكرته ذكري ذلك الخليفة السفاح الذي أمر السيف بقطع رقبة طاه لم يتقن طهي الطعام، ثم قال لمن التمس منه تخفيف العقوبة:  
لا يا صاح.. نحن خسرنا الآخرة بما فيها فلا نطيق أن ينقص حظنا من الدنيا شيئا.

يغلي الدم في عروقه و نفاق المحيطين يغرقه، يخنقه، يبالبغون في إبداء الاحترام كأنهم لم يسمعوا الراقصة تعرض بشرفه.

لو كان كامل الشناوي ما يزال حيا لو اساه ساخرا:

لماذا تحزن، ولماذا تدعي أنها جرحت كرامتك بينما أنت أصلا بلا كرامة.

لا ينسي ما أطلقه محمود السعدني عليه من نكات و نوادر، لا ينسي إحساسه بالمهانة وهو يلمح بسامات السخرية عندما تحين منه نظرة مفاجئة أو لفتة غير متوقعة.

ادعي محمود السعدني أنهم جاءوا بمحمد حسنين هيكل ومصطفي أمين وأبراهام أبو سعدة وسألوا كلا منهم عن أصعب سنة في عمره، وأجاب هيكل:

قليلة هي الأسئلة التي يعثر الإنسان لها علي إجابة في هذا الزمن الممتد الذي يجب علينا أن نقسمه إلى عصور ثم نقسم العصور إلى قرون ثم نقسم القرون إلى حقب والحقب إلى عقود والعقود إلى سنين. وبرغم أن السنوات كلها كانت صعبة إلا

أنني لا أنسي قسوة عام ٦٧ وصعوبته علي.

و أجاب مصطفى أمين:

أصعب الأشياء علي النفس علو الرعاع علي السادة، تعامل الجهلاء و تحكم السفلة ،  
لكن أصعب سنة مرت علي كانت سنة أولي سجن.

أما أبراهام سعدة فقد فكر طويلا ثم أجاب :

الحقيقة أن أصعب سنة في حياتي كانت سنة ثانية إعدادي !!.

حتى أنت أيها الموكوس.

لا ينسي أيضا تعليقه علي كتابته لخطابات الرئيس السادات:

الحكاية زواج شرعي كامل الأركان، الرئيس يحطب، وصندوق النقد يشبك،  
وأبراهام يكتب، وأمريكا تدخل!!

ثم ينظر إلى أبراهام نظرة ذات مغزى ويجأ الرجال بالضحك أما النساء فيطرقن  
مدعيات عدم الفهم.

آه يا شيوعي.

تعود الراقصة إليه، تشعر أنها تجاوزت الحد فخلطت الخاص بالعام، تشير إلى  
الفرقة الموسيقية والمغنية فيعزف لحنه المفضل وأغنية عبرية يجها. لكن من خسر  
آخرته بما فيها لا يطيق أن ينقص حظه من الدنيا شيئا..

لعل أخبار ممنوعة أو العصفورة قد استمعت لما حدث ، وتتردد أصداء الفضيحة  
يوم الثلاثاء والخميس والجمعة والرعاع لن يتوقفوا عن الرعب منك في مواجعتك  
وعن السخرية منك فور أن تمر. عبادة المصريين للكهنة و حماقة العرب فيهم تأبي أن  
تغادرهم. مازالوا يظنون أنه لا يراهم مادام لا يواجههم. ظن السفلة أنهم كشفوا  
عيونه بينهم فتجنبوهم. لم يدر أحد منهم كم مليون دولار أنفقها علي كاميرات  
تليفزيونية بثها في كل مكان تسجل باستمرار علي شرائط كل واردة وشاردة.

لماذا لا يصدق جرس التليفون، لماذا لا يطلبك أحد كي تستطيع ادعاء عذر  
تنسحب بسببه، لو انسحبت بدون سبب ستكون حديث الحفل طوال السهرة..، لم  
يتعودوا منك أن تغادر الحفل قبل الفجر، حين تغادر قائلًا جملتك المأثورة عنك  
ساخرا:

فلنقم لصلاة الفجر.

رغم المرارة الطافحة من أعماقه فقد ضفت بين أمواجه العاتية بسمة .

الفجر.. تذكر ذلك اللص الذي نشر حكايته منذ أيام.. حين انتهز انشغال  
المصلين بصلاة الفجر فسرق ساعة المسجد وانطلق يجري لكن بعض المصلين خرج  
من الصلاة ليطارده ويقبضوا عليه، وأمام النيابة ادعى اللص أنه كان يصلي معهم  
وخرج من الصلاة معهم ليطاردهم لكانهم تركوا اللص وقبضوا عليه بدلا منه .

وأدرك وكيل النيابة حيلة اللص فسأله:

كم ركعة في صلاة الفجر

وأجاب اللص بثقة المستنكر:

ثلاث ركعات..

لشد ما ضحكت يا أبراهام وأنت تطالع تفاصيل الحكاية قبل نشرها، ضحكت  
حتى خفت أن يظن المحيطون بك الظنون. ولم يكن ضحكك من أجل الحادث بل  
لأنك اكتشفت أنك أنت أيضا لا تعرف عدد ركعات الفجر!!.. كنت تظنها أنت  
الأخر ثلاثا.

يقرب مني جلال باسمها طبقا من المخللات وكأسا. يتوق أن أموت قبل أن يبلغ  
الستين كي يحل محلي، لو استطاع لقتلني. لكنه لم يبد لي قط إلا أنه مستعد للتضحية  
بحياته من أجلي. ارتفع صوته صائحا:

لو كان هناك من يفهم لأعطوك جائزة نوبل علي روايتك : ( إبراهيم شكري

رئيسا للوزراء).. لقد تفوقت فيها علي نجيب محفوظ.

مرسي يا جلجل.

لكن لماذا تذكر اسم نجيب محفوظ. أكرهه . وتعرف يا جلال أنني لم أحتفل به عندما نالها. لم أقرأ إلا القاهرة ٣٠، وذعرت وذهلت. فقد خيل إلي لسبب ما، علي وجه ما، أنه تمثلني أنا وهو يرسم شخصية محبوب عبد الدايم.

فلماذا تذكرني به يا جلال. أعرف أنك ذكي. أفهمك جيدا. أفهم عينيك الصفراويتين كعيني ثعبان وهما تحدثاني دون صوت: لم تصبح رئيسا للتحريير لأنك أكثر ذكاء بل لأنك أكثر سفالة.. يا محبوب عبد الدايم، لكن تلك حجة كل عاجز يا جلال.

تقرب سوزي مرة أخرى، تحتك بي، ثم تنفلت لتواصل الرقص. وشرفي وشرفك معا لأعيدنك كما كنت الفتاة البائسة المسكينة، خادمة الشقق المفروشة.. سعدة أنت، لست سوزي ولن تكون غدا سوزي. أم نسيت كيف انتشلتك. كيف قدمتك إلي الوسط الفني وأنا أدعي ضاحكا أنك ابنتي. أما من استدعاء يتقذني.

طرق الطبول لا يدق علي غشاء مشدود بل علي أم رأسي. الضحكات خناجر. والسفلة من الحاضرين سيحكي كل واحد منهم غدا لألف واحد كيف أهنت. تقرير جديد إلي فضائحي سوف يضاف.

لو أنني كنت أرغب في مزيد من الوقت معها لجاؤني ألف استدعاء أما الآن فلن يأتي استدعاء.

الحمقاء لم تعرف الفرق بين ما يمكن أن تقوله لي فقط وما يمكن أن تقوله أمام الناس. كبريائي أمام الناس عود ثقاب، إن احتك مرة، إن اشتعل فلن يصلح مرة أخرى، وهؤلاء الرعاع لن يفهموا أن جرأتها علي سببها استمتاعي بوقاحتها نشوتي

بسببها بل وبضرها، سيفهم البعض أن أسهمى سقطت وأوراقى احترقت وزماني وئي. وإلا كيف تجرؤ راقصة علي إهانتني ما لم يكن قد أضىء أمامها ضوء وأعطيت لها إشارة.

هيهات أن أعطيك كما انتويت دورا في الفيلم الجديد الذي كتبت روايته. كنت أنوي أن أجعلك القديسة التي تكشف زيف إبراهيم شكري ومصطفى مشهور وعادل حسين. سوف ألغي الدور كله. سوف أشطبه من الرواية كما سوف أشطبك من الوجود.

أخيرا يدق جرس التليفون، وثمة من يطلبه علي الخط، كان طلبا روتينيا يتعلق باستبدال خبر بخبر. لكنه تصنع أنه استدعاء، وتصنع العجلة والاهتمام كي يتخيل الموجودون أنه استدعاء هام وأن الأمر جلل.

لطالما استمتع بخداع الخلان بهذه الطريقة، إذ يدبر في لحظات معينة يرسمها بدقة أن تدخل السكرتيرة عليه في قاعة الاجتماعات الكبرى لتخبره أمام الموجودين أن رئيس الوزراء أو حتى الرئيس يطلبه، أحيانا يتحدث أمامهم، خصص موظفا لهذه المواقع، يطلبه من خارج المؤسسة، ويصطنع هو الحديث، أنه يتبادل مع الرئيس ليس الآراء فقط بل النكات والقفشات، يضحك في غير وقار.. ولطالما منحه الموجودون الوقار كله طالما كان يستطيع الضحك مع الرئيس دون وقار..

نسيم ليل القاهرة الحلوة يربت علي وجهه حين يخرج فيلطف لهيب نار يتصاعد أوراها من جوفه. كوكتيل الكئوس والمهانة والغضب. خيبة الأمل. مجيء المذمة من ساقطة، عندما يصف أمين لصا بأنه لص فذلك محتمل، مفهوم، ممكن، مبرر، منطقي. أما أن يصف اللص لصا بأنه لص فذلك فوق الاحتمال والفهم والإمكان والتبرير والمنطق.

ولو أن الأمر كان يعود إلي فظاظة طبيعية فيها، إلي خشونة البيئة السافلة التي

خرجت منها لا اعتبر الأمر طبيعياً، لانتشر بكونه يعيد صياغة وتمثيل وإخراج فيلم سيدتي الجميلة، أو لا اعتبر نفسه بيجمالون الذي يبدع نحت تماثيل جلاتيا حتى يتفجر التمثال بالحياة فيصرخ فيه - وقد حل الجنون مكان الفنون:- تكلم. لكن الأمر ليس أياً من ذلك، من فترة لاحت بوادره واندلعت نذره وبانت مراميه، حين تمسكنت حتى تمكنت، حين عرفت غيره، لتكرر سيرة ملايين من قومها الذين يعبدون سادتهم كالألهة ثم يرمونهم كالشياطين، وقد أكون يا ابنة الأبالسة شيطاناً لكنني لن أسمح لك برجمي.

تحرك سائقه بسيارته الجديدة من طراز الشبح. شكراً لسيادة الرئيس فقد أحسست أنه يدافع عني شخصياً حين دافع في خطابه الأخير عن من يركبون الشبح. أما صدام الأحق فقد ظن أنه اشتراني بالزلمكة. مقالتان فقط وجاءتني الشبح من الخليج. زلمتك يا صدام توصل الأولاد إلى المدارس وتحمل الخضروات والبقالة إلى القصر.

مقالتان فقط ساويتا شبحاً، ثم يدعون أن هيكل أغلي صحفي في مصر!!.  
تنساب السيارة كالشبح.

يسألني السائق أين أذهب فأطلب منه أن يتجول بي في شوارع القاهرة.  
أدير رقم تليفون السيارة فأطلب رقم اللواء وأصل.

توطدت علاقتي به عندما أخرجني كالشعرة من العجين من حادث سميرة مليان. ورددت الصنيع إليه وإلى الآخرين عندما جاء تقرير الطبيب الشرعي بانتحارها، ولم أنشر في صحفي ولم أشر قط إلى تقرير الطب الشرعي في المغرب. عرف أبعاد قوتي وعرفت أبعاد شهامته.

لدي لك صيد ثمين الليلة

...

قضية آداب

...

الراقصة سوزي

....

نعم واثق مما أقول.. لماذا لا تفهم.

...

سوف تؤدي نمرتها الأخيرة في فندق الواحة الخضراء عند الفجر.

...

أرجو أن يتم القبض عليها وسط المدعوين بأكبر قدر من الفضيحة.

...

استخرج كل ما عندك من أرشيف التسجيلات والصور لها.

...

أرجو أن تشرف علي ذلك بنفسك. استبعد من الأرشيف كل الشخصيات الهامة

والأخرى التي يمكن أن تفسد القضية.

...

الآن ينطفئ اللهب.

أدير التليفون مرة أخرى لأطلب الصحيفة :

هل توجد أخبار عن الراقصة سوزي غدا

...

ارفعها جميعا لكن أبق علي الصورة.

...

نعم.. نعم

...

قلت لك نعم

...

نصف مساحة صفحة الحوادث بهذا العنوان : القبض علي الفنانة سوزي في شبكة رقيق دولية. الشبكة تمتد إلي دول عربية وأوربية.

...

أجل

...

أريد أيضا مساحة بارزة في الصفحة الأولى بنفس العنوان  
إذن في الطبعة الثالثة.

...

أجل

...

ارفع خبر المذبحة الجديدة في البوسنة وضع هذا الخبر.

....

أرسل صحفياً ومصورا إلي فندق الواحة الخضراء في الرابعة تماما. أريد تغطية  
هائلة تستمر لمدة شهر كامل.

...

في التاسعة صباحا أرسل صحفيا إلي مكتب اللواء واصل. سيعطيه مزيدا من  
المعلومات والصور، كي تنشر في صحيفتنا المسائية.

تنساب الشبح كالشبح.

حماقتك يا صدام أنك فكرت في عمليات البيع والشراء كنخاس عجوز.  
حسبت أنه يمكنك شرائنا مرة واحدة والي الأبد. اختلفت مقاييس البيع والشراء  
الآن، تعقدت حتى أصبح مثلك لا يفهمها. لا يمكن أن يفهمها.  
طفحت روحه بالمرارة والحقد وهو يتذكر قول الأستاذ مصطفى أمين له منذ  
عشرين عاما:

أنت أخطر الموجودين في هذه المؤسسة.

وقبل أن تشمله النشوة بادره :

-أنت أول من أدرك أن أفضل الطرق للاستثمار ليس أن تبيع نفسك وتقبض  
الثمن، بل أن تؤجرها مفروشة، وبالساعة.  
أين أذهب الآن.

ما من مكان يجنبي وأحبه.

الحب أشتريه. بالمال والجاه والسلطان والنشر.

أشتري الحب.

فلماذا أعجز عن شراء الشرف والكرامة وراحة البال.

قال لي الأستاذ عندما استوليت علي مكانته ومكانه:

يمكن أن تظل عبدا حتى أصبحت رئيسا أو ملكا.. ويمكن أن تكون حرا خلف  
أسوار السجون.

مولع أيها الأستاذ بالألفاظ الفخيمة.

لكنني أعطيك الدرس. لعلك تفهم. أم أنك نسيت يوم استدعينا في اجتماع  
للمحررين، كنا عشرات بل مئات كنا في مستقبل العمر أو أوسطه يحدونا الأمل  
ونتصارع كحيوانات الغابة كي نحصل علي توقيعك علي أعمالنا لتنتشر. وفوجئنا بك

تقول :

- إذا كان منخ محفوظ الأنصاري يساوي مائة جنيهه ومنخ سعيد سنبل يساوي ألف جنيهه ومنخ جلال دويدار يساوي عشرة آلاف جنيهه فإن منخ أبراهام أبو سعدة ونمير رجب يساوي كل منهما مليون جنيه.

وقدنا صاروخا مذهلا فوق سحاب مفعم بالطموح والنشوة وتعالق همهمات الحقد والحسد والاعتراض لكنك لم تلبث أن قذفتنا إلى أعماق الجحيم حين أضفت: - ذلك لأن أنماخ الآخرين مستعملة، أما نخمها فهو جديد لم يستعمل قط. وانفجروا ضاحكين.

لم أنس ولم ينس الزملاء ولا الرعاع والسفلة نسوا. ومئات النكات والشائعات تنطلق. حتى بعد أن أثبت لك أيها الأستاذ أن منحك يساوي صفرا واستوليت علي مكانك ظلت النكات تطاردني والشائعات تجري خلفي.

ما يذبحنني، أن النكات التي وجهت لي أنا كانت ذات طبيعة خاصة.

النكات التي أطلقت علي هيكل تشير إلي جبروته وعبقريته. النكات التي أطلقت عليك أنت يا شيخ الصحفيين وأستاذ الأساتذة تشير إلي اتصالاتك ونزواتك. أما النكات التي تطلق علي أنا فكلها تشير إلي غبائي، حماقتي، استعدادي المطلق والدائم أن أبيع أي شيء وكل شيء، وأن تفوقي دليل علي انتصار الجهل وسيادة السطحية، وانهار القيم.

لن أغفر.

لن أغفر لك ولا لهم ولا لأي أحد.

سأشوهكم جميعا.

وذلك الاحتقار الذي واجهتموني به، أخذته، وسأخذه، أرضعه حقدا وأرويه شرا وأغذيه نارا ثم أطلقه.

خطب يطم، وأمر يثم، وشّر يعم  
الأغاني الوطنية لحن جنازتي.

مارشات العسكر، وترتيل آلات النحاس مراسم دفن لشيء مات. زوي.  
انتهي..

تلاوة القرآن في صوان للعزاء..

لكنه ليس صوانا للعزاء إنما مكتبي الذي ما زلت أنتظر فيه مع مرؤوسي بيان  
الرئيس.

علمت أمريكا..

ألم تعلم إسرائيل أيضا.

صاروخ موجه أو غارة بقاذفة واحدة كفيلة بإنهاء المأساة..

لا تثقوا كثيرا بنظامكم الجديد.

ليس عصيا علي الانهيار لأي سبب.

الصاروخ الهائل الذي تطلقونه قد يسقط لأن مسارا- مجرد مسار- لم يثبت  
باتقان في مكانه.

تنهوا.

فما يحدث الآن رهيب رهيب رهيب.. يجل عن الوصف.. يكبر ويكبر حتى لا  
تستطيع الحروف الصغيرة المتراسة وصفه، ولا يستطيع الصوت البشري مدعما  
بأحدث وسائل التكنولوجيا التعبير عنه، يتمدد الحدث داخلي.. يتمدد حتى لأعجز  
عن استيعابه عجز العين البشرية عن رؤية مجرة كونية أو تفاصيل ذرة، عجز الأذن  
البشرية عن سماع هدير دوران الأرض حول الشمس أو سماع صوت يستطيع جرد  
أن يسمعه ولا أسمع.. أين الشرطة وقد أمكنكم اختراقها حتى النخاع؟ وأين  
الحيش، وأين العشرات والمئات والآلاف من أصدقائكم؟.

أيها الإخوة المواطنين: بوجه سيادة الرئيس بيانا هاما إلى الأمة بعد قليل .. «  
والأغاني لحن جنائزي و المارشات مراسم دفن والقرآن في صوان.  
تدخل مدام نعمة متجردة من وقار أعوامها المجاوزة للخمسين. إحدى  
القليلات اللاتي أفلتن مني. لم أطبع عليها بخاتي، ولم أوقع عليها، وبرغم ذلك  
ارتفعت في المناصب وتقدمت في الوظيفة حتى لتكاد تنافس باقي مرؤوسي علي  
خلافتي، وراثتي.

لم ألحظ في البداية تجهمها ولا احتقان وجهها واحمرار عينيها.  
أستاذ أبراهام.. أريد أن أتحدث معك..  
علي أن استجمع نفسي، ألملم أشلائي شلوا جوار شلوا، وأرتق مزقي حتى أعود  
أبراهام الذي يستطيع أن يرد، بالطريقة العادية يرد، بالابتسامة الساخرة واللامبالاة  
يرد، كأن بركانا لا يدمدم داخل نفسه يرد، وكأن إعصارا لا يوشك أن يودي به  
يرد.

خيرا يا مدام نعمة .  
أمر خطير أريد أن أحدثك به علي انفراد.  
لطالما وددت الانفراد بك لكنك عصيت علي الإغراء وصعبت علي الإغواء،  
وكان ثمة من يعضدك فلم أستطع فصلك، كما عضد المشير سمير، الآن بعد أن  
وصمك الهرم بميسمه وأصبح مجرد النظر إلي ملاحك كفيلا بالحض علي الفضيلة  
والعفاف، تطلين الاجتماع علي انفراد، لم يحدث هذا منك قبل قط، خاصة بعد  
فضيحة عبد العاطي شاعر وشريطه الملعون.

اجلسي لتسمعي بيان الرئيس.

الأمر أخطر من أن يؤجل.

استقال عاطف صدقي والرئيس سيعلن بيانا يسند فيه تشكيل الوزارة إلى إبراهيم شكري.

اختلجت ملاحظتها تحت وطأة الخبر وارتج عليها لكنها تماكنت نفسها أخيرا:  
تلك أحداث روايتك التي تكتبها.  
صمتت قليلا ثم أردفت:

أو علي الأحرى التي كتبت فكرتها في صفحة ثم أعطيتها لمن يمطها لك إلى خمسمائة صفحة.

ثم واصلت بصوت صك أذني بخشونته الغريبة..  
علي العموم ليس هذا موضوعي الآن، إنني أوشك علي الإقدام علي أمر رهيب،  
وقد طلبت أمس مقابلة الرئيس، وانتظر الآن تحديد الموعد، لكنني وجدت أن من  
حقك علي أن تسمع مني، وأن أسمع لك قبل أن أقول للرئيس ما سأقوله.  
وتسللت إلي ذاكرتي أصداء صوت يشبهه لكنني عجزت عن التحديد.  
نضب الخمر وبدأ الأمر، اطلبي مقابلة إبراهيم شكري أو حلمي مراد.  
تساءلت بنظرات حائرة غاضبة مستفسرة، فأجبت:  
لست أدري ماذا حدث، لكن الرئيس سيخطب بعد دقائق.

قالت ونيران الجحيم تراقص في عينيها:  
لم أنم منذ أسبوع كامل، أشعر بأنه علي أن أفعل شيئا أو أموت أو أجن.  
(أيها الأخوة المواطنون: يوجه سيادة الرئيس بيانا هاما إلي الأمة بعد قليل).  
أرجوك الانتظار حتى انتهاء بيان الرئيس.

لماذا لم أعد أخيف  
لماذا لا يشعرون بالرعب مني و الفزع.

أسقط الثور فكثير ذابحوه.  
ثم أنه يمكنك إذا كان الأمر عاجلا أن تتحدثي إلي سعيد أو جلال.  
بل أريد الحديث إليك أنت.  
إذن بعد البيان.  
( أيها الأخوة المواطنون : سيادة الرئيس ... )  
وجهك غريب عني.  
أمامك كوب ماء وفي عينيك نصف دمعة.  
لا يحمل هذا الوجه ملامح ذلك الوجه الحميم الذي طالما التقيت به وسهرت  
معه وتحادثت وتحاورت وتبادلنا الأخبار والضحكات.  
لم أر هذا الوجه منذ تعيينك نائبا للرئيس، ولا منذ رئاستك. ربما وجه شبيه به  
رأيتَه يوم اختطاف الطائرة المصرية حين نجح الأمريكيون - كما ينجحون دائما - في  
إفساد الخطة الغادرة لإنقاذ بعض الفلسطينيين المجرمين في حادث الباخرة أكيلي  
لاورو، وربما وجه آخر شبيه به رأيتَه يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ حين كنت في معية  
الرئيس قائدا للقوات الجوية .. لا .. ليس شبيها به إنما هو هو، كنت قد نسيتَه  
وظننتك أنت أيضا قد نسيتَه.

( لا ننكر أننا واجهنا في الأيام القليلة الماضية نكسة خطيرة )

وكان قلبي يرقص من الفرح لانتهاج الجبار ..

فماذا ستقول أنت ..

\*\*\*

ما إن بدأ حتى انتهى ..

ولم أكن أريد أن أعرف ماذا سيقول فقد علمته ..

إنما كنت أتلمظ نارا وأصلي سعيرا لأفهم لماذا فعلته.. لماذا قلته، لماذا أقدمت عليه.

يخيم علي المكان صمت قبوري. لا أحد يتكلم ولا أحد يسأل ولا أحد يندهش ولا أحد حتى يؤيد.

يسقط في جب للزمن نيفا وخمسة وعشرين عاما فكأن لم تكن، كأن لم تمر، لا دليل في هذا المكتب ولا في هذه الأرض الممتدة ولا في السماء المتباعدة أنها حدثت. في نقابة الصحفيين كنا، لم أك بعد عضوا بها، فلم تكن شهادتي المتوسطة في بلد الشهادات تسمح بذلك، لكنني دخلتها بعد ذلك دخول الفاتحين بقانون استصدر لأجلي، كنا حشدا هائلا نرقب ونسمع ونشاهد في التلفزيون الأبيض والأسود، وعمت الغروب في المساء كظلمة الغيوم في الشتاء، تسربل الدنيا، واللون الأزرق القاتم يغطي النواذف.

وتنحي..

تمتت ساعتها لو أنني كنت أمارس الصلاة.

إذن لصليت ركعتين لله شكرا.

دون أن أدري ولا أن أفهم ارتفع العويل والنحيب والنواح والتشنج والصراخ، وفاض من الدموع طوفان فانتحيت وبعض الزملاء ركنا قصيا.. وظننتهم من العقلاء فتمتت:

أراح واستراح.

وجاؤني منهم صدي الصمت، فسمعت في طياته همس الموافقة فأردفت..

لو أننا انتصرنا لانتبهينا

ولم أفطن لمعزي التساؤل الهامس المذهول:

ماذا تقول..

ولكنني أفقت علي صفعه هائلة علي قفائي و بصقة علي وجهي، وأدركني ذكائي لينقذني عندما قفزت علي المنضدة أنضو ملابسي وأرقص وأضحك وأنشج وأصرخ مثلهم، حتى ظن الرعاع والغوغاء أن ما بي مس الجنون لفرط المصيبة.  
حتى مصطفى شردي كان يبكي مع جلال عارف.

لو لم أفعل ذلك لمزقتني الحيوانات الضارية إربا.. وخرجت معهم أناشده أن يبقي.. بعد عشرة أعوام صرخت في وجه مصطفى شردي:  
حتى أنت قد بكيت... لماذا بكيت؟.

وأجاب يضيق من يجيب علي طفل لن يفهم قوله:  
لم يكن ما هزم النظام هو الوطن.  
وتمتت ساخرًا بل النظام هو الوطن.

ولم أستطع أن أحاصرك يا مصطفى كما حاصرت جلال فقد أنقذك الوفد مني، لكن هل كنت تتوقع مني أن أترككما وأنتما اللذان تعرفان حقيقة أمرى، سري المكنون وعاري المدفون.  
ماذا أفعل الآن؟

هل أرسل لك الآن أنت الأخر برقية تأييد.. وهل أشيد في صحفي بحكمتك، برجاحة عقلك وثاقب رأيك ونافذ بصرك وسديد قرارك. أم أبوح بما بين جوانحي فألقي الصفحة والبصقة.

كقضاء يحم جاءت مدام نعمة:

انتهي الخطاب فلنتحدث .

كأنها تقول قامت القيامة فلنتحدث، وهل بعد القيامة حديث.

أي شيء أيتها الحيزبون مازال بهم.

ما أقسي اللحظات التي تضطر للتواجد فيها رغم رغبتك في الاختفاء. موتك

شوقا للاختفاء . أطرافك لا تحملك لكنك تقف . شياطين الرعب والخوف والقلق تنهش في أعماقك لكنك تبسم بسمة المطمئن .. العارف بما يحدث، المتوقع له والمشارك في صنعه، تماسك يا أبراهام وتجلد، أصدقاؤك أقوياء ولن يتركوك، فتماسك. إن بقيت نجوت، وإن هربت تلاشيت، بل لماذا لا يكون كل هذا الذي يحدث مجرد امتحان من الغرب لصلابة أصدقائه.. لقدرتهم علي التصرف في المصائب والتحرك في النوائب، يوجهون الأمور من بعيد، بالريموت كنترول حتى يحدث هذا، ويتولى إبراهيم شكري رئاسة الوزراء، ثم تتابع الأمور كما حدث في الجزائر لتنتهي بسجن إبراهيم شكري واغتيال عادل حسين واعتقال مائة ألف وإرغام الرئيس علي الاستقالة، كي تتولى نحن الأمور مباشرة، فتماسك يا أبراهام.. أصدقاؤك أقوياء. وما يحدث الآن اختبار لك، لو أثبت فيه الجدارة والقوة فزت.

طمئن نفسك حتى ولو بدون منطق، إنس ولو لأيام أنهم تركوا أصدقائهم تذبجهم الغوغاء من شعوبهم، أو تطردهم إلي الخارج كالكلاب الضالة لا تجد مأوي.

كأنما من مكان آخر في عالم آخر يأتي صوت مدام نعمة مصرا لحوحا، فأفاجأ بأنها وأنا نبي مازلنا موجودين في هذا العالم:

هل نجلس في مكتبك؟

لو جلسنا في مكتبي فسيجلدني الشامتون بألسنتهم وعيونهم ومكالماتهم التليفونية وزياراتهم، لشد ما أود أن أغادر الدار كلها، لكن ذلك سيحسب علي وقد يكون خطيرا.

بل في مكتبك أنت كي لا يقاطعنا أحد.

فرصة أترك بسببها هذا المكان الكئيب والنظرات المسلطة علي فيه. الهواء خانق

مسموم، والصمت ذو دوي أسطوري يصم الأذن لا صوت غيره هنا يسمع.  
والأغبياء شامتون بي كأن المصيبة مقتصرة علي، كأنها لن تطول الجميع.

وفي الطريق أدركنا صحفي فانتحي بي قائلا:

لقد أتيت بالأخبار كلها، صورها أثناء القبض والحجز، لكننا لن نستطيع النشر.  
لماذا؟

صدر قرار بحظر النشر.

ونظرت إليه بدهشة فأجاب :

ذهبت إلي مكتب المفوض العام لأعرف السبب لكنني وجدت الأستاذ نمير  
رجب عنده ففضلت عدم الدخول.

لكن ما مدي إيذاء طليقة رصاص بعد قذيفة مدفع.

هل يضر الثور سلخه بعد ذبحه، وإذا انهار جبل المقطم فهل يسال عن رقم بيت  
فيه.

أجلس في مكتبها منتظرا ما يهمها، ما جعل وجهها هكذا وجه ثكلي.

طوال الأسبوع الماضي أمر أنا ودرية شرف الدين علي ضحايا الزلزال.

وأجبت في بساطة:

جهد مشكور لكن أحدا لم يطلبه منك، وكان يكفيك إرسال بعضا من شباب  
الصحفيين.

ثم أدركتني كياستي فانتزعت البسمة من حميم مسنون يغلي داخلي وقلت  
ضاحكا:

بالطبع أنت مازلت شابة لكن مركز أكبر من الطواف بنفسك.

أسامه أنور عكاشة ثالثا. يخيم بظله الثقيل علينا. فما يحدث منذ ما قبل الفجر

عصي علي التصديق، ثقيل، غبي ومتجن، كأنها إحدي حلقات مسلسلاته، طوال عرض ليالي الخلمية لم يتوقف التساؤل والهذر، كيف حال زهرة، ماذا فعل بك سليمان باشا غانم، وهذا الموقف الآن بيني وبين نعمة كأنه مشهد تمثيلي هو يخرجته. ستموت قهرا كما مات يوسف إدريس ومصطفى شردي، ستموت لأنك لا تفهم أصول اللعبة.

أطوف بعيني في أرجاء مكتبها. وثمة شجرة ( فيكس ) باسقة تكاد تطول سقف الحجرة متفجرة بالحياة والخضرة لمن نبات بوتس متسلقا بجوارها ذبلت أوراقه، أدهشني أن ألحظ كثافة الأوراق الذابلة فوق جذوره الواهية. اندفعت قائلا غير قادر علي التحكم بنفسني:

ما رأيك في قرار الرئيس اليوم بتكليف إبراهيم شكري بتشكيل الوزارة الجديدة.؟

وأجابت دون تردد:

أقل ما يجب أن يحدث بعد الزلزال.

وأدهشني الرد، فما علاقة الزلزال بهذا.؟

أين كنت لحظة الزلزال يا أستاذ أبراهام؟

هل أقول لها أنني كنت أجمع بصديق علي حفل غداء في جنيف؟ كان ينبغي أن أكون بصحبة الرئيس في الصين لكنني ادعيت أمرا يضطرني إلي الذهاب للصين عبر جنيف؟

هل أكشف لها عن تفاصيل حديثي مع الصديق الغبي الذي بدا مهتما لأقصي ما يكون بمعرفة أدق التفاصيل عن زيارة الرئيس للصين، رغبته في أن أسجل كل كلمة وكل حرف، أن أعني كل معني وألا يفلت مني مغزى، وكنت أحدثه بالأهم لكنه لم يفهم ولم يع ولم يلتفت إلي المغزى، كنت أنبهه لخطورة إبراهيم شكري

وحلمي مراد وعادل حسين ومصطفى مشهور ومحمد الغزالي .

لو استطعت العثور علي كمال أدهم لاستطاع أن يفهمني، لأقنعتة، ولتكفل هو بإقناعهم، لكنه ليس موجودا، مشغول - كما علمت - بمحاصرة الآثار السلبية التي أحدثتها مذكرات شوارزتكوف عن حرب الخليج، لو أنني وجدته لقلت له يا كمال لا تعط لهذا الأمر بالا فأنت تفهم الغرب خيرا مني لكنني أفهم العرب أحسن منك، ومهما وجهت لهم الصفعات علي القفا والبصقات علي الوجه فلن يثوروا، لن يتحركوا، وسيقتصر الأمر علي كذا مليون دولار ينشرون بها إعلانات مدفوعة الأجر يستنكرون فيها ما أتى بمذكرات الصديق، الخليف، ثم ينسون كل شيء كما - دائما - نسوا.

لقلت له أيضا أنه من الضروري استغلال الفوضى الضاربة في أطنا المجتمع باغتيال نجيب محفوظ أولا، لاستعداد الناس ضد الجماعات الإسلامية ثم إعادة أحداث سبتمبر. أنا الذي وصفتها بأنها أعظم من ثورة ١٥ مايو فسخر الحمقى مني، كما لو كانوا يقرون بان ما حدث في ١٥ مايو كان ثورة، لو تم الأمر أيامها كما نشتهي لانتهت مشاكلنا لمدة قرن. لكن حادثا مشئوما وأد الأمل فمات من كنا نستطيع التحدث معه دون حرج، ولم يستطع أحد منا ولا حتى من الأمريكان أن يفتح الرئيس مبارك بالأمر.. بالجهد الجهيد الذي بذل، بألاف الأضابير التي أعدت للمعتقلين قبل اعتقالهم بسنوات، الملف الصحي لكل معتقل، ماذا يجب أن يسمح به له من دواء وماذا يمنع؟ نوع الغذاء الذي يقدم له، وكان التخطيط أن يموت نصف المهمين منهم لأسباب تبدو للآخرين أنها مرتبطة بأمراضهم السابقة، أما النصف الذي لا يموت فقد كان مخططا أن تتكفل بهم المحاكم الاستثنائية، كي تحكم عليهم بالسجن حتى الموت.

لم تجب، أين كنت لحظة الزلزال؟

تعلمين أنني كنت في طريقي إلى الصين، لكنني غيرت وجهتي فور علمي.

وواصلت:

عندما وصلت إلى القصر وجدت الأسرة مازالت في هلع عظيم لما ينته بعد فأرسلتهم إلى مارينا العلمين.

فردت في جراءة وقحة:

لكن قصر ك لم بين بالأسمنت المستورد في السبعينات.

علي أن أتجاهل ما تقول، لأنها نفسها تقوله دون أن تفهم شيئاً.

تحديق بعيني في إصرار فاهرب بعيني إلى شجرة البوتس المتسلقة ذات الأوراق المتساقطة.

الرئيس مبارك يعين إبراهيم شكري رئيساً للوزراء، والحمقاء تحدثني عن قصري الذي لم بين بالأسمنت المستورد في السبعينات.

ما أقسى أن أستم، لكن الأقسى منه أن اذهب إلى أي مكان آخر. وهذه الجدران الصلدة التي لم يصدعها الزلزال، لماذا لم يصدعها، لماذا لم ينهدم كل شيء لنعيد البناء من جديد، بصياغتنا، بشروطنا.

يطلبني التليفون فأعطي أوامري ألا يوصلوا بي أحداً قط إلا إذا طلبني الرئيس. لكنني أعلم انه لن يطلبني.

أنا كنت في ميدان هليوبوليس.

حقاً!

أنا لم أكتب بعد ما رأيت.

لكن صفحتك حفلت بأعظم تغطية للحدث.

فاجأتني صرختها الداوية:

ليس حادثاً.

فتساءلت في دهشة:

ماذا؟

إجرام.

ولجأت إلي الموروث الذي أغطي به نفسي عند الحاجة:

أستغفر الله العظيم، بل قضاء الله وقدره.

وواصلت صراخها..

لا تستغفر فلن..

وقطعت حديثها فجأة. أطرقت إلي الأرض وبدأ أنها تبذل جهداً هائلاً كي

تتمكن من السيطرة علي نفسها.

بعد ساعتين أو ثلاث من الزلزال- لا أدري تماماً فقد اهتز الزمن مع ما اهتز-

كنت ودرية نلهث، كما لو كنا نود أن تكون لنا ألف عين تري وألف قدم تجري

وألف يد تنقذ وألف عقل يفكر، كنا نريد أن نفعل كل شيء في نفس الوقت، أن

تواجد في ذات اللحظة في شرق القاهرة وغربها وشمالها وجنوبها، وفي الجيزة و

طنطا والفيوم والإسكندرية والسد العالي، في القرى والمدن، في كل عمارة وفي كل

بيت وفي كل شارع، وكنا نحتاج إلي مليون عين كي نبكي بها.

توقفت لتلتقط أنفاسها، فانتهزت الفرصة:

لقد سافرت إلي معظم بلاد العالم ورأيت بنفسك كيف تكون الكوارث

الطبيعية، عنف الزلازل والبراكين والأعاصير والفيضانات، وحرائق الغابات،

والأوبئة، والحروب، وحوادث السيارات، والموت جوعاً. من الشائع أن يموت في

أي منها خمسمائة ألف لا خمسمائة.

ألف لا خمسمائة.. وتلك نقطة أخري كذبتم فيها كما كذبتم في تحديد حجم

الخصائر، فبدونا أمام العالم كالمسولين بعاهااتهم ودمائهم.

وواصلت:

لا تقاطعني أرجوك. لأنني أبذل جهدا هائلا في أن أتوازن، في أن أعبر عن نفسي بالكلمات لا بالصراخ. فبداخلي فرن نووي يوشك أن ينفجر.

ران الصمت كثيفا، ثقيلًا لزجا، يا ابنة الأفاعي أنا أغرق، يمد التنين الخرافي أذرع الرهية نحوي، وأنت بحاجة لمن تفضفين له.. أيتها العجوز الثرثرة فلتذهبي إلي من يملك، أما أنا فلو لم يصبح الأمر علي ما أصبح عليه لأنيت الحديث بعد دقيقتين بنكتة بذينة تدفعك إلي ترك المكان مولية هاربة.

لم يكن الزلزال اهتزازات استمرت لدقيقة ثم انتهى، بل كان بركاننا انفجر داخل نفسي، جحيما فتحت عيني عليه ففتح علي الدنيا عيني، علي العالم وعلي الكون وعلي هذه المؤسسة وعليك، وعلي نفسي أيضا.

وفي بولاق كنت أقف أنا ودرية، مذهولتان مصعوقتان كنا، وكنت أحسدها علي طوفان الدمع الذي ينهمر من عينيها، لأنني عجزت حتى عن البكاء. وفي الزحام والفوضى والفرع اتجه إلينا طفلان، طفل وشقيقته، بملابس المدرسة كانا، وكانت ملابسها ممزقة وحقائب كتبها ممزقة ودماء جافة تلتخهما، كانا يبكيان. توجهت درية إليهما للمساعدة، وكاننومة، سرت خلفها، لعلها خاطرا بعمرهما كي يعودا بحقيبتَي الكتب، ولعل أحدهما خاطر بعمره فعاد إلي فصله المنهار كي لا يفقد مسطرة أو قلما ستضربه أمه أو أبوه علي فقدته، لأنها لا يستطيعان شراء غيره. أخذت درية تكفكف دمعها وهي العاجزة عن كفكفة دموعها، واستطاعت الطفلة أخيرا أن تنطق من بين شقيقها وزفيرها المتلاحقين، أن تسأل في نواح: ( بيتنا فين يا أبله ).

كانا يشيران إلي أكوام من الأنقاض الناتجة عن عدة بيوت متجاورة انهارت

جميعا. كانا لا يفهمان ما حدث، وأنه لا رجعة فيه، لعلهما ظنا أنها تاهتا عن الشارع الذي يقطنانه، وأنا يمكن أن نرشدنا إلى شارع آخر يجدان فيه البيت.  
آآه..

منعت نفسي ساعتها من الصراخ، لكن الصريخ الذي ولد في نفسي في تلك اللحظة لم يمت، لم يتلاش، بل يتوالد ويتوالد، لم يزل، حتى أنني أود أن أجري في الشارع لأصرخ وأصرخ وأصرخ حتى أموت، أن أعتلي القاعدة الخالية في ميدان التحرير لأصرخ، أن أتجمد في مكاني هناك وأنا أصرخ، أستحيل تمثالا لا تنقطع صرخته أبدا.. تمثالا تظل صرخته مرئية بالعين مسموعة بالأذن أبدا....

( بيتنا فين يا أبله )..... أردت أنا الأخرى أن ألمس درية أن أهزها حتى أصل إلى أعمق أعماق أعماقها، أن أسألها أنا الأخرى:

( مصر فين يا أبله ) أحسست أن قوانين الجاذبية قد انهارت مع ما انهار وأنتي أترنح ضائعة تائهة في أرجاء الكون، وأنتي أريد أن أسأل درية: ( وطني فين يا أبله )، لكنني كنت أعرف أنها لن تجيبني كما لم تجب الطفلين.

وتركنا بولاق لنذهب إلى الأماكن الأخرى، وكان كل سؤال معلقا كالسيف لا جواب له . قلت لك أنني كنت لحظة الزلزال في ميدان هليوبوليس، أحسست بالهزة ثم سمعت فرقة الانفجار، ثم رأيت الطابق الرابع والخامس من العمارة يتلاشيان فتسقط الطوابق التسعة العليا على الطوابق السفلية لتسحقها، ولا يبقى إلا كومة هائلة من التراب والغبار، حاولت أن أقنع نفسي بأنه حلم، كابوس سرعان ما سأستيقظ منه ، لكنني اكتشفت أن ما كان هو الحلم وأن الكابوس هو الحقيقة، اللحظة المروعة للحقيقة، لحظة التماع البرق في ظلام دامس، فإذا كل ما خفي يعلم، وكل ما استتر يظهر، وبانت السوءات فلم أجد ما أخصفه عليها، ورأيت كل شيء علي حقيقته، ورأيت الحقيقة، وهرعت إلى منزلي كي أطمئن علي أسرتي،

حاولت الاتصال بدرية لكن الاتصالات كانت معطلة فذهبت إليها ونزلنا إلى الشوارع والمستشفيات، حدثت بنفسني تلك الأم التي مات ابنها تحت الأنقاض بين ذراعيها، وهو يستنجد بها ويستغيث وهي تقول له ( وأنا أقدر أعملك إيه يا خالد، أقدر أعملك إيه يا حبيبي يا ضناني!!)، ويخفت صوته فتمد أصابعها بصعوبة بالغة كي تلمس نبضه، وهما تحت الأنقاض يَخْتَنِقان يتلمس نبضه، وهما تحت الأنقاض يَخْتَنِقان يتلمس نبضه، وهما تحت الأنقاض يَخْتَنِقان يموتان يفرحها انه مازال ينبض، ويأتي صوته مرة أخرى ذاويا ضعيفا مرتحلا يستغيث ويطلب النجدة والعون، أقدر أعملك إيه يا حبيبي... وعندما وصلوا إليها أخيرا كان خالد قد مات... كان يمكن أن أكونها وكان يمكن لابني أن يكونه دون ذنب منا ولا جريرة، لكننا بمحض الصدفة لم نكنها.

آه

آآه...

آآه..

لقد كنته.. كنت خالدا الذي يستغيث فلا يغاث، ويستعين ولا يجد العون، وكنت الأم التي يموت ابنها بين ذراعيها، ولا تستطيع أن تقدم له العون. كنته وكنتها وكنتهم، جميعا كنتهم، كنت الألف قتيل فانسحقت تحت الركام حتى الموت ألف مرة، اخترقت الأسياخ جسدي فمزقته ألف مرة، اختنقت ألف مرة وتمشمت ألف مرة ونزفت ألف مرة وتناثرت أشلائي ألف مرة ثم قمت كي أجرح عشرة آلاف مرة، ثم كنت الثاكلة والثاكل والأرملة والأرمل واليتيم واللطيم، ولم أك قط شيئا عندما كتبت أنت مقالتك الأولى بعد الزلزال تؤيد كل شيء وتشيد بكل شيء وتبرر كل شيء. وتركتني درية لتذهب إلى التلفزيون الذي كان ما يزال يمرح، ما يزال، وسمعت يعد ذلك عن دموعها التي لم تستطع كبها علي الشاشة، لكنني أنا لم أبك، ألف، أدور حول نفسي وفي الشوارع وفي الأحياء أي شيء هائل وددت أن

أكونه لأمتص الألم، أخففه، لأداوي النزيف، أوقفه لأمس بيدي علي الجروح فتندمل، وعلي الكسور فتلتئم، وعلي الألم فيتلاشى.. أن أمد يدي لأمسح بها عن المفزوعين الفزع وعن المكروبين الكرب، وعن المتألمين الألم، وعن المعذنين العذاب.. أن يمديني الله بطاقة المعجزة لا لأبرئ الأكمه والأبرص فقط، بل لأحيي الموتى فأعيد خالدا إلي أمه وقلبه ينبض.. أن أمد يدي وسط الزحام بين الركام لأنقذ أكثم، أو أن أمد أمه -علي الأقل- بجرعة ماء بدلا من جرعة بول قبل أن تموت وأن أخرج زوجته لأقذف بها بيدي المجردة حية إلي إيطاليا، هاتفة بها: اذهبي يا بنتي إلي بلدك ولا تعودي قط إلي هذا البلد القاسي الظالم أهله، اذهبي إلي بلدك الذي توقفت فيه الحياة ثلاثة أيام لإنقاذ طفل، وترك رئيسكم قصره ليقيم في خيمة يتابع عمليات الإنقاذ بنفسه ذهب لينقذ الطفل لا لينقذ الحكم.

لماذا تنظر إلي هكذا يا أستاذ أبراهام؟ إياك أن تقول لي أنك قد قطعت زيارتك المهمة وعدت كي تشارك شعبك، أهلك، قومك وناسك، إياك أن تقولها، قلها في مقالاتك لكن لا تقلها لي. لقد رأيت بعيني رأيت رجال الشرطة يطاردون الناس في الشوارع، ولم يكونوا من الجماعات الدينية المتطرفة ولا من التكفير والهجرة ولا الناجين من النار ولا الشوقيين ولا الشركيين ولا الفؤاديين، ولا أيا من هذه الأسماء البغيضة الشائنة التي أطلقتموها، فصدقها الناس، حتى أنا صدقتها وظننت أنهم هم الذين سموا أنفسهم كذلك، ولم أكتشف إلا أخيرا جدا أنها أسماء يتم الاتفاق عليها بين المباحث والصحافة لتنفير الناس، لكنهم علي أية حال لم يكونوا أيا من ذلك. كانوا أناسا فقدوا كل شيء، يبحثون عن خيمة تأويهم وكسرة تطعمهم ومزقة تستر عورتهم، وكانت الشرطة تطاردهم، وكنت تقول في مقالاتك إن ٧٥٪ منهم مدعون كذابون، زوروا الأوراق وشهادات الوفاة. كانوا جائعين والشرطة تطاردهم، جائعين عارين لا مأوي لهم، والشرطة تطاردهم وليس لهم في الدنيا

مكان يذهبون إليه، لكن الشرطة تواصل مطاردتهم فيهربون من شارع إلى شارع ، فيجدون رجال شرطة آخرين يطاردونهم. لم تكن مظاهرات، ولم يكونوا شبابا يمتلمون الجري، كانوا أسراً، فيهم الشيخ والطفل والنساء، ولم يكن لديهم قصر في مارينا العلمين يذهبون إليه. تقول أنك قد عدت للمشاركة، للمشاركة أم للإشراف علي المطاردة. كي تتجنب اتساع الحرق علي الراتق، امتداد الصدع الذي ألم بالوطن إلي النظام. قل لي يا أبراهام: هل رأيت طفلاً ميتاً في فمه نصف قطعة من البسكويت وفي يده النصف الآخر، طفلاً يتشبث بخمسة قروش معدنية وهو ميت، لقد حاولت بنفسني لن أنزعها وأنا أسجيه علي النقالة فلم أستطع، وهو ميت. هل سبق لك قط أن رأيت أجساد أطفال بلا رؤوس ورؤوسا بلا أجساد.. هل رأيت عيوناً مفقوءة، وأفواها مفغورة وأطرافاً منزوعة وعظاماً مسحوقة وجلوداً مسلوخة وأشلاء متناثرة.

\*\*\*

هل رأيت .. أنا رأيت ..

كنت مرعوباً، كأقصى ما يصل إليه الرعب، ذلك الرعب الذي يشملك عندما تواجه شيئاً خارقاً، رهيباً، مروعاً، لم تعتد عليه ولم تسمع عنه ولم تر قط مثله. المروع أكثر، أن عينيها كانتا جافتين تماماً كما لو كانتا من زجاج، والصوت لم يكن بشرياً بالمرّة.. ولقد اكتشفت في لحظة أنها كادت تصل بي إلي درجة التنويم المغناطيسي، إلي درجة الذوبان والتلاشي والتوحد، حتى أنني خلت للحظة وهي تصف أنني أري بأمر عيني، حقيقة لا مجازاً، وواقعاً لا خيالاً، أجساداً بلا رؤوس ورؤوساً بلا أجساد، وعيوناً مفقوءة، وأفواها مفغورة وأطرافاً منزوعة وعظاماً مسحوقة وجلوداً مسلوخة وأشلاء متناثرة.

أحاول استرداد وعيي، السيطرة عليه، عدم فقدانه، وقد بدت مدام نعمة أمامي

مثل الساحرة التى تخدرنى بالكلمات والانفعالات ونظرات العىنن النارىتن،  
تنومنى، حتى إذا فقدت الوعى التهمتنى.  
أنا رأىت..

أخذت ترددها حتى تخىلت أنها تكررها فى حىلة مكشوفة لتنوىمى بالتكرار.  
لكنها واصلت وقد خفت حدة صوتها وإن ازداد مرارة.

أنا رأىت.. وأنت تعرف أننى لست بالغرة الساذجة التى ترى ذلك للمررة الأولى  
فتنهار. رأىته فى السويس وبورسعىد والإسماعىلىة، هل تذكر يوليو ٦٧، ١٥  
يوليو ٦٧، لم تكن قد أصبحت صحفىا بعد، لكنك كنت تغطى معنا أخبار الجبهة،  
من القاهرة وجنىف كنت تغطىها، وكنا نحن هناك، فى الجبهة فى ذلك الیوم عشت  
كابوسا هائلا لا یضارعه حتى الزلزال، كنا فى مرحلة الصمود، التى سخرت منها  
كثىرا بعد ذلك فى مقالاتك، فى ذلك الیوم - منذ ربع قرن أو یزىد- تصدت  
الطائرات المصرىة لطائرات العدو لأول مررة بعد الهزىمة، وكان على إسرائيل أن  
تضرب بإجرام وجنون، لتمنع ومیض الأمل، إذا ما إن انتهى القتال بین الطیران  
والطیران، والمدفعىة، حتى سمعت من مكافى فى الإسماعىلىة أصوات الضرب  
الرهىب المروع، لم یكن موجها إلى الأماكن العسكرىة المصرىة، بل إلى المىنة. كانت  
دانات قنابل المدفعىة والدبابات من كل الأنواع تنهال علیها، على الناس والمنازل  
وعلى كل شىء آخىر، ورغم إدراكنا لخصة العدو، لحقارته وإجرامه، فلم نكن نتوقع  
كمدنىن أن یلجأ العدو إلى ضرب المدن بكل هذه الضراوة. لكنه كان یحاول قتل  
روح الأمة، القضاء على قدرتها على المقاومة، نزلت إلى المخبأ وكنا نسمع أصوات  
القنابل والهاونات ترتطم بالمنازل والشوارع فى جنون، ثم توقف كل شىء فجأة،  
وخرجنا من المخابىء، هرعنا جمىعا نحاول تقدیم المساعدة والعون، وخرج الناس  
من المنازل، أما الذىن كانوا فى أعماهم فقد كانوا یعودون بسرعة إلى ذویهم لیطمئناوا

عليهم.

لكننا وقعنا في مصيدة رهيبة، ففجأة انطلقت كل وسائل الدمار من الضفة الشرقية بإيقاع مرعب، الصواريخ والمدفعية الثقيلة والهاونات والدبابات. وهرعت مع فتحي رزق إلي فريق المراقبين الدوليين المحاصرين في فندق بالاس، وكان الفريق عاجزا عن إجراء أي اتصالات نتيجة لتعرض الميدان لإصابة مباشرة، وكانوا مندهشين من موقف القوات الإسرائيلية التي تركت الرد علي القوات المصرية لتضرب المدنيين وانتهي القصف أخيرا، وقالت إذاعة القاهرة في نشرة الحادية عشرة مساء إن العدوان الإسرائيلي تسبب في إصابة ١٩ شخصا وإصابة ٢٢ منزلا ومحطة بنزين أهلية.

لكن ذلك كان كذبا، كان كذبا، كان كذبا، ولقد عشت طول الليل في كابوس مروع لهول ما رأيت.. كان فتحي رزق يبكي ويصرخ:  
- سنتقم، ولو بعد عشرة أجيال سنتقم.

وأخذنا نعمل لمدة ٢٤ ساعة، وكان عدد الشهداء ٣٦٢ قتيلًا والمصابين ٣٥٠ وتهدم ٦٠٠ منزل، وتم تدمير محطة التيار الكهربائي ومحطة المياه ومبنى السنترال، ومحطة السكة الحديد في موعد قيام القطار الذي يغادر المدينة إلي القاهرة وموعد وصول القطار القادم من الزقازيق. وأصيب قطار الزقازيق بإصابات مباشرة فاشتعلت فيه النار وأصيب من فيه بإصابات قاتلة فاخذوا يلقون بأنفسهم منه والنيران مشتعلة فيهم وقذائف الهاونات تستقبلهم علي شريط السكة الحديد وأرصفت المحطة، أما الذين هربوا إلي ميدان عرابي فقد أصيبوا فيه بالقصف العشوائي المروع للمدينة.

كنا نبذل جهدا هائلا، وشاركت في نقل جثث الموتى والمصابين إلي المستشفى، استخدمنا الكشافات، وكان ثمة اتفاق بيننا جميعا وإن لم يصرح به أحد، لم يقله أحد

ولم تهمس شفة بنت شفة ، أن لا يبقى الوضع علي ما هو عليه حتى الصباح حتى لا تتأثر الروح المعنوية للمواطنين، ولم يكن ذلك هو الآخر كذبا، لم يكن لإخفاء حقيقة عن أحد، فقد كنا جميعا هناك، كنا نحن المواطنين.

اضطرت للمشاركة في كشط اللحم البشري المسحوق في الإسفلت، إلي تجميع الأشلاء التي لا معالم لها في بطانية أو ملاءة، وأمام مبني النادي في شارع السكة الحديد تعثرت في بعض الجثث فسقطت، وعندما حاولت النهوض وجدت يدي في أمعاء واحد منهم، وأحسست بهلع لا يوصف وأنا أتماسك وأمسح الدماء بملابسي. ووجدني فتحني رزق الذي افتقدني فجاء يبحث عني، وانطلقت معه نواصل العمل، وسألني ساخرا. أين أبراهام؟ فأجبتة بنفس السخرية: لعله مع عبد العاطي شاعر يقضيان سهرة حمراء، يسكران ثم يكتبان مقالتين عن معركتين لم تحدثا قط. وانطلقنا إلي حي التماسح، كان كل شيء مدمرا، وكانت الأشجار محترقة وملايين العصافير والطيور الصغيرة محترقة تفرش الأرض ببساط مرعب للموت، وكانت أعمدة الكهرباء واقعة علي الأرض وأسلاكها مبعثرة والدخان ما يزال يتصاعد من المباني، وكان الرجال في كل مكان وبعض النساء يشتركون في تنظيف الشوارع وغسلها من الدم واللحم البشري الذي لم يمكن فصله من الإسفلت.

في ظهر اليوم التالي كنت أرقب طابور الأرامل وأسر الشهداء، كانت عيونهم مفتوحة، زجاجية، بلا دموع، ولم يكن فيها حزن ولا يأس ولا ألم، بل غضب ورغبة هائلة في الانتقام. وعندما وجدت أن أحدا منهم لا يبكي، انطلقت أنا الذي لم أفقد أحدا أبكي كما لم أبك طول عمري.

نظرت إلي ساعة يدي، الحيلة القادمة للتعبير عن نفاذ الصبر والملل، عن الرغبة في الانتهاء، وجاءني صوتها خشنا قاسيا:

لا تنظر إلي ساعة يدك فلم أنته بعد.

لو أنني كنت في حالتي الطبيعية، لو لم يسند الرئيس الوزارة لإبراهيم شكري، لكنت قد تصرفت علي وجه آخر، لما جرؤت هي من البداية علي الحديث معي بهذه الطريقة، لما تركني المئات في هذه المؤسسة الكريمة التي أمارس منها سلطاتي دقيقة واحدة دون تساؤل أو نفاق أو التماس مشورة وطلب نصح.

وواصلت هي الحديث:

لن أحكي لك عما رأيته في بحر البقر وأبي زعبل، لكنني أريد أن أقول لك أن ما رأيته في الزلزال لم يكن أبشع ما إن رأيته، ولم يكن هو الكفيل بانهياري، كفتاة رقيقة تري الدم فتصاب بالإغماء.

وقلت لها في تعجب حقيقي:

الزلزال قوة من قوي الطبيعة التي لم يتمكن الإنسان في أي مكان في الدنيا من السيطرة عليه، وما حدث طبيعي .. طبيعي .. طبيعي .  
وارتفعت نبراتها مرة أخرى.

قلت لك ليس الزلزال بل الإجرام ..

أنا لا أفهمك!

تلك المجازر البشرية التي رأيتهما في الجبهة كان لها ما يبررها، كان الوعي الجمعي للأمة يدرك أنها ضريبة أحلام أجيال مقهورة منذ عشرات القرون، وأنا إن عجزنا عن الدفع، إن فشلنا في المواجهة، إن انهزمتنا فسيأتي أبناؤنا وأحفادنا ليتقموا، وأن دماء من ماتوا لن تضيع هدرا. سيدفع أعداؤنا الثمن سيدفعوه.

قلت حين لم أستطع احتمال الصمت:

هذا نأر جاهلي لا يليق بنا إثارته بعد السلام وكامب ديفيد.

وواصلت كأن لم أتكلم، كأن لم أنطق، كأن لم تسمعني:

أما ضحايا الزلزال، وهذه الدماء المسفوكة والأرواح المزهقة والآلام الهائلة  
الرهيبة المروعة فمن سيدفع ثمنها ومن سنتنقم؟  
بدا تساؤلها غير مفهوم بالمرّة، وبلا جواب، ولشد ما أخشي أن ينتهي الأمر  
بانهيار عصبي ليتعالى صراخها وتشنجها كما حدث يوم موت زوجها، ولن يسلم  
الأمر من تفسير المفسرين وتأويل المؤولين.  
أضافت.

من سيدفع الثمن ومن سنتنقم؟! هل تظن أنني اكتفيت بتعذيب نفسي  
بمشاهدة الأنقاض والأشلاء والجرحى. لا. فقد ذهبت إلى الحاجة كاملة ولقد  
أعطتني الخيط فذهبت إلى العشرات.  
يا إلهي.. يا إلهي..

علت نبرة صوتها مرة أخرى، في صراخ يخالطه نواح:  
يا إلهي: ألهذا الحد أنت فاجر.

أنكمش في مقعدي. أود أن أتلاشي. إذا كانت نعمة مرؤوستي تعاملني كذلك،  
فكيف تعاملني غدا نور الهدى سعد وليلي عبد الحميد وهبة سعد الدين. وماذا لو  
جعلوا زينب الغزالي قاضية علي ونعمات أحمد فؤاد تترافع ضدي.

ألهذا الحد أنت فاجر.. لهذا الحد.. لقد عرفت الكثير، هزة الزلزال جعلتني أفتح  
عيني بالرغم مني وأعرفه، تلك الدقيقة التي اختزل العمر فيها، واكتشفت اكتشافي  
المروع، أنني لم أكن أعرف لأنني أنا لم أكن أريد أن أعرف، كنت أغمض عيني، كان  
واضحا دائما أمامي أنك سيد رابطة صناعات الطغاة، وأنت أخطر علي الوطن من أي  
عدو في الخارج، ومن أي حاكم في الداخل لأنك تفتح الباب للأول وتصنع  
الأخير، تصوغه، كان كل ذلك أمامي، وكانت أمامي أيضا جرائمك المعروضة علي  
مجلس الشيوخ، ٤٨ جريمة علي وجه التحديد- يجب أن تحال إلي النيابة، لكنها لم

تحمل ولن تحال لأن خيرت فظاظة صديقك رئيس المجلس وواحد من أعضاء رابطتك، وأن ثمة عقد بين النظام و بينكم أن تفسدوا كما شئتم وان تفسدوا من شئتم بشرط أن يحتفظ النظام بولائكم.

يا إلهي الشيطان يلد شيطانا ويربيه، أما من سبق الآخر فليتساءل الإسبرطيون عنها حتى يدخل العدو عليهم ليفنيهم.

يزداد انكماشني، هلعي، وغدا تنفجر الأرض بزلزال آخر يترك الناس جميعا ويصيبيني وحدي، فيظهر الخبيء ويبرز الكامن، ماذا ستفعلون بي...؟ ماذا سيفعل بي إبراهيم شكري وعادل حسين..؟

لقد عرفت من الحاجة كاملة والأخريات أسراراً من أسرار علاقتك بعبد العاطي شاكر، واستيراد الأسمت المغشوش والحديد المغشوش، وأنت أنت بالذات كنت الواسطة الكبرى التي تمكنت الحاجة كاملة بها من مواجهة القانون والارتفاع بالعمارة تحدياً له.

هل تريد أن تسمع التفاصيل.. هل أقول لك كم قبضت ..؟ هل أعد أمامك آلاف المواقف التي فسدت فيها وأفسدت وقبضت؟ يا إلهي، أنك تتنفس شراً، خيانة ولصوصية وانتهازية وكذبا، لم تترفع من ادني دنية ولم تتورع عن أكبر معصية، قل لي ماذا ستفعل بعد أن تدمر كل شيء؟ أي شيطان رهيب يعربد في أعماقك؟ هل تريد أيضاً أن أحدثك عن علاقتك بصلاح نصر والملك فاروق؟

والرعب يشملني، وأنا أزرد لعاباً لا أجده، همست:

لا..

ثم أردفت:

- لا تصدقي ما يقال إنهم مجرمون يحاولون تشويه سمعتي.

- دعك من هذا.. لقد ذهبت إلى عمارة الإيموبيليا وسترايد والعمارات الأخرى

المبينة منذ مائة عام فوجدتها شاخحة كالطود. الذي انهار لم ينهر بفعل الزلزال، بل بفعل إجرام أنت مسئول عنه بالوكالة والأصالة والصياغة والصناعة والتستر. لقد انهارت العمارات التي بنيت منذ عشرة أو عشرين عاما، بنيت تحت سمع بصر أسيادك ومواليك، بتصريح أجهزتهم، بترخيص مكاتبهم، برقابة موظفيهم الذين ائتمنهم الناس علي حياتهم فخانوا. لقد كنت أبحث عن قطعة متماسكة من الخرسانة فلا أجد، أين كنتم وأين كانوا...؟ الذي انهار أيضا مدارس بنيتموها أنتم واستلمتموها من مقاوليكم انتم، والذي انهار مباني كانت آيلة للسقوط منذ أعوام وأعوام تركوها لتنهار علي من فيها وذهبوا لينوا لك في مارينا المعلمين قصرا، وقرى ومدنا، بالمئات والآلاف، والأنفاق والمصانع التي لم يستفد منها سوي من قبض العمولة عليها، بعضها تصل خسائره إلي مليار جنيه في العام الواحد، معظم ما انهار كان يمكن ألا ينهار، لم يتهدم منزل ولم يسقط مبني إلا والحكومة طرف فيه، عمارات مغشوشة، ومدارس مغشوشة، وضرائب مغشوشة، وحكومة مغشوشة، حتى المسرح القومي المبني منذ سبعة أعوام تصدع! يا إلهي، ما من أحد قابلته ظن في البداية انه زلزال، كل امرئ ظن أن بيته ينهار، وهذه الواقعة وحدها أصدق استفتاء للأمة علي نظام الحكم، لا أمان ولا أمانة. لو أنه كان القدر فلا حيلة لنا.. فصبر جميل والله المستعان، لكنه لم يكن قدرا، بل سلوكا قدرا ساد. قل لي يا أبراهام. هل تعتقد أن الأماكن الأخرى تختلف عما يحدث في قطاع المباني، الأماكن الأخرى، الصحافة مثلا، والجامعة، والصحة، والانتخابات وكل الأماكن الأخرى.. كلها... بلا استثناء.

ألترم الصمت تماما، أتمني أن يصيبها الإجهاد والانفعال بنوبة قلبية فتموت. لكنها لا تموت بل وتكرر:

بلا استثناء... ثم تندهب لتكليف إبراهيم شكري برئاسة الوزراء.

في بلاد أخرى تستقبل الحكومات بسبب سقوط طائرة أو حادث قطار لا يد للحكومة فيه. بعد هذا الزلزال الذي كشف وفضح وعري تدهش، ما من مبني سقط إلا والحكومة تحمل وزر سقوطه، وما من دم سفك إلا والحكومة تحمل عبء قصاصه، وما من خسائر أبدا أبدا إلا والحكومة مهدت لها بالعجز والفساد وخيانة الأمانة، ثم تدهش!؟

صمتت قليلا ثم قالت بمرارة:

لقد دافعت عنك بحرارة حين قال لي البعض أنك كنت وراء موت زوجي، لكنني عندما عرفت من الآخرين حقيقة حادث عبد العاطي شاكر، الحقيقة المخزية المخجلة، عندما عرفت لم أعد استبعد أي شيء... أيتها البؤرة الصديدية التي تنفث السم في كل ما حولها وكل من حولها.. علي مستوي الأفراد والنظام والوطن.

لقد تخيلت للحظة أن من حقدك أن أمنحك فرصة للدفاع عن نفسك، كان ثمة بصيص احتمال أن أكون متجنبة عليك لكن، الآن، وأنا أتحدث إليك دون حتى أن ترد أدرك أن هذا البصيص انطفأ، مات، وأني كنت أخدع نفسي باحتمال وجوده، كنت أخدع نفسي، كما دائما خدعتها بالتعايش مع هذا النظام الفاسد الذي يأوي مثلك، ربما لأجنبها عناء المخاطرة والمواجهة.

\*\*\*

صه.. صه يا ابنة الكلب. أنت تدخلين في المحذور وأن أكتمل دخولك قتلتك. كان لا بد لعبد العاطي شاكر أن يموت فقد كان أشد سفالة مني.. ولذلك هددني بالمنافسة، ولو عاش لكان الآن مكاني و لكنك مكانه : جثة في قبر.

كانت قد أجهدت تماما...هدها الانفعال والجنون وهي تقول بإعياء:

من أجل ذلك طلبت مقابلة الرئيس.. أنت تتساءل كيف فعلها بينما أتساءل أنا كيف كان يمكنه ألا يفعلها؟ كيف ولماذا؟ لم أطلب لقاءه لأكشف له حقيقتك

كأبراهام، وإنما وجودك كرمز للكل ونمط.

الغبية الحمقاء تظن أن شيئا يخفي علي الرئيس.

- ولست أنا الغبي يا أستاذ الأساتذة، لست أنا الغبي رغم ادعائك، حين رحبت  
تقول أن جحالم يكن غيبا حين راهن علي تعليم الحمار القراءة والكتابة، وأنتك  
ستثبت ذلك بتعليمي الصحافة.

أما من منقذ...؟

وجاءني الإنقاذ من حيث لا أتوقع عندما سمعت صوت خيرت فظاظلة الناعم  
الحاد يدفع الباب قائلا في احتجاج:

أنتظرك في مكتبك منذ ساعة، هل هذا وقت لاجتماع، ألا تأتي لنبحث ماذا  
سنفعل في هذه الكارثة؟

ما حدث بعد ذلك كان غريبا، لو أنه صادف قلبا خليا لظللت أضحك أياما  
عليه، إذ أن خيرت ربيب القصور والأبواب الواسعة اندفع دون تقدير من خلال  
باب مكتب مدام نعمه فانحشر فيه، فأخذ يصرخ في غضب موجها السباب لي ولبن  
بني المبني، وبدلنا جهدا جهيدا مع الصحفيين والسعاة ونحن نحاول دفعه إلي  
الخارج فلا نستطيع، فدفعوه إلي الداخل أخيرا.

جلس يجفف عرقه وهو من الإرهاق والغيب في غاية.

يا خيرت أنت أقرب الأصدقاء إلي لكن هذا ليس وقتك أيها الصديق العزيز  
الطيب الذي لا يثير ضحكي في الصحف المصرية إلا مقالاته وكاريكاتير مصطفى  
حسين. يا خيرت أنت طفل في السبعين من عمره وحجمك الهائل لا يوحى أبدا  
بالخواء الذي بداخلك. ولشد ما استمتعت بان أدفعك إلي أقصي درجات الغضب  
والحزن والانفعال بكلمة، لأعيدك مرة أخرى بكلمة أيضا إلي أقصي درجات  
السعادة والمرح. وكلما سمعتك تتكلم قلت لنفسي أن لأبراهام أن يمد رجله. كما

لتذكر قول عبد العاطي شاكر:

كأنه دمية بزمبلك: إذا أدرتة يمينا ضحك وإذا أدرتة يسارا بكى.

عجبت عندما وجدت مدام نعمة بعد كل ما حدث لا تفقد كياستها فتطلب له مشروبا مثلجا..

وهو يشرب سألته بمرارة:

يا هاوي الشعر: لمن هذين البيتين:

يا رب أهلني لذكرك واكفني

شطط العقول وفتنة الأفكار

ومر الوجود يشف عنك لكي نري

غضب الحليم ورحمة الجبار

وعجز خيرت عن معرفة القائل فأردفت نعمة بذات المرارة:

بعد إعدام الشهيد عبد القادر عوده، وهم ينظفون زنارته وجدوا هذين البيتين

مكتوبين علي الجدران بدمه.

وكنت أفكر كيف سنخرج خيرت من المكتب، وكيف سأتحلص منه بعد

ذلك.. أنا في حاجة للاختلاء بنفسي..

أريد أن أفكر في صفاء كي أستطيع اتخذ القرار..

فمن أجل ذلك... افتح عيني وأراقب... وأتعلم..

\*\*\*

دنيا لا كبقية الدنا ...

ورؤية لا كبقية الرؤى ..

ويوم ما ظننت أني ملاقيه.

ويشملي الدوار وتحتل العلاقات بين الأحياء والأشياء فأضع يدي علي جبهتي  
قائلا: - ما أفضع الصداع

يسألني السائق بانزعاج مصطنع:

- هل تأمر بأن أذهب بسعادتك إلي المستشفى يا باشا؟.

- لا.. بل إلي القصر.. مجرد إجهاد عدم النوم.

لكنني أتمني أن يجي الموت بغتة. أن أموت كالسادات سيدا في ذرا المجد لا أعالج  
كربة الموت إلا لحظة، حين تكون لحظة الإدراك هي ذاتها لحظة التلاشي، لم أعيشه  
معايشة القريب ولم أره إلا علي وجه موسي صبري في أيامه الأخيرة عندما رأيت  
عذابه المروع والمخيف وتناوب الغيبوبة والصحوة عليه، لكنه لا يصحو إلا ليتمني  
أن يأتي الموت كي يريحه، وكلما اكتشف أنني موجود ناداني بصوت يقطر بخلاصات  
التعاسة واليأس: أريد أن أموت، كما لو أنني أستطيع أن آتبه بالموت، قضيت عمرا  
جعلته فيه يظنني الخليل الوفي وأنه لو أراد العنقاء لأتته بها، لذلك ربما خال أنني  
كفيل بإحضار حتى الموت، وبكيت. وما أقل ما أبكي... بكيت علي نفسي لا علي  
موسي فلم أحبه، أنا لم أحب أحدا أبدا في الدنيا، بكيت علي نفسي حين تخيلتها مكانه  
تموت كما يموت وتتعذب كما يتعذب... وعادت بي الذكري إليه في موته والسادات  
يقول له في جمع حاشد:

- يا موسي لقد رفض أبراهام ما عرضوه عليه في الخارج، لذلك أريدك أن  
تكافئه، عينه بمرتب رئيس تحرير. وكان الرئيس يعلم والجمع الحاشد يعلم وموسي  
يعلم أنني ما رفضت شيئا بل قبلت، وتعلمت درسا جديدا من دروس اللعبة.  
لا أحد.. لا أحد..

ما أفضع الزحام لكن لا أحد.. ما أكثر الناس لكن لا أحد.. واعتصرتني الحيرة  
وأنا أغادر المؤسسة، حيث تخلصت من خيرت بسهولة غير متوقعة بمجرد أن قلت

له:

- من المناسب أن تكون في مجلس الشيوخ الآن فقد يطلبك الرئيس للاستشارة.  
ونظر إلي بعين شك يغذيه تاريخ طويل من السخرية والمقالب لكنني أردفت:  
- وقد يطلبك إبراهيم شكري لمنصب في الوزارة.  
فرمقني بنظرة يتصارع فيها شك الإنكار والرغبة في التصديق قائلاً:  
بعد ما كان بيني وبينهم. -  
فتصنعت الجدل قائلاً:

- أنت سيد من يعرف التوازنات التي تحكم تشكيل الوزارة.  
فحملت عيناه في اللاشيء قليلاً ثم هرول إلى سيارته فجأة حتى دون أن  
يودعني.

وجاء أحد السكرتيرين يجري خلفي صارخاً:

- مقال الغد يا باشا.

أنا لا أكتب يا غبي، أنا أكبر من أن أكتب، الأغبياء مثلك يظنون أنني أعجز من  
أن أكتب لكنني أكبر، أنا أخطط وأدبر، كان الخائب عبد الوهاب هو الذي يكتب  
مقالاتي ويرسلها إلي التحرير مجموعة بالكمبيوتر علي ورق مكتبي لكنه استهان  
بالأمانة وفرط في الثقة فأخذ يرسلها بخط يده علي أوراق مكتبه حتى تهاستم  
بالفضيحة.

- تركته مع عزت للمراجعة والجمع.

لست غيباً كما ظننت يا سمير وقد تكون أبرع مني. قلتها وأنا ألمح عنوان مقاله  
في الصفحة الأولى من الطبعة الرابعة من صحيفته:

( عهد جديد مبشر بالأمل تحت رئاسة إبراهيم شكري )

في الطبقات الأولى من نفس الصحيفة سباب قدر.

يشاع أن مبرمج كمبيوتر عبقرى أعد له برنامجا هائلا، لم يعد يحتاج للكتابة بعده، ويتردد أن الفكرة نشأت في ذهن المبرمج أثناء صلاة الجمعة في أحد المساجد النائية، حيث راح الخطيب يدعو الله- من الكتاب بالغ القدم في يديه - أن يطيل عمر السلطان بيبرس، والتقط الفكرة فأعد لسير برنامج مقالات يصلح في كل مناسبة مهما كانت، ما عليه إلا الضغط على أزرار قليلة يحدد فيها اليوم والتاريخ واسم من يكتب عنه وهل يمدح أم يذم، ويقوم الكمبيوتر بالباقي حيث غذاه المبرمج بكل ما سبق لسير أن كتب.

ولا يقتصر الأمر على هذا، إذ أكد لي ثقة أنه حتى سمي لا يقرأ ما يكتبه له الكمبيوتر.

قبل أن تغادر السيارة المكان جاء عزت يلهث:

- ماذا تفعل في الفصل الخامس من روايتك: (إبراهيم شكري رئيسا للوزراء)؟  
فقلت له في ضيق وتبرم:

- تصرف يا عزت، ألا يريد أحد أن يعمل في هذه المؤسسة غيري.  
- بل أريد أن أعرض على سيادتك اقتراحين لتختار أحدهما.  
- ما هما؟

- أن تتوقف الحلقات فجأة والناس سينسون كل شيء في الظروف الجديدة.  
-والآخر.

- أن أحاول بأقصى سرعة كتابة فصل آخر غير فيه اتجاه الرواية بدرجة ١٨٠،  
فيتمكن إبراهيم شكري ببراعة منقطعة النظير من قيادة البلد إلى بر الأمان.

- هل يسعفك الوقت؟

فقال باسما ومجاملا.

- بفضل عبقرية سيادتكم لدينا أعظم ورشة للكتاب في العالم، ليس عليكم إلا إعطاء إشارة الاتجاه وستجد كل شيء كما تحب. لو أردت أن تكون الرواية مكتملة في المطبعة غدا بصورتها الجديدة فستكون.

وقلت في إعياء:

- تصرف يا عزت.

ما أفضع الصداق. ومقالتني في الغد لا أعرف ماذا سيكتبون فيها.

لكن محمود السعدني يطلق شائعة أن الصحيفة تباع بـ ٢٥ قرشا عندما أكتب مقالتني و٥٠ قرشا حين لا أكتبها.

لماذا يخون الناس؟ ولماذا يخون الزمن؟، حتى جورج بوش قد خاننا في يوم نحس وذهب، كلما راهنا علي رئيس أمريكي نحسناه، وغدا ينبشون القبور وتنطرح الجيف في العراء وتزكم الرائحة الكريهة الأنوف عندما يعرف القاضي والداني حقيقة المبادئ التي حركتنا في حرب الخليج. والحمقى في الغرب لا يدركون أن حجم الحرية الذي قد يصلح لهم قد يقتلنا، ولم يستنكف مساعد كليتون أن يسخر من حديث بوش عن النظام الجديد بقوله أنه شيء لم يصدقه في العالم إلا حفنة من العرب.

عندما أمرت السائق أن يذهب بي إلي القصر لم يكن ذلك لحيي للقصر وإنما لأنه لا يوجد مكان آخر اذهب إليه ولا أحد أحدثه، فما أفضع الخواء، عشرات الآلاف يملئون الشوارع يسدون الأفق بالزحام لكن لا أحد. أمن أجل هؤلاء تكتب يا عادل؟! أمن أجلهم ضيعت عمرك؟! لكنهم ليسوا بشرا. ليسوا سوي حيوانات جائعة يكفيهم أن تلقي إليهم بكسرة من الخبز وتعطيهم مأوي، ولولا ما يستترون به لرأيت ذبولهم تهتز عرفانا وشكرا. ليسوا رجالا ولا بشرا وإنما أنصاف رجال وأشباه بشر. حلقة وسيطة في التطور الحيواني والدرجة الأخيرة في سلم التطور

والنشوء قبيل اكتمال تحول القرد إلى إنسان. يا عادل أنت لم تسافر مثلي ولم تر بشرا حقيقيين كالذين أراهم. البشر في أمريكا وأوروبا، وعليك أن تتخلي عن أو هامك وتعترف. لا حق إلا القوة ولا خير إلا اللذة فاعترف.

ماذا يغريكم علي الثبات رغم كل الهزائم التي ألحقناها بكم، ورغم كل الكذب الذي نشرناه عنكم والافتراءات التي ادعيناها عليكم، لماذا؟ ألم يكن عبد الجبار هبيلة ريفيك في الفكر والمعتقل. رأيت الآن أين أنت وأين هو. لم يحمل من اسمه إلا صفة العبد. يا عادل هل تظن أني احترمه أو أقدره أو أحبه؟ لا. فأفق. ألم يكن يساريا يذرف دموع التماسيح علي الفقراء، ها هو ذا الآن يلهث خلف ذهب المعز بعد أن أرعبته لمعة سيفه.

لقد قال فهمي هويدي ذات مرة أن اليساريين من واقع إيمانهم بقضية العدل الاجتماعي أقرب فهما لجوهر الإسلام من غيرهم، لكن عبد الجبار لم يكن - كذلك معظم أقرانه - يساريا، لم يكونوا باحثين عن أي شيء سوي ادوار لأنفسهم، ادوار يعرفون في أعماقهم أنهم لا يستحقونها. لم يعد معظمهم خطرا، والأهالي أصبحت أقرب لقلوبنا من الوفد، وروز اليوسف التي هزت ذات يوم عروشها أصبحت أحب إلينا من آخر ساعة، وعبد الجبار هبيلة يقف بين الجمع الحاشد هاتفا: ديمقراطيتك الناقصة شرف يا أفندينا. لا خطر لهؤلاء لكن فهمي هويدي خطر ولا أدري كيف يسمح له إبراهيم نافع بالكتابة، خطر كينت الشاطيء ومحمد سيد أحمد سلامة فأولئك - جميعا رغم اختلاف اتجاهاتهم ورؤاهم - لا يفهمون جوهر رسالة الصحافة في ترويض الأمة كما يروض الحيوان المفترس كي يصبح أليفا، يستغل جهده ويجز فراؤه ويشرب لبنه ويطعم من خشاش الأرض ثم يذبح إن جن أو ظهرت عليه بوادر المقاومة أو الاعتراض، وظيفة الصحافة أن تقمع كل محاولة لتجميع هذه الحيوانات البشرية، وأن تهدم أي حد أدني لفكر مشترك أو هوية

واحدة، فتجمعهم خطر، ووظيفة الصحافة توقي هذا الخطر. وظيفتها بلبله فكر الناس ونشر العداوة والبغضاء والتربص بين فئات المجتمع، عدم السماح للأمة أبدا بأن تدرك السمات المشتركة بين طوائفها، وأفرادها، الجامعات والمعاهد والمدارس للعلم فقط وأي محاولة للمشاركة السياسية يجب أن تعامل علي أنها إثم يستحق العقاب الشديد، المصانع والشركات كذلك، في المساجد يجب ألا يتردد إلا وجوب طاعة الحاكم وان فسق، أما في الشارع فالمظاهرات ممنوعة، ولقد أبلت في صحفي في هذا الصدد كأعظم ما يكون البلاء وجاهدت أفضل الجهاد، إذ لم يقتصر دأبي علي أن أجعل المتمردين علي هذه القوانين مجرد مجرمين عاديين، بل أن يشهر بهم كأفطع ما يكون، لكم دبلجت صوراً وزيفت حقائق كي أشوه صورتهم، لكن ما أمر أن تأتي الطعنة من صديق كإبراهيم نافع، وفي الأسبوع الماضي طعنتني الأهرام طعنة غادرة حين نشرت طلب المتهمين بعرضهم علي الطبيب الشرعي، فأجاب القاضي أن ملفات تقارير الطب الشرعي عنهم موجودة أمامه بالفعل فصاح المتهمون في ذهول: لكننا لم نعرض عليه!! وفي نفس اليوم نشر أن قوائم الحكومة فازت بالتزكية في ٨٥٪ من الدوائر، وتلك يا إبراهيم مؤامرة تدبر لكنها فضيحة لا تنشر، لكم سيسخر العالم منا، لأنها طريقة في التزوير تفوق حتى طريقة ال٩٩٩٩٩٪، طريقة تفوقها ولم يسبقنا في العالم إليها أحد فلماذا تفضحنا؟ وما هكذا الصحافة يا نافع، أنت بهذا تشوه الدولة لا الأمة، وتهدر علينا جهد عام من العمل الشاق، ويضاف إلي أوزارك وزر آخر، وظيفتنا يا إبراهيم أن نشكك الناس في كل شيء، أن ننشر في الصفحة الأولى خبر وفي الثانية نقيضه وفي الخامسة تأييدا للأول وفي العاشرة تأكيداً للأخير وفي الأخيرة تكذيباً للجميع، ألا ندع الناس يثقون في شيء أبدا ولا يركنوا إلي أي يقين، أن نجعلهم دائما في مرحلة الشك، مرحلة البين بين، لا يقين يستقر ولا اكتشاف يكتمل، ذلك بيقينهم يا نافع مشلولين عاجزين عن الثورة

والتمرد، عاجزين عن مواجعتنا، لأنهم ليسوا علي يقين كامل بأنهم علي صواب أو بأننا علي خطأ.

لذلك وددت دائما ألا تجعل أحدا سوي أنيس منصور يكتب لك، ولو أنني مكان الرئيس لما اخترت سواء وزيرا للإعلام، لكن الرئيس اختار إبراهيم شكري رئيسا للوزراء، وإبراهيم شكري لن يختار أنيس منصور ولا أبراهام أبو سعدة، ففري أين أكون غدا؟

يكبح السائق مقود السيارة بعنف فتطلق مكابحها صفيرا كالنواح وانتبه إلي صعلوك كدنا ندهمه وتتوقف حتى يعبر، يا إبراهيم شكري هل تريدني وهذا الصعلوك سواسية كأسنان المشط؟ كلا.

يدير السائق - كما عودته - المذياع لأسمع نشرة الأخبار.

سيعلن تشكيل الوزارة فعلا بعد عشاء اليوم أو ضحي الغد.

إبراهيم شكري يوجه إنذارا للصرع بالانسحاب بلا شروط ويكلف الفريق سعد الدين الشاذلي بتشكيل قوة للتدخل الفوري بصلاحيات مطلقة. إنهاء مقاطعة العراق وليبيا.

محدثات نشطة للوحدة بين مصر وليبيا والسودان.

عادل حسين يصرح بحق اليهود بالحياة في فلسطين كأفراد لا كدولة.

إطلاق حرية تكوين الأحزاب وحرية إصدار الصحف.

الحزب الشيوعي ليس ممنوعا من ممارسة نشاطه.

الدكتور حلمي مراد مع نخبة من رجال القانون يشرفون علي الاستفتاء علي

الدستور الجديد وعلي إعادة جميع الانتخابات من القاعدة إلي القمة.

شيخ الأزهر ورؤساء الجامعات والمحافظون بالانتخاب.

تحقيقات شاملة في جميع قضايا التعذيب والتزوير والاختلاس والتهريب.  
طلب إلى السفارة الأمريكية بتقليص عدد موظفيها إلى الحدود المعقولة.  
إبراهيم شكري يناشد الأمة. لقد وليت عليكم ولست بخيركم فإن انحرفت  
عن الحق فقوموني ولو بالسيوف، فوالله إني لا آمن مكر ربي ولو كانت إحدي قدمي  
في الجنة.

ليس ثمة معصوم بعد الرسول صلي الله عليه وسلم لكنكم أنتم لا تجتمعون علي  
ضلال.

....

يواصل المذيع إذاعته فأهتف من قلب مكلموم: يا إلهي، هذه أخبار قرن لا أخبار  
يوم.

فتحت بوابة القصر الإلكترونية ونزل السائق ليفتح الباب في أدب:

- تفضل يا باشا.

السائق يحمل درجة الليسانس من كلية الألسن، والطاهي يتباهى بشهادة الثانوية  
الفندقية، لو مضت الأمور كما تمنيت ذات يوم لكان الآن زميلي أو لكنت طاهيا في  
قصر سمير.

السفرجي أيضا يحمل شهادة جامعية أما مديرة القصر فإنجليزية.

يجهزني الحمام الساخن ويأتي المدلك ليدلك جسدي، تلميذ الدكتور علي  
العطفي، وقد عرفني به عبد العاطي شاكر قبل أن ينقلب علي، الخائن، استصدرت  
له من القوانين ما جعله يجمع المليون الأول ثم جعلته يخرق من القوانين ما جعله  
يضاعف المليون إلى ملايين وملايين لكنه عرف الطريق والطريقة فاستغني وبدأ  
يخطط ليحل محلي، فكيف ينتصر التلميذ علي أستاذه. وحاصرته بعشرات التهم  
الأخلاقية، وكشفتها أمام الكافة لكن الخائن جاء في الأسبوع التالي بشرط تسجيل

جعلني أنا أبراهام بلحمه وشحمه أذهل لمدي ما يمكن أن تصل إليه الخسة  
بالإنسان، وراح يسأل الموجودين:

- هل تعرفون الرجل؟

فيتهامسون:

- وهل من أحد غيره..

فيتساءل مرة أخرى

- وهل تعرفون المرأة؟

- لا

فيجيب في نشوة المنتصر الذي أوقع بعدوه الضربة القاضية:

- إنها زوجتي

كان يجب أن يموت.

تبسط المائدة، لكن مسز مارجريت في صرامتها تطلب مارينا العلمين لأكلم  
الأسرة أولاً، فتجيبها المديرية الفرنسية لقصر مارينا أن لا أحد هناك.

لا أحد. لا أحد هناك ولا هنا. ولا في أي مكان آخر يوجد أحد.

ازدرد الطعام، لدي المال والنفوذ والجاه والسلطة وما اشترى به كل ما يشتري،

لكن كل شيء خواء، وقد سلبت ما لا يشتري.

كنا في النقابة وقلت لموسي معابثا: هل تؤمن حقا أنه وجد دون أب أم انه كما

يقول عنه أبناء عمومتنا؟ واهم وجه موسي غضبا وتدخل عادل ليقول كيف تصدق

انه دون أب بينما جدك الأول قد وجد دون أب ولا أم فبهت.

لكنني لست كما تظن يا عادل، أنا أو من، لكنني أو من أيضا أن يترك ما لقيصر

لقيصر.

أؤمن بان الله خلق الكليات وترك الجزئيات لنا، نصوغها نحن كما نشاء، وأؤمن بأن الصلاة والصوم والزكاة فرضت في وقت لم يكن يوجد لتهديب الإنسان سواها أما وقد وجد البديل فما حاجتنا إليها، كحاجة الأقدمين للإبل: سفن الصحراء، هل يحتاجون إليها في زمن سفن الفضاء، وكحاجتهم للرق والتعاويد، ولم يكن يوجد سواها فهل يحتاجون إليها في زمن الهندسة الوراثية.

أصرف الخدم، لا يقر لي قرار، أتجول في أرجاء الجناح كالمجنون، أطلع انعكاس وجهي في المرايا، وأسألها كيف هان علي مبارك أن يفعل بنا ذلك، ألا يدرك كم الجرائم الهائلة التي فعلناها والتي سيكتشفها إبراهيم شكري ورجاله غدا؟ ماذا سنقول عن مليارات هربت، وعمولات قبضت، وأموال اختلست، وطاقات أهدرت، وانتخابات زورت، وأرواح أزهقت، وأجساد عذبت، وأخبار كاذبة نشرت، وفضائح لفتت، وحقائق شوهدت، وبيانات أخفيت، وعلاقات قطعت؟ يجيل إلي لو اكتملت اللعبة فسيكون للقاضي اختصارا للإجراءات لا أن يسألنا عما ارتكبنا من جرائم بل علي ما لم نرتكب.

استند والدوار يكتفني - قبل أن اشرب - علي البار، لماذا فعلت بنا ذلك يا سيادة الرئيس، علي حين غرة، في جزء من الثانية فوجئت به يفاجئني بنظراته الساخرة فانفضت، فأدركت فورا أن ليس هو بل انعكاس صورته الضخمة علي المرايا، فهل يتحتم غدا أن أضع إلي جوارها صورة إبراهيم شكري.

هذا البار من الصدف الخالص والبللور النقي، تحفة فارسية، ولطالما تضاحكت مع الصحاب مدعيا أنه هدية من الخميني، لكنه في الواقع هدية من الحاجة كاملة، قطعة فنية رائعة ضاهي ثمنها العشرين باكو منذ عشرة أعوام وكان ثمنه الحقيقي يصل إلي ١٠٠٠٠٠ ألف جنيه، لكن ظروف اكتساح الثورة الإسلامية لإيران دفعت مالكي هذه التحف إلي تهريبها بأبخس ثمن.

ولقد رددت لها التحية بأحسن منها.

أرغب ما بداخله من زجاجات مرصوفة، بلاك أند هوايت، أبسليوت فودكا، جون ووكر، وايت هورس، الفريد هينكين، دومبل، كور'فوازييه<sup>(١)</sup>، احتاج أن أشرب ما في البار كله حتى أنسي أن إبراهيم شكري يشكل وزارته الآن.

أعد لنفسي كوكتيلا وأحضر الكافيار والسيمون فيميه.

من خسر الآخرة بما فيها لا يطيق أن ينقص حظه من الدنيا شيئا.

بتولى إبراهيم شكري رئاسة الوزراء أخسر الآخرة والدنيا.

فلقد راهنت بعمرى كله على الحضارة الغربية والنظام الجديد.

يا حمقى لقد كانت النازية والشيوعية مجرد نتوءات وأورام في حضارة الغرب، وكانت فروعاً منها أمام الحضارة الإسلامية فهي المناقض، هي العدو الذي يهدد ويمكن أن ينتصر، يمكن أن يقدم للدنيا بديلاً عن حضارتكم.

كيف تسكتون إذن؟

وكيف فجر الرئيس قبلته.

إنهم خطر... خطر...

ماذا يريد إبراهيم شكري وماذا يريد حلمي مراد؟ وماذا يريد عادل حسين،

ولماذا تركوهم؟

لو تركتم لهم الفرصة لن يكونوا زعماء محليين طيبين ينشرون مكارم الأخلاق في القاهرة وضواحيها فقط ولا ربوع مصر فقط، ولا في العالم العربي وحده، ولا في العالم الإسلامي كله، هم يقولون - يعترفون ولا ينكرون - أن رسالتهم موجهة إلى العالم، العالم قديمه وحديثه وحادثه، ولديهم تصور شامل للكون منذ بدايته وحتى

(١) اتصل بي صحافي من تلاميذ أبراهام وأخبرني بهذه المعلومات وبالأصناف الموجودة في البار الموجود بمتزله.

نهايته، والخطير أكثر وأكثر في إيمانهم بما يدعون إليه، بما لا يقاس ولا يقارن مع إيمانكم بحضارتكم.. ذلك أن الاقتناع بحضارتكم مبني على الاقتناع بنظريات سرعان ما تتغير، ما يثبت فسادها وبطلانها لتنشأ مكانها نظريات أخرى تؤمنون بها من جديد مدركين أنه إن هي إلا أعوام حتى تؤمنوا بغيرها.

إيمانهم هم بحضارتهم إيمان بحقيقة مطلقة لا تتعلق بالزمان ولا بالمكان لأنها فوق الزمان والمكان، ولقد علمنا التاريخ أن الفيصل النهائي لنتيجة أي معركة هو درجة اليقين عند أصحابها.. ليست نهاية التاريخ فلا تركنوا إلي الدعة، إنهم أخطر من الشيوعيين مليون مرة، فخبروني عن أي زعيم شيوعي في العالم جرؤ علي أن يصادر أموال الناس جميعا لمجرد أن صعلوكا في أطراف قرية قد بات جائعا، أم أنكم لم تقرؤوا مقولتهم: إذا بات امرؤ جائعا فلا مال لأحد. خبروني عن نظام يحاسب الحكام كما يحاسب نظامهم الحكام، ولقد افترينا عليهم فرية كبري يكشفون لعبتنا ليدافعوا عن دولتهم المدنية ضد دول الطواغيت والعسكر.

لا تجعلوا من أحبال أكاذيبنا مشانق لنا. لقد كذبنا كثيرا كي نشوهم - وليس الكذب عارا - ولقد حاربت حضارتكم منذ أكثر من ألف عام وارتكبتهم مع شعوبهم أبشع جرائم التاريخ، ولقد خدعتموهم وهزمتموهم وقتلتموهم وأجعتموهم وصدرتم لهم لحم الكلاب كي يأكلوه، وصدرتم لهم السموم والأوبئة والأمراض واستنزفتم عقولهم بعد أموالهم وفعلتهم معهم كل ما يمكن أن يفعله نصاب مجرم مع قروي ساذج أو ذئب شرس مع حمل شارد، وبالرغم من ذلك كله وعلي الرغم منه كله فإن تعدادهم يزداد وأرضهم تتسع وتشبههم بحضارتهم يزيد!

لا تركنوا للدعة والأمان إذن، أجداد لهم هزموا المشرق والمغرب في ربيع قرن.

لقد كان أملنا دائما أن ننجح في أن تشوهم، أن ننشر الأكاذيب عنهم وننشر الشائعات حولهم، وكان كل هذا ممكنا ما دام إبراهيم شكري بعيدا عن الوزارة، عن

\*\*\*

إياكم وما يحدث ..

طالما كان إبراهيم شكري بعيدا عن السلطة كان في إمكاننا أن ننقل للناس لا ما يقوله بل ما ندعي نحن انه يقوله، ولا ما يفعله بل ما تتفق سويا علي أن ننسبه إليه، والناس لا يعرفون الحقيقة، لكننا نحن نعرفها، نعرف أنه لم يقل ما ادعيناه ولا اقترف علي ما اتفقنا علي نسبته إليه.

ماذا نفعل إذن إذا أصبحت السلطة في يديه؟!

إننا والسلطة كلها في أيدينا لم نستطع مواجهته ولا مواجهة حزبه وهو في المعارضة إلا بأساليبنا الخاصة، فكيف إذن نواجهه ونحن في المعارضة؟! لماذا تظنون أن مشاعر الناس تجاهنا تختلف عن مشاعر الرومان تجاه تشاويشسكو والألمان تجاه هونيكر والمصريين ضد كرومر.

لماذا، أنتم لا تعرفونهم إذن، وغدا تسفر هذه الحيوانات البشرية عما لم يخطر لكم علي قلب، غدا تنفجر فينا من جموع دهمائهم مشاعر السخط والغضب والكراهية والاحتقار والرغبة في الانتقام، في الكشف، في معرفة الدخائل والأسرار.. كيف استطعنا خداعهم طول هذا الوقت والسيطرة عليهم كل هذا الزمن، أم نسيتم ماذا حدث في سفارتكم في طهران.

هل تظنون أن المصريين يختلفون؟

لا تكررُوا خطيئتكُم في إيران إذن، لا تكررُوا في إبراهيم شكري أخطر، حزب العمل أخطر والاتجاه الإسلامي أخطر، والمصيبة أن هذا يحدث بعد أن فشل كل اتجاه عدا الاتجاه الإسلامي، هو وحده الذي لم يجرب، الشيوعية فشلت والفاشية صلبت والنازية سحقت، أما الرأسمالية فلا دور لهم فيها إلا دور العبيد، وهم

يدركون ذلك، فلا تغامروا.

وبرغم كل سلبيات التجربة الإيرانية، سلبياتها الداخلية والخارجية، ما نشأ من صلب التجربة وما نتج عن احتكاكاتهما بالخارج، ثم ما نتج عندما حرضنا صدام حسين ضدها وأوعزنا إلي كل حكام العرب أن يساعده، برغم كل هذا فقد تمخض الأمر بالنسبة لنا عن نتائج محزنة، لقد اكتشف السنة في جميع أنحاء العالم أن الشيعة مسلمون مثلهم، ضاعت كل أكاذيبنا عبر القرون..إنهم كفرة، ضاعت ادعاءاتنا عليهم التي روجناها عنهم، وما عاد الناس يصدقوننا في أن لهم مصحفهم الخاص ولا أذان صلاتهم، وما عادوا يصدقون منا دعاوى الفارسية والمجوسية عنهم.

بل لقد بلغ الأمر بالبعض أن يهتف دون ضمير يؤنب أنهم هناك هم السنة والشيعة معا.. أما نحن فلا سنة ولا شيعة، نجاح الثورة الإسلامية في إيران أدي إلي ذلك، فكيف تسلمون لهم مصر أيضا وكيف تسلبون نظامكم الجديد درة تاجه، وغدا يتكرس نظامهم هم ليدركوا أن ليس ثمة سنة ولا شيعة، بل الإسلام الذي أنزل علي محمد، وأنه ما من المسلمين أحد يعارض صحيح السنة في شيء، وما من المسلمين أحد لا يتشيع لآل البيت، أجهزة الكمبيوتر عندكم لا تفهم ذلك، لكن لماذا لم تجربوا إحصاء عدد الناس المسمين بأسماء آل البيت، كعلي والحسن والحسين مقارنة بمن سموا معاوية ويزيد والحجاج، كم واحد اسمه وحشي وكم واحد اسمه الحمزة.

سينكشف هذا كله، والأخطر من انكشافه هو انكشاف طرقنا في تضليلهم، في خداعهم، في السخرية منهم ومن عقولهم، انكشاف سيهتك منا كل عرض وسيكشف كل عورة، انكشاف سيعجزنا عن مواصلة خداعهم ربا إلي أبد الأبدين. أم أنكم نسيتم رد الفعل الصاعق لموقف إيران من العراق أثناء حرب الخليج،

عندما انكشف الكيد وبانت العورات وقتل السنة ووقف الشيعة يدافعون عن السنة، بل ويقدمون لهم الطعام والمأوي، وفغر العالم فاهه وهو يري الإسلام النبيل يتخذ الموقف الصحيح فوق بحر زاخر، أمواجه دماء مليون شهيد.

هل نسيتم ما حدث أيامها عندما انحدر كاتب كخالد محمد خالد من قمة الجبل إلى سفحه دون أمل في الصعود مرة أخرى، حين راح يهاجم العراق ويصرخ مستنجدا

( أدركنا بها يا بوش )، واضعا أقوى حججه ضد العراق بسبب ما فعلته بإيران فإذا بإيران تقف إلى جانب العراق فإذا بالكاتب الكبير يترك مقام الكاتب إلى مقامنا: فيهاجم إيران لأنها تساند العراق، لكن الدهماء تثبت أخيرا أنها ليست عمياء فتسقط خالدا من حسابها رغم ما كان له في قلوبها، مبرهنة علي أنها تعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال.

املا لنفسي كأسا آخر، لا تسرف في الشراب يا أبراهام فالخمر والأمر اليوم، وعليك أن تقرر في غاية السرعة أين تكون غدا. قبل أن يدور رأسي اتصلت بالمفوض بعد أن أوصلت الجهاز المانع للتصنت، ليس لديه جديد سوي أن أصدقاءنا في اجتماع مستمر من أجلنا وانه سيخطرني فور اتخاذ قرار.

تري، في مثل هذه اللحظة تماما غدا: أين أكون؟! . ببطن الأرض أم علي ظهرها في احد تلك السجون التي أنكرت طول عمري ما يحدث بداخلها؟ فهل يحدث لي غدا ما أنكرت؟! .

هل يكتبون في نعيي غدا - إن وجد له مكان - يا أستاذ الأستاذة لم يكن غباء مني بل حيلة منك وقعت فيها لتظل المؤسسة تضحك علي شهورا، ولم يكن غباي هو السبب، بل تعودي الدائم علي أنني إزاء أي رئيس وكل رئيس لا أفكر، فالتفكير هنا ليس مجرد إساءة أدب، بل كفر يستلزم الطرد من المعية، ماذا كنت تريد مني أن

افعل حين جاءك نعي لحمدي البسيوني فأشرت عليه بقلمين: باللون الأحمر كتبت: ينشر، وباللون الأزرق - نفس اللون المستعمل في كتابة النعي الأصلي - كتبت: (إن وجد له مكان)، وكانت عجالات المطابع تنتظر والعمال يستعجلونني وتأشيرتك تسوطني فأفسحت بصعوبة مكانا للنعي الذي نشر في الصباح التالي: (..... اسكنه الله فسيح جناته إن وجد له مكان).

وظللت بعدها شهورا أظن أنه حتى الجدران والمقاعد تضحك ساخرة مني عندما أمر.

يدق جرس التليفون فأرد:

.....

من؟! سوزي

.....

أين أنت؟

.....

لا بد أن لبسا حدث، ولو علمت لكنت أنا لا سمير من يقف معك.

.....

لا...ربما في ليلة أخرى.

حتى سوزي ستكون شاهدة غدا علي، لكن كيف كان لي أن أحرص وأنا الآمن، وهل كان معقولا أن أطلب منها إقرارا وأنا الذي أردتها أن تكون لها مفاجأة ومكافأة، حين أفردت لها من صفحات ضحفي الصفحات والصفحات عن المتطرفين الذين عرضوا عليها سبعة ملايين جنيه لتلبس الحجاب، واستمر الأمر أسابيع وأسابيع والصحافة المحلية والأجنبية تتلقف الخبر لتشره وروز اليوسف

تضيف عليه البهارات والتوابل، وفهمي هويدي يظن أهل اليسار أقرب للدين من واقع إدراكهم لقضية العدل الاجتماعي، لكنهم ليسوا أفضل منا بل أحق، فنحن إن خسرنا الآخرة فقد لننا الدنيا أما هم فقد خسروا الاثنتين.

ماذا يمكن أن أقول عندما تعترف سوزي بأن شيئا من ذلك لم يحدث قط؟.

ماذا نفعل عندما يفتحون أوراقنا ليحصوا أمام الناس كم كذبنا.

أي فضيحة هائلة ستفجر؟ وكم نظاما سيتهاوى؟

ولقد أصبناهم باليأس دائما لأننا كنا دائما نبدأ نفس البداية بنفس الأسئلة، مهما شرحوا ومهما أبانوا، لكن الخطر أن نصدق أنفسنا فيما قلناه عنهم، خطرا يحيق بنا لا  
٢٣٢

لقد حاولنا دائما أن نحاصرهم بطريقة عبقرية، أن نوهمهم بأن الحرية في بلادنا مطلقة، أن يكتب من يشاء وأن يتكلم من يشاء.. لكننا بتحكمنا في منافذ النشر والتوزيع والدعاية والنقد استطعنا دائما أن نحاصر فكرا معيناً وأن ننشر آخر، وان ثبت في عقول الدهماء عنهم ما نشاء، ولقد استطعنا أن نحصرهم في دائرة مغلقة يكتبون لأنفسهم ويقرأون لبعضهم البعض ليزدادوا اقتناعاً بما هم مقتنعون به أصلاً.. لكن تظل دائرة انتشار الوباء محصورة فيهم، كمثقفين لم يكن منهم خطر، كان الخطر يأتي من بعض الشباب الطائش الذي يتأثر بهم دون أن يكون له عمق معارفهم وشمولية فكرهم وكانت أجهزتنا تتكفل بهذا الشباب الطائش بمنتهي الضراوة والعنف، وكان معظم هؤلاء يرتدعون وهذا خير، لكن الخير الأكبر كان فيما لا يرتدعون، لقد جعلنا ظهورهم للحائط، دفعناهم إلى حالة اليأس المطلق التي يمكنهم معها فعل أي شيء، وقد فعلوا فبادرناهم بيد من حديد، أم نسيتم من قتل في الشوارع أمام الناس ومن قتلوا بعد القبض عليهم دون محاكمة ومن قتلوا وهم نيام. في السجون أيضا عرضناهم لأبشع أنواع التعذيب لا لمجرد التكيل فقط بل

لكي يتقم لهم زملاؤهم في الخارج فنخلق تبريرا لعنفنا معهم ولكي نضعهم أمام الأمة في صورة الإرهابيين القتلة، كي نكسب تعاطف الناس معنا وتأيدهم لنا، ولقد وجد دائما من حذرنا من أن العنف يولد العنف جاهلين أن هذا ما نوده، فهذه هي فرصتنا الدائمة لتصفيتهم، أما منظروهم وقادتهم الذين يفهمون سر لعبتنا فقد كنا نأمل إزاء اليأس والغضب أن يدركوا أنهم يلهبون وجدان الشباب بكلماتهم فنلهب نحن ظهورهم بسياطنا فيحتاج الكتاب أكثر ويزدادون عنفا في مهاجمة السلطة، لكن السلطة لا ترد الصاع إلى الكتاب وإنما ترده صاعين إلى الشباب.

كنا ندرك أن اللعبة لا يمكن أن تستمر هكذا في دائرة مفرغة، وأنه من المحتم أن يحدث انفجار في اتجاه ما، فإما أن نتمكن من القضاء على الشباب فيسهل علينا أن نمد ذراعنا الطويلة لسحق الكتاب والمثقفين دون خشية انتقام الشباب، وإما أن يدرك المثقفون حقيقة اللعبة وحمية القضاء عليهم في النهاية فيتحولون هم بأنفسهم إلى الإرهاب، يستبدلون قلما يدركون أنه - بسبب جهودنا لمحاصرته - بلا قيمة بالخناجر والقنابل والمدافع.

وكنا من النجاح قاب قوسين أو أدنى فالغرب معنا وإسرائيل معنا، لكن الرئيس مبارك يقلب المائدة علي الجميع فينقلب كل شيء.

هل يظن واحد - حتى لو كان معتوها - أن نظام الحكم عندنا يحتمل انتخابات غير مزورة.

أو أن أحدا من النخبة الحاكمة يحتمل القاء إذا ما أمسك الإسلاميون الحكم. وليس الخوف من سلب الامتيازات ما يخيفنا ولا حتى الخوف من تطبيق الحدود علينا بل الرعب من تطبيق قانون الجنايات دون حصانة.

الخطر الخطير أن نصدق نحن أكاذيبنا، لقد خوفنا الناس مثلا من إقامة الحدود، وفي جهودي أن أعرف كي أجيد المهاجمة، اكتشفت أن إقامة الحدود ستقتصر علي

المؤمن لا الفاجر، وأنها لو طرحت الطرح الصحيح لنادي بها الفاجر قبل البر، ولقد ذهلت وأنا اعرف الشروط التي وضعت لجواز إقامة حد، عشرات الملابس والظروف التي تلغي إقامته، ضرورة أن يعترف المحدود أمام أكثر من قاض في أكثر من جلسة وأن يبدي له القاضي كراهته لسماح اعترافه، فإذا أصر علي الاعتراف وجب أن يأمره القاضي بالكذب! لدرجة انه لا يصح إقامة حد السرقة مثلا دون أن يقول القاضي لمن اعترف : ( أسرت .. قل : لا ) فإذا أصر المتهم بعد هذا كله علي الاعتراف حكم عليه بالحد، إلا انه ليس حكما نهائيا، فإذا شاء أن يسحب إقراره واعترافه في أي وقت أوقف تنفيذ الحد، فإذا لم يفعل ذلك وبدئ فعلا في تنفيذ الحد فرجع عن اعترافه أوقف التنفيذ فورا، ولا يشترط في سحب الاعتراف أن يكون باللسان بل يكفي أن يسحب يده أو يجري كي يعتبر هذا سحبا للاعتراف يوجب وقف إقامة الحد.

ونفس هذه المحاذير تنطبق علي حد الزنا وان كان إثبات الزنا أصعب، وفي جميع الأحوال تدرأ الحدود بالشبهات.

وعندما سمعت هذا من منظريهم ظننتهم يسخرون مني، يخفون عني ما يعلمون أني سأستعمله في الهجوم عليهم، في تسفيه فكرهم وتشويه حكمهم، لكنني عندما تأكدت من صدقهم صرخت فيهم :

- الأمر كله عبث إذن ولن يقام الحد علي احد.  
فاستغفروا قائلين.

بل يقام علي من لو وزعت توبتهم علي أهل القاهرة لوسعتهم.  
وأخذوا يشرحون لي كثيرا كيف أن الحدود في الإسلام ليست وسيلة عقاب بقدر ما هي وسيلة ارتقاء بالنفس وتوطيد لعلاقة الروح بخالقها، وأنها عندما تطبق سيكون جل تطبيقها علي من يتقدمون طواعية للاعتراف علي أنفسهم، مصرين

علي عدم الإنكار رغم إظهار القاضي كراهته لاعترافهم، بل ونصيحته لهم بالكذب.

هل كنت أستطيع أن أقول للناس ذلك، أم كان يجب علي دائما أن أصيهم بالرعب: انه لو قام حكم الإسلام فسيكونون جميعا بين مرجوم ومبتور ومجلود. هل كان يمكن أيضا أن نناقش عادل حسين في رأيه في السياحة دون أن نشوهه، هل كان يمكن أن نعتزف للناس انه ليس ضد السياحة بل ضد ما يصاحبها من عهر وسكر وزنا، هل كان ممكن أن نعتزف للناس بذلك.

لكننا غدا سنضطر للاعتراف بكل ذلك أمام المحاكم التي سيشكلونها لنا. رأسي يدور.. هل هو دوار الخمر أم دوار اليأس أم دوار الإرهاق وعدم النوم. أتجه إلي فراشي الوثير، بالريموت كنترول أدير التكييف والفيديو وأضبط الأضواء. لا رغبة..

أنشغل عن الدقائق الأولى من العرض لكنني ما ألبث أن أقفز من فراشي كأنما لدغني الثعبان فقد كان وجه نور الشريف يراجهنني في فيلم ناجي العلي، من أحضر هذا الفيلم البذيء إلي قصري، زوجتي أم الأبناء أم جماعة متطرفة، فيلم بذيئ بشع يهدم صرح ما بنينا، يوقظ وعي الحيوانات ابشرية السائمة ويشعل هميتهم. أعود إلي فراشي بعد إخراج الفيلم، أنتقل إلي التليفزيون، العالم في حرب.

يزعجني الصوت فألغيه وتتابع المشاهد أمام عيني، وثمة جيش منهزم لا أعرف في أي مرحلة ولا من أي وطن لكنهم يسارعون بالقفز إلي بطن طائرة هليكوبتر، هل هم ألمان أم إيطاليون أم أمريكيون أم إنجليز أم فرنسيون؟ لا ادري فليس علي الطائرة علامة، ودارت مراوح الطائرة وأوشكت علي الإقلاع وإذا بثلاثة كلاب ضخمة تجري بأقصى سرعتها يقفز اثنان إليها ويتعثر الثالث وتبدأ الصعود إلي الجو وهو معلق بأطرافه الأمامية فيها، يحاول أن يكمل قفزته ولا يقدر. وينتهي المشهد

دون أن أعلم هل استطاع النجاة أم سقط.

يخفق قلبي إشفاقا عليه.

وجدتني في مبني دار الأنباء والمبني ينهار فأقفز من النافذة بعد أن اضغط علي زرار في جسدي فأطير، وأفاجأ بسمير يطير إلي جواري فأضحك قائلاً: ركبوا لك أنت أيضا هذا الجهاز، فيقول مثلك تماماً تماماً، ويأتي إلينا المفوض العام هيئة الأمن القومي يتقدمنا في تشكيل سرب ويحدثنا باللاسلكي: إلي السفارة الأمريكية تعصمكم من الزلزال.. وأطير وأطير، لكنني لا أصل.

وأتقلب في فراشي مرهقا فما ألعن الأحلام.

ووجدتني أرقص وأغني وأشرب الكوكتيل وسوزي ترقص أمامي حتى لتفجر في أرجائي النشوة، لكن ظهرها لي ولا تلتفت إلي وكلما درت حولها دارت إلي الجانب الآخر، وأمسكت بها وأدرت وجهها إلي فإذا به وجه نعمة فيستبد بي الدهول وأهتف بها: أنت نعمة فكيف ترقصين وأنت المتحفظة الوقور؟! فترد في أسي: أنا أرقص منذ عشرين عاما، فتبوح نشوتي، وإذا بالمكان يتلاشى وأجدني في مبني الصحيفة في اجتماع وسوزي تصرخ في هل رأيت؟..أنا رأيت، فأنظر وقد استبد بي العجب وأسألها: ألسنت الراقصة؟! فتجيب في خلاعة بل أنا أكتب منذ عشرين عاما؟.

وأتقلب في فراشي مرهقا وأنا ألعن الأحلام.

وأجدني بين الصحراء والجبل والغبار والزحام والدم لا أعرف من المتحارين أحدا إلا محمد نوار بلحيته الكثة فأخذت أبحث عن عادل حسين لأقتله ففوجئت بمحمد نوار يتجه نحوي صارخا: رأس الكفر أمية بن خلف.. لا نجوت إن نجاء، فأخذت ابحث عن أمية بن خلف لا مباليا لكنني وجدت مرآة تنبسط أمامي فقرأت مكتوبا علي جبهتي أمية بن خلف.. أيس من رحمة الله، فرحت أنساءل من كتبها،

وانتويت إبلاغ مباحث أمن الدولة كي تقبض علي الفاعل .. فلا ريب أنه إرهابي، لكن محمد نوار يتجه نحوي مصرا علي قتلي فأهرب وأنا من الرعب في غاية، وأجدني فجأة في جراح للسيارات فأكمن بينها فتمتد يد جسد لا أراه تعطيني رحما ويهتف بي الصوت:

هيا يا وحشي .. إن نجحت سأبقيك رئيسا لمجلس إدارة الأنباء.

ووجدت أمامي إبراهيم شكري قطعته وأخذت ألك كبده وأحاول ابتلاع الدم فلا أقدر فأصرخ وأصيح، وثمة صوت يهمس متحديا لو وصل دمه إلي جوفك لحرم جسدك علي النار وأحاول في يأس جوني لكنني أصحو وأتقلب في فراشي هاتفا: ما أبشع الأحلام.

ودق جرس التليفون ليسألني مستفيد فوري في هلع ماذا تنوي أن تفعل، وعندما قلت له أنني لم أقرر بعد ظني أخفي عنه أمرني فناشدني أن نترابط كما كنا فذلك سبيل نجاتنا، وتأوه في نواح متسائلا هل سمعت القرارات الجديدة؟ فقلت ساخرا بل كنت احلم أحلاما سعيدة، فواصل: كأن لم أرد. إلغاء .. إطلاق .. إعادة. وتشكيت متأوها: هذا ما خشيت منه، فواصل: وقد أعلنت دول إسلامية عديدة انضمامها لتشكيل القوة تحت قيادة الشاذلي. وقلت له إما أنني مخمور أو أنت مخمور فدعني أنام.

ووجدتني أجري مع آخرين وأهت وأنا من الرعب في رعب، فنخوض المستنقعات والأحراش والغابات ويصيح صوت أن الطائرة الأخيرة ستقلع من علي سطح السفارة الأمريكية فنجري ونلهث، وأحاول أن أطير فلا أستطيع وأتساءل في إعياء عن السبب وأقول لنمسي لا بد أن المخربين أفسدوا الجهاز، ووجدت خيرت فظاظة يسبقني فسألته مندهشا كيف تسبقني في الجري وقد كنت تمشي بصعوبة؟ فيجيب ببساطة أنا لا أجري لكنني أتدحرج، فأساله ماذا يحدث،

فىجىب انتصر الفىتنامىون وانهمز الأمريكىون ولا بد أن نذكر الطائرة الأخرىة فأجىبه مندهشاً لكن الحرب انتهت منذ عشرين عاماً.. وىتدخل سمىر فى الحوار هاتفا لىس الفىتنامىون بل العرب.. فصرخت ومن انهزم؟ فأجاب الإسرائىلىون.. فبلغ بى العجب منتهاه.. وواصل هو: آخر طائرة ستقلع من على سطح السفارة الأمريكية فى تل أىب. وقلت لسمىر وخىرت لعلنا نحلّم فقلاً بصوت و حد: یا أحمق بل ما كان هو الحلم وتلك هى الحقىقة، ورأىت الطائرة من بعىد يقفز إلیها آخر یهودى، فتدور مرأوحها متأهبة للانطلاق فأضعف سرعتى حتى أص و أقفز من باب فى بطن الطائرة، ىتبعنى سمىر لكن خىرت ىتعثر فتطىر الطائرة وهو متعلق بىدیه فى حافة الباب وجسده ىتدلى، فأصرخ فى مضىفة الطائرة: توقفى لأن خىرت معلق فى الباب وسىسقط، فتنظر إلی مترأصة فأكتشف أنها سوزى، وىغلق الباب على أصابع خىرت فتنبتر دون انبثاق دم فىشملى الرعب، لكن سمىر ىهمس لى لا تخف .. عن طرىق الهندسة الوراثىة سوف ىصنعون من إصبعة المبتور خىرت أخر. وىشیر إلی مقدمة الطائرة فانظر حىث ىشیر فأرى موسى صبرى فأهمس له فى رعب: ألم ىمت موسى صبرى فىقول لى بل صنعوا منه نسخة أخرى، وأنكمش فى مكانى فىصىح قائد الطائرة فى صوت هائل: من هذان؟.

وأنطق فى همس: نحن أولىاؤكم.. فىصرخ قائد الطائرة « ضعوها فى الـ(....) وقال كلمة أجنبىة لم افهمها فسألت سمىر عن معنى الكلمة، فقال أنها لغة أمريكىة دارجة تعنى صفىحة الزباله.. فأخذت ألهث حتى صحت من الكرب فى كرب فقفزت من السرىر خوفا من استمرار الحلم.. وأخذت ألعن الأحلام والكوابىس والرؤى..

الساعة تدق الثامنة، على أن أفكر كما لم أفكر أبدا.. على أن أفكر وحدى وهذا ما لم أعتده فقد كان ىوجد دائماً من ىفكر لى.. وعلى أن انخذ القرار وهذا شىء لم أتدرب

عليه فقد كنت دائما أنفذ قرارا.. لكن علي أي حال يجب أن أفكر الآن وأقرر.. لن يكون الأمر صعبا يا أبراهام فقد تدربت طويلا..

وقضيت عمرا بأكمله.. تفتح عينيك.. وتراقب.. وتتعلم

قلت للمفوض:

أما من حل آخر.

فرد في ضيق:

لقد طرحنا كل الوسائل الأخرى، وكلها إما مستحيلة وإما محفوفة بالمخاطر.

ثم واصل في عجلة:

إن كنت موافقا فسوف نبدأ السير بعد ساعة، منتصف الليل تماما.

وقلت في تبرم:

وهل لدي مجال للاختيار؟

إذن فلا تنس قط استعمال جهاز تأمين المكالمات عند إجراء أي حديث من القصر

أو من السيارة، ولا تنس أن الاتصال ممنوع بعد شرم الشيخ.

كيف جرؤ إبراهيم شكري؟ وكيف استطاع...؟؟!!

ويوجه الإنذار إلي كل السفارات الغربية بعدم قبول لاجئين سياسيين، ألا

يكرروا ما فعلته السفارة الفرنسية في بيروت.. وإلا تكرر ما حدث للسفارة

الأمريكية في طهران.

كيف جرؤ؟ وكيف استطاع؟، نحن... نهدد السفارات الغربية وننذرها؟!!

قلت لنفسني (لعله) (تهويش) سرعان ما سندفع ثمنه بنكسة، لكن المفوض أكد

لي أن قوات أمن تراقب السفارات الغربية من مواقع يمكنها التحول منها فورا إلي

حصار.

أبدأ في جمع الثمين من أشياءي، كنت قد قلت للمفوض إنني أخشي علي أسرتي، وإنني أفضل هروبا عن طريق البحر حتى يمكنني اصطحابهم من مارينا العلمين، لكنه طمأنني أن نظاما يرأسه إبراهيم شكري لن يسئ معاملتهم، قد يحتجزهم قليلا من أجل أرصدته وحساباته لكن هذا أمر يمكن التعامل معه عن طريق الضغوط فيما بعد.

أنا صدقته يا عادل!! اندهش كما شئت لكنني صدقته، لأنني في أعماقي الخبيثة أعلم كم أنكم شرفاء، وأنه لا خوف البتة من طغيان هواكم إذا حكمتهم، أجل أعرف أنكم إذا حكمتهم فستحكمون بالعدل، لكن هذا بالضبط جوهر ما أرفضه.

هل تعرف أن خطأك الرئيسي هو أنك صدقت ما نقول، ووقعت في التناقض دون أن تدرك أن منطقتك فقد انسجامه وتوازنه عندما أمنت ببعض ما نقول وأنكرت بعضه، دعني بيني وبين نفسي أقول لك الحقيقة، أقولها حين أثق أن لن يسمعها سواي، أقولها لأنه ما من احد - حتى ولو كان مثلي - لا يتوق - ولو للحظة - أن ينطق بحقيقة تعطيه شيئا من احترام النفس وتقدير الذات، ينطق بها لعلها ترفعه عن الشيطان درجة، وبالرغم من ذلك فلقد رميت كبد الحقيقة حين وصفتنا أننا لا ننطق إلا كذبا ولا نفعل إلا شرا، حسنا وقد أصبت، فلماذا لم تواصل؟! لماذا كان عليك أن تعذب نفسك كل هذا العذاب وأنت تلقمنا الحجة تلو الحجة، أم ظننتها الدولة حقا وحسبتها الديمقراطية صدقا، لا يا عادل، بل ضحكنا عليكم، خدعناكم وغررنا بكم، ولم تكن الدولة ولا الحق ولا الديمقراطية ولا الصدق، وإنما كنا نحن القراصنة الذين هبطنا عليكم وقطاع الطرق الذين أتينا إليكم، وكنا من غلب فحق لنا الملك، ومن عزب، أجل يا عادل تلك هي الحقيقة التي خدعت نفسك عنها حين بدأت بأننا كذابون لكنك ما لبثت أنت بنفسك أن تورطت في تصديق كذبتنا، فظننت أنها دولة، وأنها حرة، غير مدرك أننا في هذا أيضا

نكذب، فلو أنك فهمت ذلك، هل كنت تدهش بعد ذلك لما يحدث لو أنك تفهم دون موارد ودون ستار ودون عناء أننا نحكم لا لأننا نمثل الأمة ولا لأننا وصلنا عن طريق الانتخاب ولا عن طريق حق طبيعي أو وراثي أو إلهي، بل لأننا نملك القوة التي لا يمكن لكم أن تشكلوا لها تهديدا ولا تحديا، وليست قوة المنطق ما نملك، بل قوة النار والحديد ومئات آلاف الجنود رهن إشارتنا نحركهم كما نشاء نجمعهم بهم ونسفك دمكم ونسفع عرضكم ونهتك ستركم ومئات من السجون المتباعدة ومئات وآلاف من الصحفيين في عشرات ومئات من الصحف.

ذلك كله معروف، بديهي، يعرفه الرجل العادي الذي لا يقرأ كتباً ضخمة عن نظريات صعبة لمؤلفين أجانب، لكنكم أنتم تتجاهلونه لمجرد أننا لم نعترف به علي الملأ، لكن يا عادل هل كل ما يعرف يكتب، وهل كل ما يكتب يقال؟! أم تنتظر مني أن آتي إليك لأعترف: أنا الإرهابي الأكبر واللص الأول والمهرب والمزور والمعذب والكاذب والخادع والمدلس، هل تنتظرون ذلك منا حقاً، يا للحماقة، هل سمعتم قبل ذلك عن قرصان تقدم بنفسه إلى العدالة كي يقتص منه، وهل تتخيل يا عادل ولو للحظة أنني كقاطع طريق يمكن أن أستجيب لنداء لك أو كتاب منك؟! هل رأيت قرصانا يسمح بتداول السلطة إلا من خلال الموت؟!، أم سمعت عن قاطع طريق يجري حواراً ديمقراطياً مع ضحيته?!.

اجل تلك هي الحقيقة العارية الفادحة، وليس أمامكم من سبيل إلا الرضوخ لها والموافقة عليها، ومن يأبى فالسيف أولي به.

قبل قبلة الرئيس كنت أمل ألا يدفعن أحداً ذلك إلي حماقة المقاومة، ذلك أن فكرة الدولة - القرصان - قاطع الطريق - قد استفادت من كل خبرات السابقين، ثم أنها حازت تأييد الغرب لتصبح نمط الحكم في العالم الثالث جلّه، لتصبح قوة أسطورية مركزية إلي جوار ضعف وتشتت قوي الرعاع الحمقاء العمياء التي تفتقد

زعيماً. قوة لا أمل في مجرد مواجهتها بله الانتصار عليها.

الآن بعد أن فجر الرئيس قنبلته يهتز يقيني يا عادل.

أنتفض فجأة علي رنين ملحاح للتليفون فأحوله بسرعة إلي جهاز الرد الآلي  
لأسمع صوت عبد الستار طويلة والجهاز يصرفه، وليس هذا وقتك يا عبد الستار،  
إنما كنت مفيدا لنا كي نبرهن بك علي فشل اليسار، وأن من ثاب إلي رشده منهم -  
كأنت - لم ينضم إلي صفوف الرعاع الذين كان يدافع عنهم، بل إلي صفوفنا نحن في  
مواجهة الرعاع مبرهنا علي صدق رؤانا منذ البداية، إلي صفوف الإمبرياليين  
الاستعماريين عبيد الأمريكان وكل الأسماء البغيضة الصعبة المضحكة التي أطلقوها  
علينا ذات يوم، أما الآخرين، الذين لم يثوبوا ولم يتوبوا فلا خطر منهم البتة بعد أن  
أنهار ربهم بغتة وتساقطت رؤاهم ففقدوا التوازن والاتزان، فأصبحت أمريكا  
أقرب إليهم منكم يا عادل، فانضموا إلي رجالها ليؤلبوها عليكم، لكنهم منافقون إذ  
يفعلون ذلك، وسرعان ما سيكتشفون أنهم في المكان الخطأ ليعودوا إليكم مدركين  
أن لواء التمرد والثورة كان دائما في أيديكم. وعندما يفعلون ذلك لا تركنوا إليهم  
ولا تثقوا فيهم، فمعظمهم يا عادل مرضي وليسوا فلاسفة، شر أيامهم خواتيمها،  
كأحمد عرابي، ومحمد عبده، لو أن كليهما استشهد أو حتى مات أثناء الغزو لما شاب  
اكتمال حياتهم نقصان، ما أقسي أن تموت قضيتك، تنتهي لتظل أنت بعدها حيا بلا  
قضية، ما أقسي أن يتحول البطل إلي مهرج والمناضل إلي بهلوان، والسيد إلي عبد  
والمثل إلي أمثلة. لذلك حرصت دائما يا عادل ألا تكون لي من البداية قضية.

أواصل جمع أشياءي، ما خف وغلا، يا إلهي! ما اشد ما تختلف قيمة الأشياء  
باختلاف مراحل العمر! لو أنني تعرضت لنفس هذا الموقف في كل مرحلة من  
مراحل عمري لاختلف تقييمي لقيمة ما يخف وما يغلو، في العاشرة ربما كان أكثر  
ما أحرص عليه دراجة أو لعبة، في العشرين ربما صورة معشوقة، في الثلاثين نقود

وفي الأربعين سبائك ذهب، وفي الخمسين حبات من الماس، أما الآن فما يخف ويغلو ليس أيا من ذلك، بل مجموعة من المستندات والأدلة والوثائق تسجل بكل دقة حجم انحراف كل مسئول وعلاقته بالداخل والخارج، ليس انحرافات مستولي الوطن فقط، بل وأوطان الأشقاء والأصدقاء أيضا، قد تساوي معلومة منها كنوز الدنيا.

تري لو قبض لي أن أعيش ستين عاما أخرى.. وتعرضت لنفس الموقف تري ما يخف أيامها وما يغلو؟

عشرة أعوام فقط تجعل الكبير صغير 'والقليل كثيرا، وتلك احدي وسائل الزمن الميئة في الخداع، إذ ما أن تقبض علي شيء، ما أن تظن أنك وصلت، حتى تدرك أنك تقبض علي الخواء وقبض الريح، لكن ما أقصر العمر؟، ها هو ذا الزمان يدور دورته فيعود كما بدأ، كيف مضي كل هذا العمر وفيم؟ وليس ثمة جواب، لكن غبارا من الشك يشع دمارا، فينطق الصمت أن كل شيء باطل، وأن كل نعيم زائل، لكن الوقت ليس وقت هذه التساؤلات يا أبراهام، فلو فقدت أثر القافلة لضع.

ألا نوقظ السائق؟.

لا، جولة قصيرة حرة.

ولعله ظن في البداية أنها نزوة طارئة حلت فلم أستطع الفكاك من إلحاحها، لكنه ما لبث أن اكتنفه الشك عندما رأي الحقيقة:

والحقيقية؟

ضعها في السيارة.

الشبح أم ال B.M.W أم الفولفو؟

ثم أردف:

أم تفضل سيارة صغيرة؟

واستدرك:

أم الجيب؟

وأجبت:

بل الشبح.

انسل منك يا قاهرة تحت جناح الظلام لأهرب كمجرم، أنت في النهار غابة لضواري الوحوش، وفي الليل بغي، وقد لفظتيني منذ زمان طويل، كما يلفظ الصدا الحديد، حاصر تيني، كما يحاصر جسد المجذور بثور الصديد، وما عدت أفهمك وما عدت تفهميني، وربما لو أعطيتني ملء كفيك حبا وفهما وحنانا لفهمتك، لكنك ما أعطيتني سوي الاحتقار، والمهانة والكرهية والاشمئزاز وإفراطا في الاشمئزاز، تركتني أنهب منك ما أريد وأنال ما أطلب دون حتى محاولة للمقاومة سوي نظرة احتقار هائلة يقابلني بها من يعرفني ومن لا يعرفني، لم إذن كل هذا الحرص علي إخفاء ما أفعل، هل كان يزيد احتقارهم لو علموا حقيقة ما فعلت؟ لكنني لم أكن سوي بثرة الصديد ولم أكن الجرثومة ولا المرض.

لماذا فعلت بنا ذلك يا مبارك؟!

في السويغات القليلة الماضية أصبحت الصورة أمامي أوضح، لكنها كلما ازدادت وضوحا ازددت عماء، كنور الشمس لناظر إليه، لم ينفعني الأصدقاء كثيرا، هاتفتم الإبراهيمين نافع وسعدة هاتفتم أيضا السفارتين، لم يرد علي أسامه الباز لكن مصطفى الفقير رد، وكان غاضبا ولو كان الظرف غير الظرف لانتشيت، وقال غاضبا: ماذا تريد بعد أن نجحت وشايتك في استبعادني؟، فقلت له: لكنك تستحقها بعد أن راج قولك أنني أخطر علي الرئيس من كل رجال المعارضة، ثم إنني لست السبب بل السفير، فتساءل في ضيق فماذا تريد الآن؟ فأجبت: أن أفهم ما

يحدث. فأجاب: لن تفهم وإن جهدت.

لا شيء حتى الآن واضح، لم يصرح هو بشيء ولا المحيطون به، كل ما يتردد توقع، لا دليل عليه، لا يستمد تأكيده إلا من سريانه كشائعة، وقد قيل ضمن ما قيل، أن جنين الأمر قد وجد قبل الزلزال، حين لوحظ كثرة الشرود لثقل الهم، لكن ثقة قال: أن هاتفًا هتف به - وفي رواية أخرى مسئولًا قال له - في الطائرة أثناء العودة: أن الزلزال كان أشد بكثير مما ظن، وأن الخسائر أفدح، وأن البلاد بدونها مرتبكة، والحكومة عاجزة، كأطفال ألم بهم الخطب والأب غائب، أو عواجز عدا العداة عليهم والرجال سراة، وأنه إزاء هذا قد لا يجدون في انتظارهم أحدا، حتى ولا الحرس، ويؤكد رواة الشائعات، التي لا تستمد حياتها إلا من انعدام دونها، أنه تتم: إن كنت أخشي لقاء الناس دون حرس فكيف ألقى الله، ويؤكد مؤكد أن قرار تعيين إبراهيم شكري رئيسًا للوزراء اتخذ في تلك اللحظة.

يقال أيضا أنه غضب أشد الغضب، حين دفع الحماس صحفيا، فتجاوز كل حد، حين طالب بحقنا في التصويت في انتخابات الرئيس الأمريكي، وأن غضب سيادته لم يقتصر علي إحساسه بتجاوز هذا الصحفي تجاه هيئة الرئاسة، ولا حتى كرامة الوطن، بل عن مسئوليته هو في الوصول بالأمر إلي هذا الحد.

يردد ثقة آخرون أن الأمر بدأ منذ زمان أطول، وأنه فكر فيه كرد علي اختطاف الأمريكيين للطائرة المصرية، فيرد عليهم البعض بل تبلورت الفكرة بعد طوفان سيدي عبد القادر وحادثة الباخرة سالم اكسبريس، ثم ظهور علامات علي قرب انفجار البراكين في صدور الناس، حين أخذ الناس يقتلون الضباط والجنود، والضباط والجنود يقتلون الناس، عندئذ انزعج، وأدرك أن الأمر ليس مجرد ظواهر عابرة، بل مقدمة لخطر جليل، وأن الزلزال عندما جاء بعد ذلك، قد جاء ليهز نفسا لوامة تبخع نفسها، حين قال لنفسه، إذا كانت الإشارات الأولى من الناس،

فالأمارات الأخيرة من القدر، إنذار وتهديد ووعيد، وأنه إزاء ذلك كله لم يجد مناصاً من تكليف إبراهيم شكري برئاسة الوزراء.

## السويس ٤٦ كيلومترا

تبدولي من بعيد سيارة شبوح فتمنحني الأمان والأنس.

مرة أخرى يوسف والي ويحيي حسن، لكن يوسف هو الذي يقود هذه المرة، ذهب البعض إلى أن من أسباب تفجير الرئيس مبارك لقبته، وتكليفه لإبراهيم شكري بتشكيل الوزارة بعض ما اكتشف عن بعض الوزراء، ولا ينسي أحد فضيحة الوزير الذي اضطرت السلطات إلى الاستيلاء على أوراق مكتبه قبل إقالته، وقد ذهبت الشائعات أن ما وجدوه في هذه الأوراق كان فضيحة، لا لأنها تدين الوزير، بل لما وجدوه فيها من فضائح للآخرين كان الوزير يبتزهم بها، يهددهم ويخيفهم ويستصدر منهم القرارات والموافقات.

لماذا نسيت أن أهني فاروق حسني بالزلزال، فقد أنقذه من حساب عسير.

يقال - ضمن ما يقال - أن موقف يوسف والي كان من ضمن دوافع الرئيس، فقد أدخلوا في روعه قبل ذلك أن السودان يهدد أمن مصر، كما يهدد السد العالي، فرد الرئيس بتصريحات خطيرة حازمة يهدد فيها السودان والعراق، ثم عاد الرئيس بعد أن استوثق من الأمر واستيقن ليصرح بأنه اكتشف خطأ ما قيل، وأن السودان لم يهدد أبدا السد العالي، لكن يوسف والي - بعد اجتماع مع الوزير الإسرائيلي - خرج ليكذب تصريحات الرئيس وتأكيداته، مقررًا أن السودان، خلفها إيران - وليس العراق هذه المرة - تهدد مصر والسد العالي.

يقال أن الرئيس في تلك الليلة لم ينام، وإنه كطيار قديم، دوي في أذنيه دوي الخطر، وأضاءت في أعماقه إشارة التحذير، وأنه أدرك ما يحاك، وفهم ما يدبر، وأنه في تلك الليلة بدا حزينا حزنين مجروحا مرتين، مرة لاكتشاف المكيدة، ومرة أخرى

لاكتشافه أنها مكررة، وأن المكائد هي ذات المكائد، وحسب مقتضي الحال توضع السودان مكان ليبيا، وإيران مكان العراق، لم يعودوا حتى يغيروا فيها، كأن تصديقه لهم أمر مفروغ منه، لا شك فيه، وان ذلك أذي - بعد مشاعره الوطنية التي لا شك فيها - ذكاه فبدا عليه الغضب والحزم والتصميم، ولم يكلم أحدا حتى أصدر قراره الأخير بإسناد تشكيل الوزارة إلي إبراهيم شكري. ويدعي البعض أن تقريرا خطيرا أعدته هيئة خطيرة كان قد رفع إلي الرئيس، يؤكد أن مستقبل المنطقة إلي خراب وضياح، وأن الحادث في البوسنة والمهرست. كالحادث في الصومال كالحادث في فلسطين ليست جميعها إلا انعكاسات صورة مستقبلنا علي صفحة الحاضر، إن لم يتدارك الأمر.

قيل أيضا إنه استشاط غضبا من طريقة تناول وسائل الإعلام عندنا لقضية تسليح الجيش الإيراني، عن استيراده للتكنولوجيا والغواصات، وأنه وبخ المسئولون بمرارة موجعة، إن ما يحدث بصراحة هو منتهي الوقاحة، إذ كيف طاقت ضمائرهم أن يشنوا هذه الحملة كلها علي إيران، لأنها تسليح نفسها بطريقة قد تؤدي في النهاية إلي امتلاكها لسلاح نووي، بينما إسرائيل في الجوار تملك علي وجه الفعل والقطع واليقين مئات من الأسلحة النووية، ويقال - والعهد علي الرواة - إن صوت الرئيس وهم يوبخهم كان عاليا جدا علي خلاف العادة، حتى أن القاضي والداني قد سمعوه وهو يصرخ فيهم:

إذا كنتم قد فقدتم الضمير والأخلاق فهل فقدتم العقل أيضا؟.

يقول آخرون - يدعون دائما علمهم باجهر وما يخفي - أن الأمر أقدم من هذا بكثير، وأنه قاوم كثيرا في البدايات تعيينه نائبا للرئيس، فقد كان يتمني علي الله أن تكون آخر أعماله في الحياة الدنيا حرب أكتوبر، وأنه دخل هذا الطريق دون رضاه، واستمر فيه دون هواه، لذلك يصرح كل آن وأخر، أن مدة واحدة للرئاسة تكفي،

ثم إنه لا يمكن أن يجدد بعد المدة الثانية.

يدلل هؤلاء علي صدق مقولتهم بإعجاب سيادته الشديد بمعاوية الثاني - حفيد معاوية وابن يزيد - حين استدعوه للخلافة بعد موت أبيه فقام للناس خطيباً : ( يا أيها الناس: إن جدي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحق به منه لقرابته من رسول الله - صلي الله عليه وسلم - وهو علي ابن أبي طالب، وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته فصار في قبره رهينا بذنوبه أسيرا بخطاياها. ثم قلد أبي الأمر فكان غير أهل لذلك وركب هواه وأخلفه الأمل وقصر عنه الأجل وصار في قبره رهينا بذنوبه وأسيرا بجرمه، وإن من أسوأ الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه وقد قتل عترة رسول الله - صلي الله عليه وسلم - وأباح الحرم وضرب الكعبة، وما أنا بالمتقلد ولا بالمحتمل تبعاتكم فشأنكم وأمركم. )

ولقد أكد المؤكدون أن سيادته طالما ردد الرواية وكرر الحكاية بعد أن يقرر أن الكفن لا جيوب له، كما ذكر أن سيادته كان لا يفتأ يردد هذه القصة ثم يردف:

قال معاوية الثاني ذلك ثم دخل إلي بيته.... ومات! فأبي ميتة يتمناها المرء لنفسه. بسرعة ١٤٠ كيلو مترا في الساعة أسير، بقدر ما أخشي الموت وأرهبه أريده وأرغبه، السويس ٢٦ كيلو مترا، وبدت فجأة من بعيد إشارات ضوء فهدأت من سرعتي لأكتشف أنها ثلة من الجنود فينخلع من الرعب قلبي.... ومتاريسهم التي تسد الطريق ترغمني علي الوقوف.

هل حان وقت الاعتقال يا إبراهيم شكري؟، تركني رجالك أتخبط طول اليوم كفأر ليقضوا الآن علي متلبسا بها أحمل، وقلت لكي أطمئن نفسي لعلها دورية مرور لكنني لم ألبث حتى تذكرت أنه لم يحدث من قبل قط أن أوقفت دورية مرور شبحا.

الرخص يا باشا.

وناولته إياها.

الكاتب الكبير أبراهام أبو سعدة شخصيا يقود سيارته!!.

أجل، لكن لماذا نبرة السخرية يا ابن الرعاع.

نحن آسفون يا باشا، لم نتعود تفتيش سيارات الشبح من قبل، لكنني لاحظت أن أكثر من خمسمائة سيارة شبح قد مرت بنا في أقل من ثلاث ساعات، بعضنا لم ير الشبح قبل ذلك قط.

أعطاني الرخص وهو يواصل الحديث لمن حوله في الخارج:

ماذا يحدث في الدنيا، خمسمائة سيارة؟!.

وأطلق ضحكة ساخرة كضحكة سوزي، إنه يقسم بشرفه ولو أقسم بشرفي أنا لكان الرجاء اقرب.

## الكيلو ١٠١

ألمح شبحا أخري بدت في المرآة العاكسة كما لو كانت طبقا طائرا ينحدر من السماء، ورغم السرعة الفائقة فقد رأيت أنيس منصور، وقلت لنفسي مهما كان نوع الغربة التي ستفرض علي فإن أنيس في الغربة وطن.

ماذا ستفعل يا إبراهيم شكري وإلي أي حد ستتمكن أو يتمكنون من إخفاء الحقيقة عنك، من خداعك.

لكنني قلق بصفة خاصة علي ما يحدث في الصعيد، خطتنا التي نعد لها بالدأب كله والصبر كله منذ عشرات الأعوام، كاريكاتور من هنا ونكتة من هناك وتحقيقات صحفية حول ما لم يحدث أو إهمال ما حدث فعلا.. ثم حفل الافتتاح الأعظم باعتقال كل أهل قرية الكوم الأخضر وتعذيبهم وهتك أعراضهم داخل معسكر للأمن، كان هذا هو المطلوب تماما تماما، كانت إحدي حلقات خطة جهنمية أخشي أن تكتشف، ما حدث وما يحدث وما سيحدث ليس إرهابا من المتطرفين كما ادعينا، ولا إجراما من السلطة كما ادعوا، إنما كانت خطة من أعظم خططنا لبث الفرقة

وإشعال نار الفتنة، ليست الفتنة الطائفية فهم محصنون ضدها لطول المعاشرة، ولا فتنة سياسية فهم أشد بؤسا من أن يشغلهم ترف السياسة عن قوت يومهم، ليس ذلك ما قصدنا، إنما ضربنا ضربتنا حيث تعطي تأثيرها الأقصى باستفزاز العناصر التي لا يغفرها جنوبي، صعيدي الدم والعرض والكرامة، ولقد نجحنا حتى الآن نجاحا مبينا لا في زرع الثأر بين الجنوبيين والسلطة فقط بل في وأد كل محاولة لنزع الفتيل المنفجر بينهم وبين رجال الشرطة الممثلين للسلطة. كانت هذه الخطوات الأولى لمرحلة هائلة تبدأ بتقسيم العراق ثم السودان ثم ليبيا ثم السعودية ثم الجزائر وأخيرا مصر، حين تنفصل الصعيد لتشكل دولة تفصلها عن السودان دولة أخرى هي دولة النوبة.

ولقد أسفر مكرنا عن دفع السلطة للصعيد كما يدفع ثور إلي داخل معرض للخزف، ويتحدث الحمقى قصار النظر عما تحطم من خزف دون أن يدرك أحد منهم أن الأمر في معظم الأحوال ينتهي بذبح الثور نفسه.

هل يمكن أن يكون الرئيس مبارك قد اكتشف تلك الخطة، يقال إنه لاعب شطرنج ماهر، اللاعب الغبي يرد علي لعبة خصمه، المبتدئ يفكر في خطوته التالية، المتوسط يفكر في خطوات ثلاث أو أربع قادمة، العبقري يفكر منذ البداية وفي ذهنه تخيل شامل للنهاية، حتى قيل أن بعضهم يلعب وهو يعرف تفاصيل النقلات العشرين القادمة.

هل أدرك الرئيس مبارك سر ما يحدث في الصعيد، أننا المحركون له والمشعلون لناره، وهل أدرك أيضا أن إبراهيم شكري هو خير من يطفى هذه النار؟! فلقد كانت فكرتنا منذ البداية تتمثل تلك الحكمة الفذة (أن البساطة عملية عبقرية بالغة التعقيد). كانت البساطة في هذا الصدد أنك إن كنت تريد أن تخلق طوفانا يغرق ويدمر فلن تستطيع ذلك إلا بأن تسد الطريق الرئيسي للنهر، - المجري الطبيعي - عند ذاك يحدث

الطوفان، وهذا بالضبط ما طبقناه لخلق الإرهاب والجماعات المتطرفة.  
لكن هل استطاع الرئيس أن يدرك ذلك؟ كيف؟ وإلا فلم اختار هذه الطريقة  
بالذات للرد علينا، يشاع أن إبراهيم شكري قد صرح أكثر من مرة، أنه لو أن شيخ  
الأزهر عارض الرئيس ولو مرة واحدة، ولو أن المفتي قضي ببطلان قرار رئاسي  
واحد، لما وجد في بلادنا علي الإطلاق تطرف.

وأنا أعبر نفق أحمد حمدي ملأني الرعب، وفكرة القصاص الإلهي.. الذي تمثلها  
الرئيس مبارك تشغل علي وجداني. لا أستطيع التخلص من فكرة احتمال انهيار  
النفق علينا.

صدي الأصوات في الأنبوب الطويل ذو وقع رهيب. كان صف طويل من  
السيارات يعبر، صف بدا بلا نهاية، في الصف كان أكبر تجمع لسيارات الشبح  
شاهدته في حياتي.. لكن الصف يتحرك ببطء، تهاجمني الهواجس حين أذكر كم  
دافعت عن هذا النفق رغم كل ما علمته.. والصف يتحرك ببطء وأنا في المنتصف لا  
أستطيع التقدم ولا التراجع.. والصف يتحرك ببطء هل يكون القصاص من جنس  
العمل؟ وهل يغرق كل راكبي الشبح في مصر مع انهيار النفق؟! والصف يتحرك ببطء.  
وثمة بصيص من التاريخ يترأى لي فأري بعين الخيال فرعون يغرق، فكأنني هو..  
والصف يتحرك ببطء. وأنا أختنق.. لكن الصف يتحرك ببطء، فسألت نفسي: هل  
تموتين الآن؟ ثم تساءلت عن دور الإرادة الإنسانية ثم عن دور المقادير في صياغة  
مصائرنا.. وكان الصف ما يزال يتحرك ببطء وأنا أسائل نفسي وأردد:

إذا المرء لم يخلق سعيدا من الأزل

فقد خاب من ربي وخاب المؤمل

فموسي الذي رباه جبريل كافر

وموسي الذي رباه فرعون مرسل

اللهم يا عظيم يا علي يا مهندس الكون الأعظم، يا من وسع كرسيه السموات والأرض، يا عليما بما نخفي ونعلن، اهديني الصراط المستقيم، وأعني بقوتك في جميع أعمالي التي تفتح باسمك الأعظم، وتراعي بعين رعايتك وتحتتم بالشكر منا لك علي نعمك التي لا يحصيها محص ولا يعدها عاد.

ما إن انتهت ترنيمتي حتى كان جرس التليفون يدق.

كانت آدا أهاروني تطلبني من تل أبيب.

أبراهام.. كيف حالك؟

أحاول أن أتشبث بفرصتي في السعادة بكل ما أوتيت من قوة، فما عدا ذلك هباء وقبض ريح.

غمغمت في امتنان ممزوج بالحنج لإشارتي إلي روايتها (الخروج الثاني) لكنها سرعان ما واصلت الحديث:

أنا قلقة جدا عليك.

ستطمئنين أقرب مما تظنين يا شاعرة السلام.

هل تتحدث من السيارة؟.

نعم.

يجب أن تغادر.

إلي أين؟.

إلي هنا. إسرائيل.

كدت أصرح لها بأنني فعلا في الطريق إليها، لكنني تذكرت تحذير المفوض فقلت

معابثا:

- أخشي أن يكون خروجي هو الخروج الثالث، كما أخشي أن أفقد طريقي في

سيناء فأسقط في التيه، لم يبق في العمر أربعون عاما أتوه فيها حتى أصل.  
لا تمزح في هذا الظرف أرجوك، فأنا قلقة فعلا عليك.  
وقلت لها دون صوت: أنا لا امزح بل أبكي، لكنني واصلت بصوت:  
هل تسامحيني إذن؟! .  
أسامحك!... علي ماذا؟.

لأنني لن أستطيع الوفاء بوعدتي لك بإعادة نوادي المكابي إلى مصر.  
سأعترف لك هذه المرة بأنني صدقتك عندما قلت علي لسان أبطالك أن  
أجدادكم هم الذين بنوا الأهرام، لأننا نحن عاجزون فاشلون لا نصلح لشيء ولا  
نقدر علي فعل شيء ولا بد أن أجدادنا كانوا كذلك، ورحت أردد قصيدة من ديوان  
(من الأهرام إلي جبل الكرمل). ( أنا أت إلي الأرض الجميلة حيث انبار وراؤول يا  
ادا، أت إليكم لأنني لم أجد في العالم مكانا آخر أذهب إليه لأعيش ولكنني كنت  
سأعيش في أمان. كان يمكن أن أذهب إلي أمريكا أو بريطانيا أو فرنسا أو ألمانيا،  
لكنني كنت سأعيش هناك في خوف لا يقطع ورعب لا يرفع، كسلمان رشدي، ولا  
توجد في العالم قوة قادرة علي حمايتي إلا إسرائيل. منها يخاف العرب ويرتجفون، من  
قال إن العرب جرب، أنيس منصور أم محمود التهامي أم أنور السادات.

الغرب سيد العالم وإسرائيل سيدة الغرب، لا يستطيع الفكاك منها ولا التوجه  
دونها، كأسطورة الجني العجوز الذي خدع شابا فطلب منه أن يساعده في الانتقال  
من مكان إلي آخر، وانخدع الشاب في مظهر العجوز الضعيف وأشفق عليه فحمله  
علي كتفيه ، لكن العجوز بمجرد أن تمكن من جلسته أظهر حقيقته وأعلن خبيثته،  
وصارح الشاب أنه جني وأنه لن يتركه أبدا، وحاول الشاب أن يتمرد لكن ساقني  
العجوز الملتفتين حول عنقه كادتا تخنقانه فاستسلم.

'العالم كله استسلم يا عادل فهل تريد منا نحن أن نقاوم؟! مهما قاومنا

سينتصرون، سيحكمون العالم.

أدير المذيع علي إذاعة القاهرة.

حديث مع عادل حسين، ويجيئي عبر الأثير صوته الكريه:

( إن إسرائيل هي البداية والنهاية لأبنائها، نظام سياسي مجرم يحركه مجرمون  
أشرار قتلة، محكوم عليهم حتما بالانتهاء، وعلي الحلم العربي أن ينقذ نفسه من براثن  
اليأس والعجز، وأن يتجاوز ذلك ليستشرف عالم ما بعد زوال إسرائيل).

سأخرج، سأتركها لأنها لا تتسع لكلينا، لكنني سأعود سريعا، وعندما أعود،  
أيضا لن تتسع لكلينا.

أدير المؤشر كي أبتعد عن اربداد صوته، ويأتي الصوت من محطة القران كأنه  
موجه لي: ( اخرج منها مذءوما مدحورا).

ذراتني فمذأتني فما حيلتي؟ رغما عن اتهامات تصمني دائما بالكفر فاني أو من  
بك، لكنه ليس إيمان الغوغاء الأبله والمتحجر، حيث الإيمان ليس إلا مشوى لبؤس  
الناس، مجرد رداء للحاكم وعزاء للرعية، لكن لتكن أكثر صراحة مع نفسك يا  
أبراهام ولتعترف بأنه حتى إيمانك لا يخلو من انتهازية الاحتمال بإمكانية وجوده،  
واحتمال وجود الجنة والنار يدفعكما لقول الكلمة، إلي النطق بها، أشهد أن لا اله إلا  
الله وأن محمدا رسول الله، حقت لي بها عليك جنتك. من الحلق تقولها يا أبراهام أما  
من القلب فكلا. من القلب لا حق إلا القوة ولا خير إلا المتعة، ولا شر إلا انتفاء  
القوة والمتعة.

ذلك يا عادل لأنه لا يقين لي، لا تأكيد عندي، ربما عند هذا الجبل الذي تبدو  
ذؤابته من بعيد تلامس السماء تجلي لنبي لموسي - عليه السلام - لكنني أنا إلي تجليه  
علي أحوج، يا عادل ليست: ( بلي ولكن ليطمئن قلبي ) بل هي نعم، أو علي الأقل  
فان أدلة النفي والإثبات في أي قضية وفي كل قضية أمام العقل متساوية، لو أنني

وثقت صدقت، تيقنت: إذن لأمنت، لا شريت آخرتي بدنياي لفررت إلى الله، أم تظن لي حماقة جفاء الجنة والخلود في النار، لكنني لا أوقن، لذلك أمسك العصا من الوسط، أخذ من الدنيا بحظي فان لم يكن سواها فقد أخذت ما أقدر عليه، كما أعلن الإيمان تحسبا لصدقكم يا عادل، لكنني لا أستطيع أن أهجر متع الدنيا حرامها وحلالها لاحتمال قد يكون سرايا .

إن كان الله موجودا إذن فقد خلق الكون وخلق له نواميسه ثم تركه، أم تريدني أن أفتنع يا شيخ محمد الغزالي أن ذلك الهيكل البشري الذي كدنا ندهمه ظهيرة الأمس وهو يعبر الشارع في أسماه، إنسان مثلي لخلقه حكمة، معني ذلك أن يكون له في الانتخابات صوت، يا الهي، هل يمكن أن تشارك هذه الحشرة في اختيار رئيس مصر وهل يمكن أن أتهم بالكفر لأنني لا أؤمن بحقها في ذلك؟ ولو آمنت بهذا الحق لكان علي الإيمان بحتمية كل شيء وبأن هذه البعوضة التي تظن حول وجهي تستطيع أن تغير مستقبل العالم بنفس الدرجة مثل كليتون، أفلا يمكن أن تنقل له مرضا يميته أو ترياقا يجميه من سم زعاف؟

وهذا الحجر في نهاية الطريق والذي لولا انتباهي له لانقلبت السيارة، أوجوده هو الآخر معني؟! وذلك يعني أن الركلة العابثة لقدم سائرة لها معني، وكان يمكن لهذا المعني أن يسفر عن موتي لو تأخرت تلك القدم خطوة أو تراجعت خطوة أو انحرفت يمينا أو يسارا قيد أنملة أو اختلفت قوة الركلة واستواء الأرض لأسفر ذلك عن موتي، وأنا لا أطيق إلا أن يكون هذا سدي، عبثا، حكم الصدفة والحظ، والقدرة الإنسانية المذهلة للسيطرة علي الجموح، أي شعور رهيب كان يمكن إن يكتنفن يا عادل لو أمنت مثل إيمانك أنه يسمع ويرى، أنه لا تخفي عليه خافية، أن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، وأنه يمهل ولا يمهل حتى إذا أخذ أخذ أخذة عزيز مقتدر.

لا أستطيع ولا أطيق أن أحتمل مثل هذا النوع من الإيمان ولا أستطيع أن أعيش تحت وطأته، أجل لا أستطيع يا عادل، فكيف أستطيع الحياة وعين قدرته مسلطة علي بشاعة سريرتي؟! وكيف أقدم علي ما أقدم عليه كأني أراه فان لم أكن أراه فانه يراني؟! لا أستطيع يا عادل، دعك من كذبي الذي تنشره الصحف في مقالاتي، أنا أكذب حين أكتب أو حين أحاور الآخرين، أما حين أحاور نفسي في هدأة الليل فعلي من أكذب؟! دعك من اتهاماتي لك بالفرح لمصرع فرج فودة فقد علمت أنك ذرفت الدموع علي الإنسان فيه لا المفكر، أعرف موقفك هذا ولا أحترمه ولا أوافقك عليه، فأنت تقدس الحياة الإنسانية بغض النظر عن اللون أو الدين أو الجنس أو الفكر، لذلك فانك تعتبر قتل فرج فودة علي نفس درجة إجرام قتل علماء محبي الدين، أو أحد أولئك السبعة الذين قتلوا في منقباد، السبع نكرات الذين لن يذكر اسمهم ذاكر ونحن لا نوافقك علي هذا فنحن لا يهمننا قتل الإنسان ككائن بشري، بل ما يهمننا فيه هو فكره، هي الفكرة، ولقد نجحنا في اجتذاب الآخرين لمعسكرنا، حتى اليساريين الذين طالما تباهاوا بطهارة لو كانت فيهم حقا لكانوا أبرار صديقين، حتى هم، يمكنهم أن يظلوا خمسين عاما أخري يتحدثون عن شهدي عطية لكن أحدا منهم لن يستنكر الحياة الإنسانية في حد ذاتها، والذي لا يمر أسبوع دون أن يحدث في سجن هنا أو معتقل هناك، وحتى في الشوارع الآن يحدث.

لقد ادعيت عليك كثيرا يا عادل أنك تشجع الإرهاب والإرهابيين، وكنت كالعادة كاذبا، فأنا أعلم انك لم تهاجمهم كما نحب لأنك وإن رأيتنا المفقوءة عين لهم فقد رأيتهم المفقوءة جميع أعينهم، إنهم إذا كانوا ضالين، فنحن الضالون المضلون المغضوب عليهم، واثق أنا أنك تدينهم، لكن إدانتك لنا أكثر.

هل تذكر يا عادل، حين ضبطتم زكي بدر - في حركة بارعة لا أنكر - متورطا في التصريح بأنه مستعد لقتل نصف مليون من الشعب، وبالطبع أقمتم الدنيا

وأفلمتكم في عزله، وأنا معكم في أن ما قاله إجرام استحق العقاب، لكن الذي لم تفهموه أنتم يا عادل، لم تفهموه ولن تفهموه أن الإجرام هنا يتعلق بالقول دون الفعل، ولقد استحق زكي بدر العقاب لأنه قال بينما استحق محمد عبد الحليم موسي التكريم لأنه يفعل ذات الشيء وأكثر لكنه لا يقول.

يا عادل: من ناحية موقفك هو الأصح، لأنه هو المجرد ومن ناحية أخرى فموقفك المجرد خطأ لأن كل المواقف المجردة خاطئة، فدعك منه، دعك أيضا من اتهاماتي لك بالتحريض علي العنف فذلك ما أخلقه مع الأمن خلقا، كذلك دعك من الطريقة الكاريكاتورية التي تصور بها تكفيركم للحكم والمجتمع، دعك من هذا كله و أصدقني القول: هل تحكم علي بالإيمان أم بالكفر، الإيمان بمعناه الشامل الذي تراه في كتبكم، إيمان التسليم والرضا، إيمان اليقين، إيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، إيمان ذلك الصوفي الذي قابل صوفيا آخر فسأله كيف حال الناس في بلادكم فأجابه: بخير: إن رزقنا شكرنا وإن رزقنا صبرنا، فأجابه لكن الكلاب تفعل ذلك ثم أردف أن الواجب يحتم أن يكون الأمر: إن رزقنا شكرنا وإن رزقنا صبرنا. بهذا المفهوم هل أنا مؤمن يا عادل؟ أنا أعرف أنك من قوم لا يأمنون مكر ربهم حتى لو كانت إحدى قدميهم في الجنة، قوم يظنون العمر مرعوبين علي إيمانهم فاقد الثقة في قدرتهم علي الاحتفاظ به داعين الله أن يشبثهم عليه، فلماذا تغضب إذن عندما أقول إنكم تكفرون الناس.

أجل يا عادل أنا نفسي أعترف علي نفسي بأنها لا يمكن أن تؤمن هذا النوع من الإيمان، ألا يكفي أنني أو من بوحدانية الله وأزليته وخلود النفس، وبعد ذلك كل واحد منا قاض لنفسه فيما يختص بالضمير، ثم ليس علينا بعد ذلك إلا نبذ جميع التقاليد والمظاهر الخارجية في عبادتنا للخالق.

لكن ذلك النوع من الإيمان لا يعجبك، تسميه كفرا، بل وتدعي أن ما أقوله

بنصه قد ورد في التلمود، هل عرفت أنا ما في القرآن حتى أعرف ما في التلمود، لن أجادلك كثيرا لكنني أقول لك - وأنا من الإجهاد والإعياء في غاية - إنه برضائنا أو بدونه فهو النوع الوحيد من الإسلام المسموح به لنا غدا، وخير لنا أن نرضي به قبل أن نجد أنفسنا كمسلمي البوسنة أو صابرا وشاتيلا.

أنا لست خائنا للوطن كما تظنني يا عادل، أنا أحميه، فلقد أدركت منذ زمان طويل أن انتصار الغرب حتمي، سينتصر علينا كما دائما انتصر، فانظر إليه كيف يعامل أعداؤه، في كل تاريخه لم يرض منهم غير السحق الكامل أو الاستسلام بلا شروط، أكثر الحضارات دموية وإجراما في التاريخ، انظر إليهم ماذا يفعلون مع أبناء جلدتهم المهزومين، ثم انظر إليهم بعد ذلك ماذا فعلوا مع أبناء جلدتنا نحن، إنهم لم يعاملونا أبدا كبشر، ومع ذلك فإن كراهيتهم واحتقارهم لم يقتصر على إنكار اكتمال بشريتنا، كانوا يفعلون ذلك قبل اكتمال انتصارهم، الآن، وقد فاقت الحضارة الغربية كل حضارة سواها، الآن وقد انتهى التاريخ، فضلت أن أنتسب إلي المنتصر، أن أكون معهم خادما مرفهاً خيراً لي من أن أكون معك شهيد يسفك دمه، يعذب في السجون والمعتقلات، وتلفق له التهم.

كنت دائما تدهش لكلامي وكنت دائما أدهش لاندهاشك، الآن والقطيعة ممتدة بيني وبينك هل ما زلت تدهش؟ أما زال يذبحك كل صباح ويفجعك كل ليل أخبار ما يحدث في البوسنة والهرسك؟ أليس هذا بكافٍ كي يثبت لك صواب رأيي وخطأ رأيك؟ فما يحدث في البوسنة والهرسك هو حضارة الغرب يا عادل فتعلم.

لست خائنا للوطن لكنني أدركت منذ زمان طويل أن المقاومة دمار، علينا أن نرضي بأي عطاء وإن قل، وبأي موقع وإن ذل، علينا أن نرضي وإلا ذبحنا ذبح الهنود الحمر ومسلمي البوسنة، التاريخ كله سجل مفتوح يبرهن علي صحة رأيي يا

عادل، لم يكن البقاء للأصلح بل للأندل، الذي قاوم باد وانتهى ومن استطاع التواؤم والتكيف بقي وعاش، الحياة دائما هي القيمة العليا، والبقاء هو المطلوب الوحيد، من تمسك بغيرهما عبر التاريخ انتهى، أنا لم أحن إذن، إنما اخترت الحياة بأي صورة وفي أي طريق، وأردت أن أختصر طريق الشوك الذي تدفعوننا الآن للسير عليه، لكنك كنت تصرخ في: تجوع الحرة.....، وكنت أقاطعك: غلط يا عادل: تأكل بهما وبها هو أكثر كي تعيش وليكن ما يكون.

الخطيئة المستورة مغفورة علي مستوي الأمم وعلي المستوي الشخصي، تسألني كيف ألقى الله بعد ذلك، ذلك لقاء أشك كثيرا أن يكون كما تصوره كتبكم وأساطيركم، ثم إنني أؤمن بيوم الغفران العظيم الذي به تمحي جميع الخطايا والذنوب بدون استثناء.

هذا مجتمع وحشي يا عادل، عالم وحشي، وفيه ممنوع العطف علي الإنسان الأبله. منذ خمسمائة عام عندما طردونا من الأندلس، عندما اكتشفوا العالم الجديد كان يعيش في الأمريكتين أربعائة مليون نسمة، بعد أربعين عاما من الغزو كان ما تبقي من الأربعائة مليون أقل من عشرة ملايين، وهذا ما سيحدث لنا إن قاومنا، وأنا لا أستطيع أن أتقبل وجهة نظرك في أن نتيجة أي صراع غير مطروحة في هذه الدنيا، وأنا مسئولون عن الوسيلة لا النتيجة، لا أستطيعها يا عادل ولا أستسيغها، فكيف يكون أفضل عمل في الحياة أن تستشهد، أن تفقد الحياة؟!!

أتوقف علي جانب الطريق، أدير المقبض العاجي فيظهر البار، أتناول كأسا من الويسكي، كثيرا من الثلج والصودا و قليلا من الويسكي حتى أحتفظ بوعبي، كم من الأعوام مر قبل أن يتحول الناب إلي مقبض، هو الأثر الوحيد الباقي من كائن هائل نحيف، وكم من الزمن يمر حتى لا يبقي مني أنا شيء، هل أنت علي حق يا عادل؟! أستريح ثم أبسط الخريطة، أستوثق من الاتجاه ثم أواصل المسير.

لماذا فعل بنا الرئيس ذلك؟ لماذا؟ لماذا خرج عن الدور المرسوم هذا الخروج الخطر؟ لو أنني أفهم غايته، أو أدرك مرامه لاسترحت.

ما زال البعض يؤكد أن ما حدث في البوسنة والهرسك قد انصدع له قلبه، أنه لم يشعر بخديعته في النظام العالمي الجديد حتى حدث هناك ما حدث، أنه أحس الخذلان منهم وهو يطالبهم بتطبيق مبادئ الصرامة والأخلاق والمثل وحقوق الإنسان علي البوسنيين - كما الكويتيين - فيزوروا عنه لا في حجل الناكث للوعد بل في دهشة المتعجب من عدم فهمه لهم، علي الاتفاق الذي لم يفه به ولم يفوهوا، لم يكتبه ولم يكتبوه، لكنهم اعتبروه قد استقر في الضائير، وان استتر في السرائر، قيل أنه شوهد يحدث نفسه، بل وإن هناك من سمعه كأنه يقول: لكنني آمنت بالنظام الجديد حقاً، وحاربت من أجل استعادة الكويت صدقا، كما انفعلت بالاعتداء علي حقوق الإنسان آني كانت، لماذا إذن هذه النظرة ونحن نطالبكم بتطبيق ما حدث مع العراق علي الصرب، كما لو أنني كنت قد انفقت معكم علي غيره.

قيل إنه كان يدعو كبار مسؤوليه ليقرعهم صارخا فيهم: هل صدام أكثر إجراما من رادوفان كرادوفيتش، وهل العراق أكثر وحشية من الصرب والجبل الأسود، وهل ما حدث للكويتيين أكثر مما حدث لأهل البوسنة والهرسك، قيل أيضا أنه كان يصحو في جوف الليل غاضبا أشد الغضب ليطلب أحد أصدقائه قائلا: أنا حاربت عندما حاربت في الخليج فعلا من أجل العرب والمسلمين لا من أجل إضعافهم تمهيدا للقضاء عليهم.

يؤكد القريون، أنه في هذه اللحظة كان الجرح جرحين، والحرج حرجين، والخدعة خدعتين، أما الألم فكان أضعافا مضاعفة، كذلك الإحساس بالعجز وهو لا يستطيع أن يفعل للبوسنيين شيئا. وأن هذه النقطة ربما تكون اقوي الأسباب التي دفعته إلي إسناد الوزارة لإبراهيم شكري.

أسعید أنت الآن بما يفعله سعد الدين الشاذلي، هل هذا هو الحل، ولن يكون النصر المرتقب له سوي فاتح شهية لخوض المزيد من المعارك يسيل فيها المزيد من الدم.

قيل أن ذاكرًا ذكر، أن بنت الشاطيء كانت تطارده في الرؤى وهي تحمل في يدها صفحة من الأهرام عن نهاية المسلمين في الأندلس - لأن البدايات عنوان النهايات - وفي اليد الأخرى كانت تقرأ له ما قاله زياد سوباشيتش:

( كنا ٧٠٠ معتقل من مسلمي البوسنة تم حشرنا في صالة ألعاب رياضية، بعد ثلاثة أيام أصبح عددنا ٤٠٠ فقط، حيث تم إعدام الباقين بأساليب بالغة الوحشية، كانوا يجلسوننا في دائرة يتوسطها متواز خشبي معلق به حبل يقذفون به عشوائيا وعندما يشير طرف الحبل إلي أحد الجالسين يتم إجراء التعذيب عليه فورا، كان يطلب من الرجل أن يعرض بأسنانه أجزاء حساسة من أجسام زملائه، وإذا رفض يطلب من زملائه عمل نفس الشيء به، وإذا رفضوا يتم إطلاق النار علي أجزاء مختلفة من أجسادهم حتى يعجزوا حتى عن إصدار التآوهات لكي تنطلق رصاصة الرحمة علي الرأس لتريح الضحية المسكينة من الدنيا التي يمرح فيها مجرمون صربيون بدون أن يكفهم أحد.

قيل أن بنت الشاطيء لم تكف حتى حين أمرت أن تكف، وأنها واصلت الحكايات له عن الشيخ العجوز الذي ذبحوا أمامه ابنه الشابين بالمدى ثم أطلقوا الرصاص علي كلبه قائلين: الكلب يستحق الرصاصة لكنها خسارة في المسلم، وأنها طلبت منه الفتوى نيابة عن نساء البوسنة فيم يعلن في حمل السفاح الناتج عن اغتصابهن، وأنه حين صمت صرخت فيه: إن كنت عاجزا عن نجدتهن فأرسل هن حبوب منع الحمل كيلا يحملن.

وقيل إنه صرخ فيها وهو من العذاب في عذاب كفي، ألا تعلمين من أنا، فقالت

له: ملك أي طائفة من الطوائف أنت، فقال بل دقيقي النظر وسوف تعرفيني فتساءلت ملك قشتالة أم أمير قرطبة؟

دق جرس التليفون فأنقذني من حبل للذكريات يشنقني، وإذا بمستفيد مع العقيد التهامي، أتخلص منهما بلباقة، فويل للشجي من الخلي، إنها يستطيعان تغيير ولائهما بنفس السهولة التي يغيران بها ملابسهما، وعلي الرغم من ذلك فإن العقيد واحد من أفضل تلاميذي علي الساحة، هو الذي مخه يساوي مائة مليون جنيه يا أستاذ الأستاذة لا لأنه لم يستعمل قط، بل لأنه حول المعبد إلي حانة، رغم كل الموجودين حول الدفة إلي الاتجاه الآخر، وبعدها فقط استطاع أن يغير الاتجاه الفكري والسياسي لصحيفته، حتى اضطر شيوعي شيعي متطرف ناصر حاقداً لأن يصرخ مستغيثاً:

(يا عبد الرحمن الشرقاوي القصر الذي ترنمت فيه بأعذب ترانيل عشق الوطن، استولي عليه خدم العسس، وجلس العقيد مكان الشهيد، وأصبح كاتب التقرير مقرر التحرير فأجر الأجنحة مفروشة، للحرام، وبيت الأمة أصبح مغارة لصوص).  
مولعون هم بالكلمات الفخمة والجمل الضخمة التي لا أفهم منها شيئاً لا لأنني غبي بل لأنها بلا معني.

أغذ السير، ١٦٠ كيلو متر في الساعة، مررت بالأشباح ومرت الأشباح بي، لماذا فعلت ذلك يا مبارك؟ لكن مدام نعمة تصرخ في بعد أن مرغت في الوحل كرامتي: بل كيف كان يستطيع ألا يفعل؟

ولكن كيف؟ ولماذا، لقد كنا قاب قوسين أو أدني، أفضلنا لهم جميع خططهم وهدمنا كل مشروعاتهم وأحبطنا كل أمالهم فكانوا علي وشك أن يسقطوا أمامنا ثمرة معطوبة، فلماذا فعلت بنا ذلك، أنت تعرف أنهم علي غير ما ادعينا فلماذا؟  
لقد نجحنا دائماً وبعقرية منقطعة النظير أن ننفذ أغراضنا وأن نجعل منكم أنتم

- يا عادل - المدافعين عنها، عندما ناديتم بالقطاع العام لم نحاربكم مباشرة، لم نتصد لكم، بل بالغنا في تأييدنا وتعصبنا له، ثم نجحنا في زرع الفساد في جذوره فالتفت أغصانه حول عنق السلطة وتساقط ثمارها عليها، وبقيتم أنتم ردحا من الزمن لا تدركون ما فعلنا بكم، لتستمروا في الدفاع عن ابن غير شرعي لنا تظنونه ابنكم.

نفس الشيء حدث مع الـ ٥٠٪ عمال وفلاحين، حين حولناهم من مكمّن الخطر علينا إلى منبع القوة لنا، كذلك في الأشياء الأخرى، كنا علي وشك إصدار قانون النقابات الجديد وقانون الأحزاب الجديد، وقانون الصحافة الجديد، كنا علي وشك أن نكمل عمليتنا الكبرى، لكن قرارك فاجأنا فأفسد كل شيء.

## الكيلو ٩١

لكن اللافتة لا تدل علي اسم الطريق ولا المدينة القادمة، إهمال المصريين .  
لكن أين يكمن خطأنا؟.

لماذا لم تنته الأمور إلي غايتنا؟.

ربما كان يجب علينا أن نغلق الشعب منذ زمان طويل، لقد راهنا عليها وخسرنا الرهان، قدرنا أننا بحرنا الدائمة بها وبثوينها لرموزها سننال منها، لكن الرعاع صدقوها وكذبونا. لكن لماذا نجحت خطتنا في تحييد الآخرين أو ترويضهم وعجزنا مع الشعب؟ ذلك ما لم أستطع فهمه.

قدرنا أيضا أننا بمنع مصادر التمويل. عنها سنخفقها، لكن يبدو أن الناس مستعدون لدفع أضعاف الثمن في كل عدد . بقيت هي الصحيفة الوحيدة المعارضة، الصحيفة الوحيدة التي تنقل للناس ما لا تجرؤ الصحف الأخرى علي نقله، حتى اليمين واليسار أقرأ بذلك، وشهدت نقابة الصحفيين من يتبادلون الحديث في همس مقرين أنه لولا صحيفة الشعب لانتهد المعارضة الحقيقية في

مصر.

كانت خطرا، وقد غفلنا عنه، وهذا أمر يصعب علاجه، وسنعالجه، رغم قنبلة الرئيس سنعالجه. الكيلو ٨٢..... الكيلو ٨١..... الكيلو ٧٨..... والكيلو ٧٧.

علي مدي البصر برقت في سواد الليل الخالك عينان حمراوان، وارتد بي الزمن مئات الأعوام حتى شملني الرعب من أن يكون الشيطان يعبث بي، يجرجري بعينيه دون أن أدري حتى يغرقني في التيه حيث لا يدركني أحد ولا ينقذني أحد، ووجدتني دون أن أدري أزيد من سرعتي وأقرب، وأقرب وأقرب، فإذا بالعينين الحمراوين يصيهما الجنون فجأة لتتقافزا في الهواء في حركات بهلوانية، ثم أسمع انفجار تعقبه نار، وأقرب وأقرب فإذا بها سيارة شبح تحترق بمن فيها، أحاول الاقتراب أكثر لكن وهج النيران واحتمال انفجار آخر يمنعني، يفتح الباب ويندفع لسان من اللهب ثم أراه خارجا كتلة من النار فلا أمالك نفسي عجبا ودهشة وذهولا من أن أهتف حين رأيت وجهه:

- حتى أنت؟

ووجدته يصرخ في:

أطفئ.....

فظنته سيكمل أطفئ النار لكنه لم يقل ذلك بل أكمل: المذياع، وأخذ يكرر: أطفئ المذياع، فقدرت أن الأمر من فرط الهول قد اختلط عليه. وأخذت أهتف في ذهول: حتى أنت، وهو ينظر نحوي في عذاب المستنجد المستغيث، حتى أنت، يدور حول نفسه فيتعثر فيكبو فينهض فيكبو فيقع فيرقد فيخمد وما زال الصوت الصاخب ينطلق من مذياع السيارة بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد:

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ

سُرَادِفُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيْثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوْهُ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٧٣﴾

### الكيلو ٧٣.

لكنني لم أزل غارقا في الدهشة والعجب والذهول أهتف: حتى أنت؟  
ورمقني من السماء المتناثية نجم لا مبال ففقلت عائدا إلى سيارتي لا ألوي علي  
شيء.<sup>٥٤</sup>

### الكيلو ٦٧.

ليل جندس دجوجي، وأرض بلقع، تذرني ألا أدعو ثورا واحدا بل ثورا كثيرا  
فأناجيه في غضب، مدركا أنه من مكان ما يتابع علي شاشة تليفزيونية ما أفعل  
ويسمع عبر لوحة إلكترونية ما أقول: ماذا تفعل، من المفروض أنك تسمع كل شيء  
وأیضا تري، وهذا الجهاز المبوث في علي ما أقول شهيد، الويل لك إن تركت بيتي  
ينهب وزملائي يسجنون وأولادي يشتتون، الويل لك، فأی تمجيد يستحق ذلك  
الأب الذي يترك أولاده يتمرغون في الشقاء وهو يمرح

### الكيلو ٥٦.

أنا لم أقصر أبدا في أداء واجب نحوكم، فعلت كل ما طلب مني، وما لم يطلب  
أيضا فعلته، فعلته لأنني ظننت فيه مصالحكم، وتجاوزت حتى حدود الأدب  
واللياقة والعرف حين هاجمت بضاوارة لم تحدث من قبل القائم بأعمال سفارتنا في  
طهران، ضراوة استنفرت خارجيتنا للرد علي، لتويخي وترديد التهمة التي لا تني  
تسقط علي رأسي باتهامي بالغباء والبذاءة. برغم هذا كله، وبرغم اشتهاؤي أمري، وما  
تردد عن عمالي لكم وأصابع الشكوك التي راحت تشير إلي، لم ألق بالالهذا كله،  
وما أن وجدت فرصة لمهاجمة سعد الدين وهبة حتى اكتسحته اكتساحا، فالخائن  
يريد أن يعرض أفلاما سينمائية إيرانية توثيقا لعري العلاقات بين الشعبين، من قال  
لك أننا نريد أن نوثقها، هل تدرك مدى خطورة اجتماع مصر وإيران علي شعور

واحد وعلي رأي واحد، يا خائن السلام والنظام العالمي الجديد. ولقد انتهز الفرصة خونة آخرون ليصطادوا في الماء العكر فأخذوا يناشدون الرئيس بعدم الاستجابة لي، لأن الأمر بهذه الطريقة رد فعل انفعالي طفولي لا يليق بمصر ولا به، وكتب عادل حسين يذكر القراء بقول بوش عن كليتون أن كلبته تفهم أكثر منه، ومع ذلك لم يتخاصما كالأطفال ولم يتشاجرا كحيوانات السيرك . وواصل عادل في سخرية كريمة : عفوا، لا أقصد السيرك فقد تحضرت حتى أنها لم تعد تتقاتل، لا أقصد حيوانات السيرك بل أقصد حيوانات الغابة.

برغم احتمال اكتشاف أمري كله لم أكف، واصلت طرق الحديد وهو ساخن كما فعلت في ناجي العلي، ولم أترك كذبة لم أكذبها، لكن من يراجع خلفي، وحتى إن وجد المراجع فمن ينشر له، وحتى إذا وجد الناشر فعبد الستار يدافع عني.

### الكيلو ٤٨.

لم أقصر أبدا فلا تتركوني، لكن سوزي تسخر من شرفي، ومدام نعمة تطلب موعدا للقائه والأحق الغبي في جينيف لم ينهني قط، وأنا أطلب منه أن يدبروا لاغتيال نجيب محفوظ يا صاحب المخ الجديد الذي لم يستعمل، يا أحمق يا غبي، يا محبوب عبد الدايم.

### الكيلو ١٩.

والبراهماتيون النفعيون سيتخلصون مني كما يتخلص الثعبان من جلده، انتهى دوري، هم الآن في مرحلة جديدة تحتاج إلي خدم آخرين، سيتكرون لي كأن لم أكن، ولعلمهم الآن يبحثون عن حلقات اتصال وتأثير مع القادة الجدد، لكنهم سيخذلونكم، سيفعلون بكم مثلما فعل الخميني، وسيمرغون هيبة النظام الجديد في الأوحال.

### الكيلو ٨.....الكيلو ٦.....

من ذا الذي يعاتبنا لأننا كذبننا؟! هل يمكن معاتبة من يتنفس لأنه يتنفس، ومن

يشرب لأنه يشرب، أو من يأكل لأنه يأكل؟!

كيف، وحياتنا كلها انبت عليه، فلا نقول إلا كذبا؟! الصدق حماقة والحماقة شر والكذب قوة والقوة خير.

هاأنذا علي وشك الوصول، يبقي كيلو واحد.

يا الهي.

ثمة انفجار كانفجار اختراق النفاثات لحاجز الصوت.

أحاول السيطرة علي السيارة التي لم تصب بسوء لكنها تتسع، تتمدد، أحاول كبح جماحها لكنها تترامي إلي أبعاد شاسعة الأرجاء، يا إلهي كنت أظن أنني أقودها فإذا هي التي تقودني.

يا الهي سوف يحدث ما مزحت بشأنه مع أدا أهاروني، ولعلي أسقط في بحر التيه أربعين عاما، الطريق طويل، بلا نهاية، وهو غريب، لا أعرفه رغم مداومة زيارتي وتكرار دراستي وكثير خرائطي.

يتجسد عادل ساخرا الكنني واثق أن التجسد صورة في خيالي وليست حقيقة في الواقع، ويتكلم بصوت لكن دون أن يحرك شفثيه ودون أن يفتح فمه لكنني أسمعه بصورة طبيعية، إذ يقول: الذي لا يقدر علي مواجهة السلطان لا يجرؤ علي مواجهة الشيطان، فأرد بنفس الطريقة: أنا الذي لا أفهم، فيقول: أنت لم تفهم شيئا أبدا، وسألني: لم يكونوا يحتقرون المسلمين فقط بل الإسلام أيضا فلماذا؟ فأجبت لأن الحق ثقيل والباطل خفيف، وقلت له أنت لست مثلي، أنت لا تكذب فقل لي الحقيقة: هل أنا مخمور الآن أو أحلم؟ فرد علي بلغة لم أفهمها، فأعدت سؤلا آخر: هل أنا ميت؟ فرد بلغة أخرى لم أفهمها أيضا، فقلت له: هل أنا الآن في أرض التيه؟ ولم يجب، فقلت له بلهفة هل هناك أمل؟ فأشاح عني، وتحدث الصمت بلسان بليغ، فعجبت كيف يكون للصمت صوت وكيف فهمت أنا؟ لكنني لم أحر جوابا،

فسألته - وأنا من العذاب في غاية - أما يزال باب التوبة مفتوحا؟ فشرع ينصرف عني، وهو يحكي لي حكاية الرجل الذي حلف بالطلاق من زوجته أن الله لن يغفر للحجاج، فأفتاه مفتي المدينة أن زوجته أصبحت محرمة عليه فهي طالق، فذهب إلي قاضي القضاة وعرض الأمر عليه، فأجاب بعد تفكير وتدبر: اذهب إلي امرأتك يا رجل، وإن غفر الله للحجاج لن يضرك بعدها الزنا، واختفي فتلاشي صوته قبل أن يكمل الحكاية، فأخذت أبحث عنه فلم أجده، فأخذت أترنم بشعر لا أذكر من قائله ومتى قاله:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة . . . فلقد علمت بأن عفوك أعظم  
إن كان لا يرجوك إلا عادل . . . فيمن يلوذ المستجير المجرم.



## القط

لماذا يخون من لا يفترض به أن يخون ..

لماذا يخون من ينتظر منه أن يصون ..

أتساءل فلا أجد إجابة أبدا ..

وفي بحر الحيرة يغمري الألم ..

يحملني إعصار الألم على أجنحة الزمن فأعود إلى طفولتي الأولى ..

كان ذلك منذ ما يقرب من ستين عاما .. كنت في الثالثة من عمري أو الرابعة على الأكثر .. في منزلنا كان يوجد قط نصف عاجز .. أظنه كان أعمى أو شبه أعمى .. وكان محاصرا بعماءه .. كان قلبي ينفطر من أجله وأسيل حنانا عليه .. كنت أعتبره أعز الأصدقاء .. وربما الصديق الحقيقي الوحيد .. وما أكثر ما جالسته .. كان يجادني و أحادثه .. وكنت أظن أنه يفهمني وأفهمه .. كنت متضايقا جدا لأنه لا يستطيع النطق مثلي .. لكنني على أي حال كنت أفهم مواءه وأترجم حركاته .. تماما كما لو كان يتكلم .. وكنت أبحث عنه دائما كي أحمل إليه الطعام .. كان ذلك يشعرني بسعادة لا توصف من ناحية .. ومن ناحية أخرى كنت أشعر أنني أؤدي واجبي المقدس الوحيد .. وإزاء قلة حركته وكمية الطعام راح الشحم يتراكم تحت جلده .. فيزداد نعومة وبهاء .. ويزداد رونق فروه الأبيض الساحر الجميل .. أصبح صديقي سميئا إذن لكنه كان يفاجئنا بخفة حركته إذا ما طرأ طارئ حيث كانت تمر بحديقتنا بعض كلاب الصيد الخاصة بالجيران وكانت تحاول اقتناصه فيفلت منها في اللحظة الأخيرة ببراعة كانت تذهلني و تثير إعجابي و تشعل حماسي .. خاصة إذا تعددت الكلاب وبدا لنا استحالة إفلاته .. كنت أتخيل أحيانا أنه يتعامل مع تلك

الكلاب بمكر محبب إلى قلبي فيتركها تقترب منه حتى تظن أنها أطبقت عليه لكنه في اللحظة الأخيرة الحاسمة يفلت منها.. قال لي شخص -لا أذكره- أن الأمر ليس مكرًا ولكن ضعف بصره الشديد كان يجعله لا يرى الخطر حتى يقترب جدا جدا.. حزنت وغضبت فقد كان الاتهام يطعن في كفاءة صديقي الحبيب.. بل أقرب الأصدقاء إلى قلبي.. وكان من العجائب علاقته الودودة بكلب يحرس الحديقة الصغيرة الملحقة بمنزلنا.. كلب لم نكن اخترناه ولا اقتيناه.. بل أوى إلينا فأويناه.. كان بالمجاز كلب حراسة.. لكنه في الواقع لم يكن كلب صيد ولا زينة ولا حراسة.. كان كلبا عاديا من كلاب الشوارع.. كان يخيفني.. وكان قبح صوت نباحه يزعجني.. أتذكر أنني شكوت من ذلك بل عبرت عن اعتراضي بالكاء.. أذكر أن أحدهم -لا أذكر من هو- أخذ يعلمني كيف يحرسنا وينبها إلى الأعداء.. قبلت الأمر على مضض.. لكن عداوتي له بدأت تذوب عندما رأيت كثيرا يلعب مع صديقي الحبيب.. بل وبدأت أميل إليه عندما تصورت أن حمايته التي يسبغها علينا من الأعداء لا بد أن تنال بركتها صديقي القط الذي كان يلعب معه كثيرا لكنه دائما يلتزم جانب الحذر رغم أن كلبنا لم يبد منه ما يستوجب هذا الحذر.. تعلقت بالقط كثيرا.. ورغم عدائي الفطري لكل الكلاب الأخرى فقد أحببت كلبنا لأنه كان يحنو على قطي الحبيب ويداعبه..

كانت مغامرات القط وبراعته في الإفلات من أعدائه هي شغلي الشاغل وأهم حدث في حياتي.. ما أن تنقضي مغامرة منها حتى أظل أستعيدها وأرويها في حماسة منقطعة النظر حتى تأتي مغامرة أخرى وبطولة أخرى فأنقل إلى حكايتها.. كان انفعالي يبلغ ذروة أعلى كلما بدا الإفلات من الخطر أصعب..

و ذات يوم.. كنت واقفا في الشرفة أتحدث معه بلغتنا الخاصة.. وفجأة بدأت الواقعة.. بدأت دون أن أحس بها تقريبا.. لم أنتبه إلا في الثواني الأخيرة..

الآن .. بعد ستين عاما .. عندما أستعيد الحدث تضيع مني تفاصيله .. وبالأحرى فإنني لم ألم بهذه التفاصيل أبدا .. لا أستطيع الإجابة عن عدد الكلاب المهاجمة .. هل كانت كلبين أو ثلاثة .. أم كانت أكثر .. ما أذكره هو الثانية الأخيرة .. لم أر الكلاب وهي تقترب ولكنني رأيتها وهي تتأهب للانقضاض .. سرت النشوة داخلي كتيار كهربائي وأخذ قلبي يدق كمطرقة وأنا أنتظر لحظة النصر المين المعجزة ..

بعد ستين عاما أسأل نفسي: هل كانت الكلاب سريعة في انقضاضها إلى هذا الحد أم أن انفعالي هو الذي خيل إلى ذلك .. انقضت على حبيبي بسرعة الضوء .. لكن البطل تنبه في آخر لحظة .. وقفز قفزته الرائعة فقفز قلبي معه وأنا أتأهب للنشوة المستحيلة والتصفيق وإطلاق صيحة النصر .. وفي تلك اللحظة بالذات حدث الأمر المذهل .. الأمر الذي لم أتخيله أبدا .. ولكنه حدث .. لم أر بوادهه ولكنه حدث .. لم أكن قد تنبهت إلى أن الكلاب المهاجمة جاءت من جانب .. وكان كلبنا في الجانب الآخر .. لحظة القفزة .. والقط في الهواء يمارس لعبة النجاح المستحيلة .. في اللحظة الفارقة الخطرة كانت المفاجئة الصاعقة التي لم تستغرق معشار ثانية .. قفز كلبنا فعرقله وأنشب مخالبه فيه في نفس اللحظة التي كانت كلاب الصيد قد أدركته .. وسمعت قطي الحبيب يطلق صرخة بشرية طويلة حادة مفزوعة مستنجدة هائلة .. كان بين أنياب الكلاب .. كانت تجذبه بأنيابها ومخالبها، وجدته قد طال مع تجاذب أطرافه حتى تضاعف طوله ضعفين أو أكثر .. كانت الكلاب تمزقه .. وتلاحقت الصرخات البشرية الطويلة الحادة المفزوعة المستنجدة الهائلة .. صرخات مسعورة هستيرية .. ولم أدرك إلا بعد لأي أنها لم تكن صرخات القط .. بل كانت صرخاتي أنا .. وكان أحد الكبار قد اختطفني من أمام المشهد البشع رحمة بي وأنا أصرخ وأصرخ وأصرخ ..

الآن أذكر أن صرخاتي لم تكن بسبب الحزن فقط .. بل كانت احتجاجا صارخا

غاضبا على من حملني كي يبعدني عن المشهد كله.. كنت صغيرا جدا وكان كبيرا وتخيّلت أنه يملك قوة أسطورية مادمت رغم محاولاتي المستميتة لم أستطع التملص من حضنه الخانق.. وكانت صرخاتي التي اختنقت فيها الكلمات فتلاشت عبارة عن توسل فاجع أتسول منه به أن يتركني ويعود فيستعمل قوته الخارقة في إنقاذ قطي..

لا أذكر شيئا بعد ذلك.. بل لجأت نفسي إلى حيلة معروفة في علم النفس.. كرهت الكلاب وتجنبت القطط دون أن أعرف لماذا حتى برزت الواقعة في ذاكرتي فجأة بعد أعوام طويلة كما تبرز الآثار المطمورة حين تزيح العواصف الهوجاء أكداس الرمال من عليها بعد آلاف السنين.. وتكرر بروز الحادثة واختفائها فكنت كل بضعة أعوام أتذكرها كما لو كانت قد حدثت بالأمس..

هل كان لذلك تأثير على مواقفي الحادة ضد الظلم وفي مؤازرة المظلوم طيلة حياتي..

كلما شاهدت شراسة معتد أو خيانة حارس استعدت انواقعة.. منذ طفولتي حتى اليوم.. إلا أنني في طفولتي الباكرة استعدتها آلاف المرات وأنا أغير الوقائع وأبدل الأحداث كي أنقذ قطي.. كانت أبسط الوسائل أن أجعل القط يتنبه عشر ثانية قبل الكارثة.. عشر ثانية كانت تتيح له الفرار.. عشر ثانية كانت تريحني من ألم لم يبرحني العمر كله.. بعد ذلك كنت راميا أحمل جعبة من السهام أطلقها فأقتل بها الكلاب جميعا.. ثم فارسا على جواد أحمل رمحا أطعن به الكلاب جميعا.. ثم كاوبوي أستطيع أن أشهر مسدسي أسرع من قفزة الكلاب الشرسة فأرديها جميعا.. بل وتطور الأمر حتى استعملت الطائرات والقنابل كي أنقذ صديقي.. وفي أحيان أخرى كنت أصبح طبيبا شهيرا أعيد لقطي إبصاره كي لا يقع في المصيدة.. أو أحقنه بعقار جديد لا يعرف سره سواي يمنحه قوة أسطورية تجعله قادرا على تمزيق الكلاب جميعا.

و كنت دائما أعود من رحلة أحلام اليقظة أسيفا لأنني لم أنجح في تحقيقها أبدا.  
المررة الأخيرة التي تذكرت فيها تلك الحادثة كانت أثناء حصار غزة.. أثناء  
القصف والحصار وادعاءات مسيلمة عن المعبر المفتوح .. ثم ازداد تجسد الذكرى في  
اللحظة التي قرأت فيها عن تعذيب المجاهدين في بلادي..

السؤال الذي لم أعثر له على إجابة أبدا.. طيلة الستين عاما الأخيرة.. والذي  
يتسبب لي في ضيق لا يوصف.. وغضب لا ينفث.. ودهشة ليس لها تفسير.. وحزن  
ليس له عزاء.. هذا السؤال الذي ما يزال يدمدم في وجودي كله هو:

لماذا فعل كلبنا ذلك؟

لماذا خان..

لماذا في اللحظة التي كان يجب أن ينقذ فيها افرس..

كان المفروض أن يحمينا من الأعداء فلماذا انضم إلى الأعداء..

لماذا..

لماذا..

لماذا..

لماذا فعل كلبنا ذلك؟!..

...

فهل منكم من يجيني ليريجني؟!..



## الفأر

منذ أسبوعين تسلل فأر ضخيم إلى حجرة مكثي . فشلت معه كل وسائل القتل والطرده، بل أوشك أن يطردني، أخاف الفئران قليلا و أشمئز منها الاشمئزاز كله، فضلا على أن عضتها تصيب بداء الكلب وتستلزم الحقن المرهق بمصله.

تنبهت على حقيقة مدهشة .. طرفها الأول أن السموم التي نقصد أن تكون سموما مغشوشة وليس بها من السم ما يكفي لقتل فأر.. أما طرفها الثاني فهو أن السموم التي تقدم للبشر في شراهم وطعامهم غير مغشوشة.. و أنها سريعة الأثر ناجعة المفعول.

عندما استيقظت لصلاة الفجر، بعد أسبوعين من الغزو، كانت المصيدة التقليدية قد نجحت في اصطياد الفأر.

لاحظت أن المصيدة قد تحركت عدة أمتار، ولم يمنعها إلا الحائط. وكان باب المصيدة قد أطبق على الفأر الضخم فأصبح نصفه خارج المصيدة ونصفه الآخر داخلها، وبه، بنصفه، حاول محاولة المستميت أن يفلت من الكارثة التي حاقت به على غير ترقب، حاول حتى أصبح ظهره للحائط، مبني ومعنى. وقلت لنفسي أنني لو أدركته لأطلقته. لو أدركته لفككت أسره راجيا أن أدخل الجنة برحمتي إياه.. لكنه كان قد مات.

المدهش إلى حد الدهول هو حجم الحزن الثقيل الذي خيم على قلبي، كنت أهتف دونها صوت: أليست روحا.. أليست روحا.. كنت أهتف دونها صوت وكنت أبكي دونها دموع.. وذلك هو أشد الصياح ارتفاعا وذاك هو أشد أنواع البكاء وحشية وقسوة. فالدموع ليست حزنا ولا هي حتى التعبير عنه، إنما هي - للدهشة - تنفيس يخفف لا تعبير عنه ولا تجسيد له.

مات الفأر إذن..

إن للموت لرهبة وحضورا..

لكن البشع المقلز أصبح بالموت مسكينا وجيفة. لم ينقص - بالموت - من مادته شيء.. لكنه فقد بالموت كل شيء.. لم يفقد شيئا لكنه في نفس الوقت فقد كل شيء.. أليست روحا يا كلاب العلمانية وخنازير الشيوعية. الفرق بين هذا الفأر وذاك ليس إلا تلك. تلك التي تنكرون تداعياتها وآثارها فتصبحون حيوانات كالأنعام بل أضل سبيلا.

رحت أتأمل الفأر في اشمزاز مشفق. قصم باب المصيدة ظهره. أي عناء عاناه حتى مات.. ذكرني بنفسني، فأنا الآخر فأر قد قصمت ظهره مصيدة فلسطين وتمزق كبده في مصيدة العراق.

فأر..

أنا..

وها أنذا أكافح بأقل من نصفني كثيرا. أنتظر الحائط المبني والمعني لكن المثير للاشمزاز أنني وقعت في مصيدة المعنى والمبني حتى قبل أن أصل إليه. هكذا فعلت الأمة.. ركنت إلى الراحة من الجهاد قبل أن تبدأ.

ذكرني الفأر بحكامنا.. قاوم ولم يقاوموا.. وكافح ولم يكافحوا.. ذكرني أيضا بشعوبنا. كان أشرف.

نابني الأمر حتى استيقظت علتي القديمة.. كتابة القصص.. فكرت أن أكتب قصة الفأر.. قصتي.. حاولت الاحتشاد فتبعثرت.. وحاولت التجمع فتناثرت.. خشيت أن يتحول الصراع من صراع ضد أعداء الله إلى صراع الإنسان في وجوده، في عنائه وكبده.. خشيت أن يتسلل الشيطان إلى فيحافظ على تجمعي واحتشادي لكنه يوجهها إلى غير ما أريد.. فتناثرت وتبعثرت وتراجعت.

## الرحلة

استيقظت فجأة. كنت ما زلت تحت تأثير النوم. أخذت أسترده ووعيي بها حولي في بطن شديد. كنت في قطار. لم أكن قد استعدت بعد أي وعي أو إدراك لمحطة القيام أو محطة الوصول أو حتى غايتي من الرحلة. لم أكن قد تذكرت أي شيء. لكنني بالغبطة أو الفطرة أو الحدس كنت أدرك أنني عائد إلى موطن رأسي. دهشت قليلا. فموطن رأسي لا تمر به خطوط السكك الحديدية. خشيت أن أكون قد ضللت الطريق. أخذت أتطلع من نوافذ القطار الزاحف في بطن بين الحقول الشاسعة الخضراء. فجأة رأيته. مقابر قريتي. لوهلة ارتجف قلبي. أليس هذا نذير شؤم. عزمت على قراءة الفاتحة لأبي. أنا خجل منك يا أبي. لم أزرك. لا أتصور أن أزررك وأنت ببطن الأرض وأنا أدب عليها. هل كانت عدم زيارتي احتجاجا على موتك؟ أستغفر الله. ليس هذا فكري إنما هي وسوسة شيطان. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. هل كان ابتعادي رفضا لتقبل فكرة موتك؟ كأنني بزيارتي سأوقع على وثيقة الإقرار بموتك. لذلك لم أزرك. ثم أنني أعلم أنك لست هنا. أنت هناك. وليس هنا سوى الرميم. وأنا لا أريد رميمك بل أريدك أنت يا أبي. يا حبيبي. شغلني شاغل عن قراءة الفاتحة. هل سيقف القطار عند المقابر؟ لا أدري. لكن بعض الاطمئنان تسرب إلي. فأنا لم أضل إذن ولم أفقد طريقي. لم يقف القطار في بلدي. لكنه توقف في نجع قريب لا يفصله عن قريتي سوى مئات قليلة من الأمتار. بدأت أتبين جغرافيا المنطقة فالمقابر قريبة على يميني. أما بيت العائلة فهو بعيد وعلى اليسار. المسافة يمكنني قطعها على قدمي. الحقائق ستكون ثقيلة لكنني سأعالج المشكلة. بل لن يكون في الأمر مشكلة. سألهث قليلا ثم أصل. كنت فرحا

بالوصول. ليس فرحا بالتحديد. ربما كان الارتياح لنهاية العناء. اندفع البعض للنزول من القطار. لم يركب أحد. فوجئت بعدم وجود رصيف للقطار. قفزت. كان القطار عاليا جدا وكانت الأرض منخفضة جدا. ولم يكن هناك درجات سلم. بعد أن قفزت فوجئت بمشكلة حقايب. أخذت أنادي الراكبين في القطار لكي يقذفوا بها إلي. كانوا مشغولين جدا. لم يسمعي منهم أحد. امرأة عجوز فقط لاحظتني فمدت يدها تحت المقعد الذي كنت جالسا عليه والتقطت نعلين خفيفين وقذفت بهما إلي. كانا خفيفان جدا وناعمان جدا ورخيصان جدا. كان لونهما أخضر. أحب هذا اللون. وكذلك أمي كانت تحبه. كنت قد اشتريتهما لأرتديهما عند ذهابي للحج. وضعتها برفق وحنان إلى جواربي على الأرض وأخذت أناشد المرأة أن تقذف لي بحقايب الكثيره. جهد عمري وشقاء أيامي وثمره مجهودي. كانت المرأة قد تشاغلني ولم تعد تسمعي. وجاءت امرأة ضخمة. عجوز ضخمة. افترشت باب القطار وحالت بيني وبين الناس. وأنا أصرخ فيهم بصوت لا يسمعه الناس ولا أسمعه أنا أيضا: حقايب. الحقايب فوق الرف فيها ملابس. والحقايب بين المقاعد فيها متاعي. أما الحقيبة البنية الصغيرة ففيها نقودي. اقدفوا الحقايب. أرجوكم. اقدفوها. سيتحرك القطار. سأفقد كل شيء. أحاول الرجوع إلى القطار. كان عاليا جدا. وكنت واطيا جدا. وكان الصعود إلى القطار مستحيلا. لم يكن هناك ما أصعد عليه. وكنت أترقب تحرك القطار في كل لحظة. وكنت عاجزا. وكان الناس لا يسمعون. ولا القطار سمع. وتسلسل إلي اليأس. وغمرني اليأس. وكان القطار على أهبة التحرك. كنت حزينا. لكن الغريب أن حزني لم يكن فاجعا. وكانت المقابر قريبة على يميني. وكان البيت بعيدا على يساري. ولم أعد أملك سوى نعلين.. سأرتضيها في طريقي إلى البيت.



## كتب للمؤلف

اسم الكتاب	السنة	النوع	دار النشر
اغتيال أمة - طبعة أولى	١٩٨٧	سياسي	مكتبة مدبولي
الحاكم لصا	١٩٨٩	رواية	مكتبة مدبولي
مباحث أمن الوطن - صودرت بعد الطبع.	١٩٩١	قصص قصيرة	مكتبة مدبولي
اغتيال أمة - طبعة ثانية مزيدة	١٩٩١	سياسي	مكتبة مدبولي
قصر العيني	١٩٩٢	رواية	مكتبة مدبولي
من مواطن مصري إلى الرئيس مبارك	١٩٩٣	سياسي	الشركة العربية للطباعة والنشر
إعلانات مبوبة	١٩٩٤	قصص	دار جهاد للنشر
مباحث أمن الوطن (غير المصادرة)	١٩٩٧	رواية	مدبولي الصغير
أنى أرى الملك عاريا	١٩٩٩	سياسي	مكتبة مدبولي
بغداد عروس عروبتكم	٢٠٠٠	سياسي	مدبولي الصغير
الوعي ينزف من ثقب الذاكرة	٢٠٠١	سياسي	مكتبة مدبولي
بل هي حرب على الإسلام	٢٠٠٢	سياسي	مكتبة مدبولي

حفل إفطار رمضاني .. مجموعة قصصية

اسم الكتاب	السنة	النوع	دار النشر
الإخوان المسلمون (جزءان)	٢٠٠٨	سياسي-تاريخي	المختار الإسلامي
غزة .. عروس عروبتكم حفل إفطار رمضاني		سياسي قصص	
<b>تحت الطبع</b>			
هلك الفاجر		سياسة	
بروتوكولات حكماء العرب		رواية	

حفل افطار رمضاني

فهرس الكتاب

obeyikan.com

## قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
٣	ثورة ٢٥ يناير كما تنبأ بها الكاتب عام ٢٠٠٧ .....
٦	حفلة إفطار رمضاني .....
٣١	أسوأ من المقالات القصص .....
٣٢	القصة الأولى: أطول قصة في التاريخ .....
٣٣	قصص قصيرة جدا .....
٤٩	القصص : .....
٤٩	بعد مائة عام .....
٨٥	تدنس ثوبك فاخضعه .....
١٠٧	الحجاج .....
١١٩	غيلان الدمشقي .....
١٢٩	الوزير (سنة ١ ق. ف) .....
١٤٤	المعتقل .....
١٤٧	إبراهيم شكري رئيسا للوزراء .....

٢٤٠ .....	القط
٢٤٥ .....	الفأر
٢٤٧ .....	الرحلة
٢٤٩ .....	كتب للمؤلف
٢٥٣ .....	الفهرس

